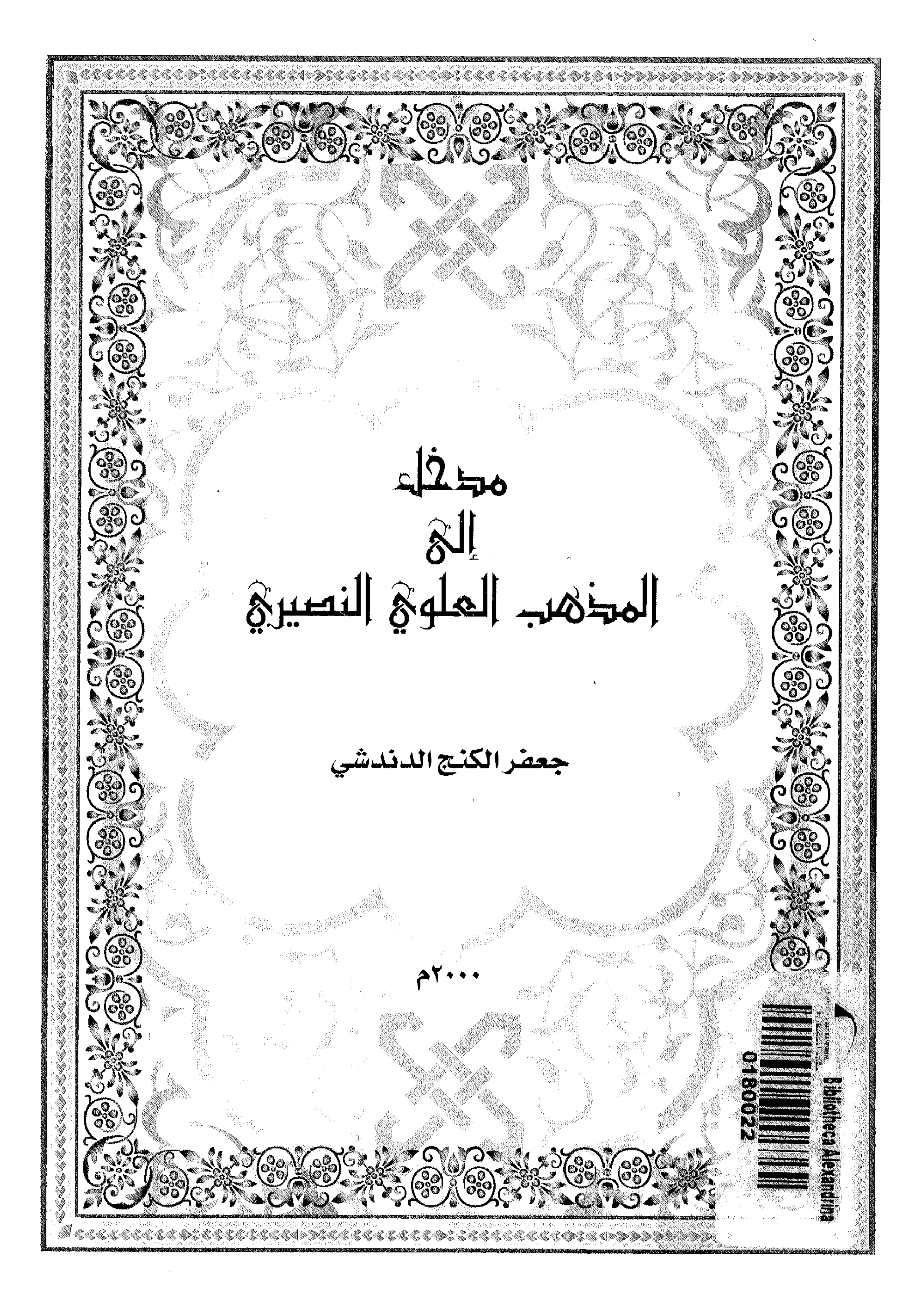


مدخل إلى المذهب العلوي النصيري

جعفر الكنج الدندشي

٢٠٠٠م

مدخل الى المذهب العلوي النصيري

مدخل إلى المذهب

العلوي النُصَيري

الدكتور

جعفر الكنج الدندشي

٢٠٠٠

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٣٥٩/٨/٢٠٠٠)

٢٥٢٫٢٥
الدندشي، جعفر الكنج
مدخل الى المذهب العلوي النصيري / جعفر
الكنج الدندشي . - اربد : الروزنا، ٢٠٠٠
(   ) ص
ر . ا (٢٣٥٩/٨/٢٠٠٠)
١- الاسلام
٢- الشيعة
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبه الوطنيـة

SS

الإهداء

إلى شعبنا العربي على أمل أن يجد وحدته الوطنية الضائعة

جعفر الكنج الدندشي

تمهيد

كان التاريخ على موعد مع سورية {بلاد الشام} منذ فجر الحضارات، وذلك يعود من دون شكٍّ لسببين اثنين

١- مناخها المعتدل الدافئ الذي تنعم به، مع كثرة الأنهار والينابيع والأمطار التي تعطي الحياة. [وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حي]

٢- الموقع الجغرافي الذي جعل منها الشرفة الآسيويّة على البحر الأبيض المتوسط، وملتقى الطرق بين قارّات العالم القديم، أسيا وأفريقيا وأُروبا

أثّرت على الآخرين وتأثّرت بهم، لم تعرف حدوداً ثابتةً خلال تاريخها الذي يُعدّ بآلاف السنين، لدرجة أنّ الدمشقيين ادعوا بأنّ ولدي آدم، قابيل وهابيل اقتتلا فيها. تطاحنت عليها الأمم من كافّة الجهات. وكانت معطاءة مع الفاتحين المتحضّرين، زاوجت أفكارها وأفكارهم[١] وقاسمتهم السلطة والمسئوولية[٢]، ورفضت الغزاة الذين حملوا الدمار، ولو امتدّ الصراع بينها وبينهم لعدة قرون.

جرت أحداث ومعارك تاريخية على أرضها قرّرت مصائر أممٍ كانت أقوى أمم الأرض: مصر الفرعونية والحثيين، الفراعنة والفرس، بختنصّر والعبرانيين، الإسكندر الأكبر والفرس، الفرس والرومان، العرب والبيزنطيين، المسلمين والصليبيين، المماليك والمغول، العثمانيين والمماليك، بونابرت و أهل عكّا، العرب والأتراك، وأخيراً العرب والصهاينة.

كانت منبع الأبجديات، وعلى رأسها الأبجدية الآرامية التي انحدرت منها الأبجديتان العربية والعبرية، والأبجدية الفينيقية التي انحدرت منها الأبجدية اليونانية ثم اللاتينية، مهد الديانات السماوية وأرض مولد الأنبياء وحصن الإسلام المنيع، سابقت العزاق على اعتناق الإسلام واللغة العربية بعد جزيرة العرب مباشرةً، وكانت حصتها أن خلفت الحجاز لقيادة الأمة الإسلامية تحت راية الأمويين، نالت عاصمتها، دمشق،في القرن العشرين، لقب قلب العروبة النابض دون أيّ تعصّب... وكل ما أوردناه لا يعادل إلاّ جزءاً من الأوسمة التي نالتها من تاريخ الإنسانية.

SS

إلاّ أن مناخها الطبيعي وموقعها الجغرافي لم يـهيئا لها الأمان والسلام، بـل العكس، فقد اشـتدّ عليها الطـامعون، وذلك خلال كافّـة العصور، ولسوف تظـلّ كذلك سـواء أحملت اسم سورية أو بلاد الشـام أو كانت جمهوريـة أم مملكـة، مادامت منفردة أو مقسـمة إلى دويلات. ولا يمكن أن تـضمن حمايـة نفسـها من المطامع إلا إذا كانت موحدة أومتحدة مع الدول المجاورة: مصر والعراق وشبه الجزيرة العربية..وحتماً ليس مع تركيا مادامت قد نقضت معاهدة الوحدة الإسلامية منذ اعتناقها فكرة الاتحاد والترقي أي مع مطلع القرن العشـريـن ومنذ أن قررت اتخاذ التتريك في البلدان العربية سياسة لها منذ بداية ذات القرن.

المخاطر التي أحاطت بها من الخارج لم تكن أفدح خطورةً من المخـاطر التي أصابتها من الـداخـل. الدويلات المصطنعة ضمن حدودهـا كانت إلى فترة قريبـة أكثر عدداً...توحّدها الفكرة الصادقـة وتمزقها الفكرة الخبيثـة من الداخل، والغزاة من الخارج. سماتها الحضارية سـاميّـة، تجمع الجانبـين: الروحي والمادّي. لم يطـالعنا التاريخ بأنها تـنكّرت لذلك. أتتها آخر الموجات الحضاريـة السـاميّة مع الفتوحـات التي قـادهـا أصحاب النبي (ص)، فاعتنقت الإسلام والعروبـة معاً، وبدون تعصبٍ ودليلنا على ذلك أن اللغة الآرامية لازالت حية في بعض قراها حتى هذه اللحظة. حاول البيزنطيون والصليبيون والأتراك صبغها بألوانهم بعد الفتوحات الإسلامية، لكنها أثّـرت عليهم أكثر مما تأثرت بهم. وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية إعادة الكّرة بواسطة الحركة القومية اليهودية (الصهيونية العالمية).ويبقى لسورية التاريخية عامل الزمن، ولا يزال بين أيدي غزاتها عامل القوّة، والنتيجة التاريخية نترك تقديرهـا لذوي الألباب.

محنتها المعاصرة لا تقلّ خطورة عن تلك المحنـة التي مرّت بها خلال الحروب الصليبية، لكونها تعني وجودهـا، فهي مقسّـمة إلى أربع دويلات، إحداهنّ اصطنعتها الصهيونية العالمية بواسطـة النخبـة العلمية والمثقّفـة في العالم، الذين وضعوا لـه صورتـه الحضـاريـة الحالية بمحـاسنها ومساوئها، اليهود الذين لا قوا اضطهـاداً بشعاً في أوربا منذ القرن الثالث عشر في أنكلترا والخامس عشر في إسبانيا والتاسع عشر في روسيا وبولونيا وفرنسا

SS

والقرن العشرين بجرائم النازية التي استعملت معهم أساليب وحشية تعجز معاجم العالم عن التعبير عنها. لكنهم لم يجدوا مركزاً للارتكاز عليه في حالة عودة موجة عنصرية، قد تحصل في المستقبل، إلاّ باحتلال جزءٍ من بلاد الشام، وذلك باستخدام الكثير من الوسائل التي استخدمتها الشعوب الأخرى ضدهم عبْرَ التاريخ، و إنما ضدّ شعب لم يكن قد أساء إليهم في السابق. والدويلة الثانية لبنان، صنعتها فرنسا، الدولة المُنتدبة من قبل عصبة الأمم، والتي ناقضت بسياستها تلك ميثاق عصبة الأمم، وكذلك بوضع دستور للبنان على أُسسٍ طائفية ومذهبية دينية، مع أنها كانت قد أعلنت طلاقها عن الكنيسة منذ الثورة الفرنسية واعتنقت لنفسها العَلمانية، وفرضت على لبنان دستوراً طائفياً، لم يستطع اللبنانيون تطويره بسبب مصالح عائلية ونفوسٍ إقطاعية وطائفية عمياء، أدّى إلى المأساة التي لم يسدل الستار عليها، ولم نعد نعرف لها مدى.والدويلة الثالثة قامت على رقعة من الأرض لم يكن فيها من مقوّمات الدولة الكثير، الأردن، وبفضل الاستقرار السياسي أصبحت مع الزمن مملكة فرضت احترامها نتيجة لمستوى الرفاه الذي ينعم به المواطنون بالنسبة للدويلات الأخرى المجاورة، ولكن ينقصها على رقعة الأرض التي قامت عليها ثقلاً تاريخياً ترتكز عليه كبغداد أودمشق، حتى تأخذ دوراً مهماً في التاريخ الحديث. والدويلة الرابعة ،سورية الحالية، اجتمعت لها أكثر المقوّمات الإيجابية والسلبية كي تكون المحرّك لنهضة تتوق إليها نفوس العرب بعد يقظتهم[٢] في مطلع القرن العشرين. غير أنّ تفاعل الجانب الإيجابي لم يتابع استمراريته ليجعل من الأمور السلبية في الطرف المضاد. ويمرّ القرن العشرون بقطاره دون أن تصاحبه نحو الهدف الذي وضعته نصب عينها. وكادت تصاحبه إذا ما نظرنا في مسيرتها التاريخية منذ تنكرها لحركة الاتحاد والترقي التركية ، مروراً بالمقاومة الذكية ضدّ الاحتلال الفرنسي،(خذ وطالب)، واستمرار نضال أبنائها بعد الاستقلال حتى توّجوا ذلك بالوحدة مع مصر. ولكن منذ بداية الستينات بدأت الأحداث والظروف ترسم لها خطّ البيان التراجعي منذ الانفصال، ذلك حينما لم يستطع أبناؤها الحفاظ على المكاسب التاريخية،فأخذت الجوانب السلبية تطفو على السطح، ومن دون أن نشعر وقعت سوريا في أحضان الصراع الطائفي الذي لا ينفع سوى أعدائها.

SS

وأمام هذا المنحدر الرهيب، الذي أدّى إلى ذبح أبنائها بأيدي جنودها، يُفتَرض على كلّ باحثٍ أن يرجع خطوةً إلى الوراء، وينظر بتمعّنٍ وشجاعةٍ للمحاولة في تقديم التحاليل، وذلك للبحث عن الدواء. لكي تكون خطوات المستقبل بعيدة عن العشوائية والهمجية، فنصبح اكثر تبصّراً وثباتاً، وعلى أن يكون لعمل الباحثين ودراساتهم اعتبارٌ، وخاصّة من قبل العسكريين ، الذين يتحكّمون بأكثر دول العالم الثالث.ولكلّ باحث دوره: في الاقتصاد والقانون والعلوم والاجتماع والفلسفة والتاريخ... إلاّ أنّ فلسفة التاريخ هي التي تسيّر الأمم التي تحترم قوانينها ودساتيرها، وعندما تفتقر الأمم إليهم، فلا بدّ وأنها ستنهار كأمم فعّالة في العالم. ونحن لا ندّعي لنفسنا هذا العلم، ولكننا نمهد لفلاسفة التاريخ ببعض المعطيات الخفية، وربما أكرمنا الله بهم في مستقبلٍ قريب. نمهد لهم بمعطيات علمية من جانب اختصاصنا ضمن هذه الدراسة، لتوازي دراسات أُخرى، حتى نصل إلى شيءٍ من شبه التكامل، وأيضاً لتكوين فكرة عند الأجيال التي تعيش هذه المحنة، وهذا في سبيل الخروج من المصائب والويلات التي تعيشها كلّ يومٍ أو على الأقل، لفهم الجانب الخفي من هذا الكابوس الذي يعيش فيه الظالم والمظلوم .

إنّ هذا البحث الذي يعني بشكلٍ خاص أقلية دينية مهمّة من أبناء الجمهورية العربية السورية، أي ما يعادل ١٢٪ من مجموع سكانها. ونحن إذ نشعر بأنّنا لا زلنا في بداية البحث من خلال هذه الدراسة، مع أننا بدأنا دراساتنا الجامعية في هذا المجال منذ نهاية عام ١٩٧٩. ولذلك فإننا نظنّ أنّ قلّة قليلة من كبار رجال الدين في الطائفة العلوية النصيرية يعرفون أصول معتقدات مذهبهم. حيث أنّ الجانب الباطني لا يمتّ بأدنى صلة إلى الجانب الظاهر.

ولا بدّ من إلقاء بعض الملاحظات على الأبحاث والكتب التي تداولت دراسة الطائفة العلوية النصيرية، حيث قسّمت إلى اتجاهات ثلاثة خلال القرن العشرين، إحداها حمل لواء الدفاع عنهم لأسبابٍ قد يطول ذكرها في هذه المقدّمة، ونشير إلى ذلك بذكر الكتب الثلاثة التالية: تاريخ العلويين، لمحمد غالب الطويل، المسلمون العلويون ؛ من هم وأين هم؟ لمنير الشريف، والعلويون

بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان.والفريق الثاني اتّخذ التهجّم على العلوية النصيرية هدفاً، والمراجع هي: العلويون أو النصيرية لعبد الحسين المهدي العسكري، والجذور التاريخية للنصيرية العلوية، لعبد الله الحسيني، وبحث في النصيرية العلوية لأبي موسى الحريري[٤]. ونعتقد أنّ هؤلاء الثلاثة استعملوا أسماء مستعارة خوفاً من انتقام السلطة الحاكمة في سورية. والفريق الثالث الذي اتخذ المنهجية العلمية كسبيلٍ للبحث، ومع الأسف الشديد لم يكن بينهم أي كتابٍ باللغة العربية. أوّلهم رينيه دوسو، في كتابه، دراسة تاريخية عن النصيرية، ثم جاك فوليرس، في كتابه بلاد العلويين، ثم منير مشابك موسى في أطروحته: دراسة في علم الاجتماع عن العلوية النصيرية وأخيراً أطروحتنا: الاسماعيليون والنصيريون العلويون والدروز في سوريا، البنية الاجتماعية الدينية والتاريخ.

أمّا عن هدفنا من هذه الدراسة، فليس العودة لتكرير ما قدمته لنا الدراسات السابقة، فنحن نرى أنّ الأمور قد تناولتها أقلام الباحثين بأشكالٍ مختلفة. منها روح الانتقام، ومنها البحث عن إسناد البراءة من ذنبٍ اتّهموا به، ومنهم من نظر إلى الأمر بنظرة أصحاب الدراسات الغربية عن المشرق، أو كما أطلق إدوار سعيد على ذلك العلم إسم :الاستشراق أونظرة الغرب للشرق. ولو قُدِّر مقدارٌ من حرية البحث والتعبير في مجالات الدراسات في تاريخ الأديان، لنالت الأطروحة التي كتبها منير مشابك موسى تقديراً عظيماً في مجال علم الاجتماع. ولكننا كنّا ولا زلنا لا نجرأ على مواجهة أنفسنا بواقعنا. وإذا سُئلنا، كيف يمكن طرح قضية الديانة العلوية النصيرية في منهج الدراسات العلمية الحديثة، فنحن نرى أنه يتوجّب وضعها ضمن مادة تاريخ الأديان. ولو توقّفنا لنفتّش عن جامعة في الدول العربية أو في العالم الإسلامي بكامله، قد فتحت فروعاً لمعاهد علمية للبحث في هذه المادة، أي تاريخ الأديان ، لما وجدنا شيئاً ، لكننا نجد فقط كليات لعلم الشريعة هدفها تخريج أئمة وقضاة شرعيين ومدرسين لمادة التربية الإسلامية.وهنا تكمن المصيبة، فنحن نخاف من أنفسنا على أنفسنا، ونخاف من بعضنا على بعضنا الآخر، نخاف من تطرفنا وتعصّبنا الذي يكمن في ذواتنا، نحاول أن نخفي جميع هذه الأحاسيس والانفعالات وهي تعيش معنا كأنفاسنا. كما أننا نرفض أن يفتح الآخرون هذه الأبواب علينا

SS

بأساليبهم. لذلك فإننا ندخل إلى دراسة مواضيع كهذه ليس من الأبواب، إنما ندخلها كاللصوص، ندخل من كوّة أو من نافذة في غلسة الظلام. أو ربما ندخل إلى دراسة مواضيع كهذه ونحن نستتر بهوية البريء، وفي هذه الحالة لا نكون إلاّ كأولئك الذين يوقعون أنفسهم في أحضان الاتّهام. وما أرخص الاتهامات التي تلقيها كل مجموعة على غيرها، وما أغبى الذين يضعون أنفسهم في موقع المتّهم في محاولة تبرئة جاهل، ليس بحاجة إلى البراءة بقدر ما هو بحاجة إلى الخروج من الجهل ...إنّ الأمانة العلمية والتاريخية تفرض علينا ماتفرضه... والله من وراء القصد.

SS

الهوامش

(١) أكبر عمداء مدرسة آثينا التي انتهت أعمالها في سنوات العشرين من القرن السادس الميلادي، كانوا من بلاد الشام، منهم دَمسيوس ونِمنيوس وسيروس وأمونيوس...

(٢) على سبيل المثال، أعطت سورية لروما أربعة أباطرة وهم فيليب العربي الحوراني، وثلاثة من عائلة كراكله الحمصية.

(٣) إن الكتب التاريخية العربية تطلق كلمة النهضة العربية بدلاً من اليقظة العربية على الفترة التاريخية مابعد خروج

نابليون من مصر، حتى الوقت الراهن. والواقع أن العرب استيقظوا ولكن هذا لا يعني مطلقاً أنّ كل من استيقظ قد نهض. فعلى العرب تحديد موقعهم وموقفهم من هذه التعابير وغيرها بوضوح قبل أن تتكرّر نكسة حرب الأيام الستة مراراً وتكراراً.

(٤) هذا المرجع هوترجمة من الفرنسية، لكتاب رينيه دوسو، تاريخ وديانة النصيرية، ولكن الكاتب نظم فصول الكتاب بشكل آخر وأضاف ما يحلو له، دون أن يستطيع التمسك بأي معنى خلقي في أمانة التاليف، ولكنّه أضاف المقالات التي أوردتها الصحافة اللبنانية في سنوات الستينات من القرن العشرين، وعلى كافة الأحوال فنعتقد أن ترجمة كتاب تستلزم الإخلاص، كما يتوجب خلقياً ذكر أصول ذلك الكتاب .

SS

الفصل الأول

النشـــأة والعقيــدة

نشأة الديانة العلوية النصيرية[1] ؛

ينـحدر المذهب العلوي النصيري من مذهب المُفضّلية، أتباع المفضّل بن عمر الجُعفي. وقد عاصر المفضّل أبا الخطّاب، الذي يـُعتبر أوّل مؤسس للمذاهب الباطنية في التاريخ الإسلامي[2] حيث أن أكثر هذه المذاهب انحدرت عن مذهب الخطّابية. وكان ذلك خلال إمامة جعفر الصادق، الإمام السادس عند الشيعة الإمامية. ومما لا شك فيه بأن الباطنية لم تلد بين ليلةٍ وضحاها.ومما هو معلوم أيضاً أن ميمون القدّاح الذي عاصر الإمام الخامس، محمّد الباقر، كان له دوره في ترويج هذالفكرة. ومن أشهر المذاهب الباطنية التي انحدرت عن مذهب الخطابية، مذهب الإسماعيلية، الذي شغل مكانة مهمّة في تاريخ الأمة الإسلامية. ومن مذهب الإسماعيلية انحدرت مثلاً الخلافة الفاطمية، وخلال فترة الخلافة الفاطمية في مصر انسلخت الدرزية عن المذهب الإسماعيلي بمباركة الخليفة الفاطمي الثامن، الحاكم بأمر الله، و وزيريه الدرّازي وحمزة بن علي بن أحمد.

وكان من أتباع أبي الخطّاب، المُفضّل بن عمر الجُعفي، الذي توفي مابين سنة ١٦٧ و٠ ١٧للهجرة٧٧٢ للميلاد، على وجه التقريب. وقد حمل أتباعه إسم أتباع محمد بن نصير، أو النصيرية، بعد أكثر من قرن من وفاته. فالنصيرية العلوية انفصلت عن الإسماعيلية منذ وفاة الإمام جعفر الصادق، ودليلنا على ذلك أن الإسماعيلية لم تتبنّ الكتب المنسوبة للمفضل الجعفي، ككتاب الصراط[3] وكتاب الهفت والأظلّة[4] مع العلم أنّ المفضل قد شهد ميلاد المذهب الإسماعيلي كما يطالعنا أتباع هذا المذهب[5] كمارفضت أن تعترف بإمامة موسى الكاظم وبقية الأئمة في مذهب الإثنى عشرية، كما هي الحالة لدى النصيرية، بل تعتبر أن آخر إمام هو إسماعيل بن جعفر الذي توفي حوالي سنة ١٣٢ أو ١٣٤ للهجرة ٧٥٠ للميلاد.

SS

أمّا عن مذهب النصيرية، فقد دخل التاريخ تحت هذا الاسم منذ النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، وكانت نشأته أولاً في جنوبي العراق، حيث ترعرعت أكثر المذاهب الباطنية. وكان مؤسسه أحد أتباع المفضّلية وهو محمّد بن نصير العبدي البكري النميري، ويكنّى بأبي شعيب، ودليلنا على ذلك ماورد في السورة الرابعة من كتاب المجموع، الذي يعتبر من الكتب المهمّة لدى أتباع المذهب المذكور، وفيه نقرأ ما يلي:" أحسنَ توفيقي بالله وطريقي لله، وأُحسن سمعي واستماعي من شيخي وسيدي ومرشدي المنعم علي بمعرفة ع.م.س. وهي بشهادة أن لا إله إلاّ علي بن أبي طالب الأصلع الأنزع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمّد المحمود ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي المقصود. وهذا ما سمعته من سيدي(...) ومعتق رقبتي(...) و والدي الحقيقي[٦] أحمد وقد أُلقي إليّ هذا السر العظيم في سنة كذا وكذا وفي شهر كذا ويوم كذا منه، وسمع أحمد من إبراهيم، وسمع إبراهيم من قاسم(...) وسمع حمدان الخصيبي من محمّد بن جندب الجنبلاني الفارسي، وسمع محمد بن جندب من محمد بن نصير العبدي البكري النميري الذي هو باب الحسن العسكري[٧] ومن محمد بن نصير أقام النسب والدين"[٨]. وقد عاش محمد بن نصير في زمن الأئمة علي الهادي والحسن العسكري ومحمد المهدي ومات سنة ٢٧٠ للهجرة،/٨٩٣ للميلاد.

دخل المذهب العلوي النصيري بلاد الشام خلال القرن العاشر للميلاد والرابع للهجرة، عن طريق أحد الدعاة الفرس[٩] ويدعى محمد بن جندب الجنبلاني. وابتدأ دعوته في مدينة حلب، وكان ذلك في عهد الحمدانيين. وقد اعتنق مذهبه أحد المصريين واسمه حمدان الخصيبي. وبعد وفاة محمد بن جندب الجنبلاني سنة ٣٤٠ للهجرة/٩٥٢ للميلاد، تسلّم الدعوة حمدان الخصيبي، ودخل مذهب بن نصير بفضله إلى منطقة جبل السمّاق (جبال العلويين حالياً) لذلك فهم يدعون طريقتهم بالطريقة الخصيبية الجنبلانية[١٠] أما الخصيبي فقد توفيّ سنة ٣٥٨ للهجرة/٩٦٩ للميلاد.

الهوامش

(١) إذا أطلقنا على المذهب المذكور الاسم المدوّن أعلاه (النصيرية) فلأنّهم عرفوا به قبل سنة ١٩٢٠. وقد أُطلق عليهم إسم العلويين بعد الانتداب الفرنسي على سوريا، بطَلبٍ منهم، والسبب في ذلك كما يقول غالب الطويل في كتابه: تاريخ العلويين ص ٤٨٨ أن السلطان العثماني سليم الأول قد حرّمهم إسم العلويين. لكن هذا الكلام يتعارض مع المراجع التاريخية والتي يعود بعضها إلى القرن الرابع للهجرة، أي ما يعادل ٣٥ سنة بعد وفاة محمد بن نصير. أنظر مثلاً: كتاب المقالات والفرق لسعد القمّي، وكتاب فرق الشيعة للنوبختي، وسلسلة الرجال للنجاشي ، هؤلاء من كُتّاب الشيعة وكتبهم تعود للقرن الرابع للهجرة عدا عمّن ذكرهم من كتّاب السنّة، كعبد الكريم الشهرستاني وابن بطوطة وابن تيمية. فكانوا يسمون بهذا الاسم قبل العثمانيين.

(٢) يجب التمييز بين التقية والباطنية، فالتقية هي طريقة لإخفاء القيام بعبادات بين جماعة غريبة عن الجماعة الدينية التي ينتمي إليها من يمارس التقية، على أنّ ممارسة هذه العبادة تكون جهراً في مجتمعات أو مناطق أخرى. بينما الباطنية فهي علم وعالمٌ مستقلٌ وقائم بذاته، يعتبر من قبل أتباعه علمٌ خاص بدرجة الإنسان، بينما يعتبرون أن علم الظاهر علمٌ خاص بدرجة الحيوان.

(٣) كتاب الصراط، يشكل جزءاً من المخطوط ١٤٤٩، القسم العربي، في المكتبة الوطنية في باريس، وسنصدره قريباً إن شاء الله، مضمونه مبدأ الثنوية مابين العالم النوراني الكبير والعالم الجسماني الصغير. وقد استوحى المفضل آراءه من مذهب منّو سمرتي الهندي من القرن السادس قبل الميلاد (أنظر ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، لإحسان حقي، الباب الثاني عشر) وكذلك من مذهب المنوية، أتباع ماني...

(٤) كتاب الهفت والأظلّة، طُبِع في بيروت سنة ١٩٦٠، مع مقدمتين، الأولى باللغة العربية لعارف تامر والثانية بالفرنسية للأب عبدو خليفة وهو لا يخرج أيضاً في أفكاره عن مبدأ الثنوية ...

(٥) أنظر المرجع السابق، مقدّمة عارف تامر، المختص بالإسماعيلية، وهو أيضاً من أتباع المذهب الإسماعيلي. أمّا عن المفضل فقد صنّفه النجاشي في كتابه، الرجال، الجزء الثاني، تحت رقم ١١١٣، ص ٣٥٩ ، بأنه غير موثوق به وعرّف عنه بما يلي" مفضّل بن عمر، أبو عبد الله، وقيل أبو محمد الجعفي، كوفي فاسد المذهب، مضطرب الرواية، وقيل انه كان خطّابياً أي من أتباع أبي الخطّاب، وقد ذُكرت له مصنّفات لايعول عليها... والرواة مضطربون الرواية له".

(٦) لحظة الولادة الحقيقية عند أتباع هذا المذهب تبدأ عندما يتطلع الفتى على أسرار ديانته، في هذه الحالة يعتبر والده هو الشيخ الذي يقوم بتعليمه. وقد نقل هذا، سليمان أفندي

SS

الأضني أو الأذني في كتابه الباكورة السليمانية والذي طُبع ببيروت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، واعتمد عليه أكثر المستشرقين منهم رينيه دوسّو ولويس ماسينيون وغيرهما...

(٧) يعتبر اتباع المذهب النصيري أنّ لكلّ إمامٍ باباً وهم ١-الإمام علي(رض.) وبابه سلمان الفارسي ٢- الحسن(رض) وبابه قيس بن ورقة.
٣- الحسين(رض) وبابه رشيد الهجري ٤- زين العابدين (رض.)وبابه عبدالله بن غالب الكابلي ٥- محمد الباقر وبابه يحي بن معمّر الثمالي،٦- جعفر الصادق وبابه جابر بن يزيد الجُعفي،٧- موسى الكاظم وبابه محمد بن أبي زينب الكاهلي ٨- علي الرضا وبابه المفضل بن عمر الجعفي ، ٩- محمدالجواد وبابه محمد بن المفضّل، ١٠ - الهادي وبابه عمر بن الفرات، ١١ - الحسن العسكري وبابه محمد بن نصير. وبما أنّ الإمام الثاني عشر، محمّد المهدي قد اختفى وهو صغير السنّ وليس له باب فإنّ خاتم الأبواب بالنسبة لهم هو محمّد بن نصير.

(٨) انظر كتاب المجموع الذي طبعه رينيه دوسو في أطروحته باللغة الفرنسية ، تاريخ وديانة النصيرية، الصفحات ١٨٢ إلى ١٩٨، وقد كتب عن محمد بننُصير ممّن كتبوا، الطوسي في كتاب معرفة الرجال، المشهور برجال الكشي، صفحة ٥٢١ مايلي: وقالت فرقة بنبوة محمد بن نُصير، وذلك أنه ادعى بأنه نبي ، وأنّ علي بن محمد العسكري (رض) أرسله وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن(عليه السلام) ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في ادبارهم، ويقول أنه من الفاعل والمفعول به إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرّم شيئاً من ذلك، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده ، وذُكر انه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً، وغلامٌ على ظهره، يريد أنّ الغلام ينكحه، وأنه عاتبه على ذلك، فقال إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبّر، وافترق الناس فيه بعده فرقاً" وعلى أن هذا الكلام قد أصاب أيضاً أتباع ماني الإيراني من قبل بعض المؤرّخين المسلمين، إلا أن البيروني في كتابه الآثار الباقية من الأمم الخالية، ص ٢٠٨ يعتبر أن هذا الكلام لا يمت إلى الصحة بشيء، وكم من السهل اتهام الآخرين بأشنع الصفات، فبرأينا أنه من الصعب تقبّل هذه الفكرة، وإن كنّا أوردناها فلأننا نعلم أنها منتشرة في بعض الأوساط، ونترك للقاريء تحكيم العقل والمعقول...

(٩) نضيف إلى معلومات القارئ أنّ ابن نصير أيضاً من أصل فارسي وقد كان من موالي بني نمير في البصرة ومن أهم كتبه كتاب الأكوار والأدوار النورانية، وقد ذكر منه الطبراني في كتاب مجموع الأعياد بعض المقاطع. أ مّا محمد بن جندب الجنبلاني فله عدة كتب نشر إحداها هاشم عثمان في بيروت، وهو كتاب الهداية الكبرى، ضمن كتابه العلويون بين الحقيقة والأسطورة ، مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٥.

(١٠) انظر كتاب التعليم، السؤال رقم ١٠٠ ، المخطوط ٦١٨٢ في المكتبة الوطنية بباريس.

SS

الأصـول التاريخيـة القديمـة للمذهب العلوي النصيري

إن أصـول العقيدة العلويـة النصيريـة تعود إلى مـذاهب وحركات دينيـة مختلفـة، انتشـرت في بلاد الشام وغيرها من بلدان الشرقين الأدنى والأوسط قبل الإسلام، أقربهم جغرافياً لمنطقة جبال العلويين كان مذهب نومونيوس الآفامي(من مدينة أفاميا)، بقرب حماه وعلى سفوح جبال العلويين الشرقية، الذي عاش خلال النصف الأول من القرن الثالث للميلاد، وكذلك من مختلف الحركات الغنوسطية التي نشأت في سورية، وفي فلسطين بالذات، ثم انتشرت في مصر واليونان والعراق وفارس، وكان أشهر وجوهها سيمون الساحر، أبا الهراطقة[1]، وكذلك أخذوا من ديانـة ماني الإيراني، الذي عاش في القرن الثالث للميلاد، كما اقتبس مذهبهم من أتباع الفلاسفة أي أتباع أر سطوطاليس وسقراط وأفلاطون والإسكندر الأفروديسي، حيث ترد أسماؤهم كثيراً ضمن كتبهم الدينية، ككتاب التعليم[2] والمخطوط رقم ١٤٥٠ الصفحات ٢٥ إلى ٣٠ في المكتبة الوطنية في باريس[3] والمخطوط رقم ١٩ من مكتبة كييل في ألمانيا،وكذلك من مختلف مذاهب الديانة المجوسية الفارسية كالكيومارثية والزرفانية والزاراديشتية[4] وأخيراً من مذهب منّو سمرتي الذي ورد ذكره ومن مذهب بتنجلي الهندي الذي عاش في القرنين الثاني والثالث للميلاد.

إن أكثر هذه الحركات الدينية الباطنية في الأمة الإسلامية كان مزيجاً من الفلسفة اليونانية والفارسية والسورية والمصرية والهندية، وما شذّ من اليهودية الكبلية والمسيحية ، وقد مزج العلويون كغيرهم من الديانات الباطنية الأخرى الوجوه الرئسية في تلك الديانات، بآراء تتلائم مع مواقف سياسية أو اجتماعية أو فكرية في عصرٍ معين، استطـاعت هذه الأفكار أن تعبر الزمن ضمن معتقدات أتباعها. وقد أدخلوا إلى هذه الأفكار الوجوه الرئيسـية في التاريخ الإسلامي فأعطوها وجهاً خيراً أو شكلاً شريراً، كجميع الحركات الدينية السرية أو الباطنية منذ فيثاغورث،الذي يعتبر أول مؤسسٍ لمذهبٍ باطني في التاريخ ليومنا هذا،وحتى الحركات السرية السياسية الدينية في العصر

الحالي ففي هذه الحركات وأتباعها نجد بينهم الطيبين والمسيئين. وفكرة الباطنية لم تبدأ بالمذهب العلوي النصيري ولن تنتهي بـه[٥].

وبما أن المذاهب الباطنية بشكل عام قد استمدت فكرتها الفلسفية الدينية من مجموعات مختلفة من الحركات والمذاهب الدينية والفلسفية، التي أوردنا ذكر بعضها، فإن كل منها كان قد أثّر على الآخرين بشكل سطحي أو عميق، وهذه الحالة تنطبق بشكل خاص على الفكرة التي تميز بين الخير والشر، والنور والظلمة، والحق والباطل عند الطائفة العلوية النصيرية، وذلك بتأثّرهم بالمجوسية أتباع زارادشت، ومن أتباع ماني الإيراني الذي استقطب لمذهبه خلال النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد أتباعاً مابين مصر والهند. ولقد عمّق العلويون النصيريون هذه الفكرة بتناسخ الخير والشر، مابين (الإله أو الجوهر أو المعنى) وما بين ضدّ الإله(إبليس، أو الأهرمان الفارسي، أو ديابولوس اليوناني)

أما عن مفهوم الإله في معتقدهم ، فإنّهم يؤمنون بأنه تناسخ سبع مرات خلال وجود العالم الجسماني الصغير، أي العالم الذي نعيش فيه، ذلك التناسخ، أي تناسخ الله قد تمّ في عصر آدم بجسد هابيل وفي عهد نوح بجسد يافث وفي عهد يعقوب بجسد يوسف[٦]، وفي عهد موسى بجسد يوشع وفي عهد سليمان بجسد آساف وفي عهد عيسى بجسد شمعون الصفا وفي عهد محمّد في جسد علي[٧] أمّا عن علي (كرّم الله وجهه) فإن مرتبة الألوهية محفوظة له في حالتين هما: الباطن والمعنى[٨] حيث أنهم يعتقدون بأنّ الله حلّ في جسد علي بن أبي طالب منذ ولادته حتى خلّص عبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي، اللاهوت من الناسوت[٩] ويرمز له بالحرف ع. هذا الحلول تمّ أيضاً سبع مرات في عوالم الصفا النوراني وفي كل مرّة كان الله يتناسخ سبع مرات في عهد كل نبي[١٠] وتلك العوالم خلقها الله قبل أن يخلق الأرض.

في المرتبة التالية يتبعه الاسم أو الحجاب، النبي محمّد (ص). هذا الاسم يحجب خلفه المعنى، ويسمّى أيضاً بالعقل الفعّال. وقد خلقه المعنى(علي) حسب معتقدهم ، من نور ذاته. هذا الاسم أو الحجاب أو العقل الفعّال ، يُرمَز له بالحرف م[١١].

في المرتبة الثالثة، تأتي درجة الباب، باب الله أو باب المعنى، وهو الصحابي سلمان الفارسي، خلقه الحجاب حسب معتقدهم ، من نور نوره،

ويسـمّى أيضاً بالسسبب القـديم، وكذلك بـالنفس الكلّيـه ويرمز لـه بالحرف س.[١٢]

هذا الثالوث يُسـمّى :بسـر (ع. م. س.) ويـعادل (علي – محمد– سلمان) يليهم في الأهميّـة المقداد بـن الأسـود الدوسـي ويحتلّ مرتبـة اليتيم الأول، الذي خلقه سـلمان الفارسي. وله أيضاً في نظرهـم، مرتبة الأم أو مرتبة الأرض، ويسـتشـهدون على ذلك من القرآن الكريم ، لقوله تـعـالى: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم[١٣] وتارة تكون للمقداد درجـة الابن "لقول النصـارى : باسم الآب والإبن والروح القدس، فـالأب إشـارة إلى المعنى ، والقدس إشـارة إلى الاسم، والروح السيد سـلمان ، والابن المقداد[١٤]".

الأب أو المعنى (علي)

المقداد : الابن ——————— سـلمان: الروح

القُدس أو الاسم(محمّد)

وفي حالات أخرى يـمَثّـل المقداد كوكب زحل والذي خلق بـدوره باقي الأيتـام أو بـاقي الكواكب[١٥] وهـم أربعـة: أبو ذرّ الغفاري ويمثّـل كوكب المشتري، وينال مرتبـة اليتيم الثاني، وعبدالله بـن أبي رواحـة، ويمثّل كوكب المريخ وينال مرتبـة اليتيم الثالث، وعثمان بن مظعون النجاشي ويمثل كوكب الزُّهرة وينال مرتبـة اليتيم الرابع، وأخيراً كندر بـن كـادان الدوسي ويمثل كوكب عطـارد ويـنـال مرتبـة اليتيم الخامس[١٦] وإذا رتّبنـا الشخصيات الرئيسـية المقدّسـة لدى أتباع المذهب العلوي النصيري بتناسخهم في (الدور المحمّدي) أو بتعبير آخر، في العصر الإسلامي فيمكننا ذلك وفق الجدول التالي:

---

١ – الله = علي = المعنى ، رمزه ع   ٢– العقل الأول = العقل الفعال ٣– النفس الكليّة = سلمان

محمد = الحجاب، رمزه م   الفارسي = الباب،رمزه س

١=المقدادبن الأسود ٢=أبوذرّ الغفاري ٣=عبدالله بن أبي رواحة ٤=عثمان بن مظعون ٥= قنبرين كادان

اليتيم الأول او الابن   اليتيم الثاني   أو اليتيم الثالث أو   أو اليتيم الرابـع   أو اليتيم الخامس

أو الأرض   كوكب المشتري   كوكب المريخ   كوكب الزهرة   أو كوكب عطارد

ينقسم المذهب العلوي النصيري إلى أربعة تيارات ، أو إذا صحت التسمية، إلى أربعة مذاهب.وهي تختلف فيما بينها على مايرمز إليه الثالوث ع.م.س. بالنسبة للشمس والقمر والسماء والهواء. فتيّار الحيدرية

يقتبس اسمه من حيدرة أبي تراب (أحد ألقاب علي رض.) فيرون أنّ علياً هو السماء التي تضمّ كل شيء، ومحمد(ص) هو الشمس، وسلمان الفارسي هو القمر[١٧]. أمّا تيار الشمالية أو الشمسية فيعتقدون أن علياً هو الفجر الذي خلق الشمس من نور ذاته، والشمس هي محمد ، ومحمد خلق القمر من نور نوره، الذي هو سلمان ، ويستندون باعتقادهم هذا على السورة الخامسة من كتاب المجموع[١٨] وتيار الكلاّزية، أتباع الكلازي[١٩] فيرون بأن الإمام علي هو القمر[٢٠] والنبي محمّد هو الشمس وسلمان الفارسي هو السماء. وأخيراً طريقة الغيبية أو من يسمون بعبدة الهواء فيعتبرون أن علياً(رض) هو الهواء. وحين تهب الريح يقولون: السلام عليك أبا الحسن[٢١].

يعتقد أتباع الديانة العلوية النصيرية بأنّ لكل رجل دوراً عابراً في الحياة الدنيا، أي العالم الصغير الجسماني، وما الحياة الدنيا بالنسبة لهم الاّ امتحان للعبور إلى العالم النوراني الكبير، حيث كانوا يعيشون بين النجوم في الأزمان التي سبقت وجود الحياة على الأرض. وفي تلك الأزمان كانت تعيش عوالم الجن والبنّ والطمّ والرم والجان[٢٢] ويعتقدون أن أرواحهم قد سُجنت في الأجسام البشرية عقاباً لهم بعدما اقترفوا ذنباً وهو عدم قدرتهم بالتعرّف على المعنى(علي الإله) عندما ظهر لهم متنكّراً بأشكالٍ مختلفةٍ. فعاقبهم إذ مسخهم بالأجسام البشرية وحكم عليهم بالعيش فيِّ العالمً الجسماني الصغير. لذلك فهم ينتظرون الدور النوراني الذي يأملون قدومه، فيقولون في ذلك: " ومتى خلّصنا علي من هذه الكثائف البشرية، ترتفع أرواحنا إلى بين تلك الكواكب المتلاصقة في بعضها، التي هي درب التبّان، ونلبس هياكل نورانية"[٢٣].

أمّا عن الفرائض في هذا المذهب، فهي تختلف اختلافاً كلّياً عن فرائض الأديان والمذاهب المجاورة لها، وبشكلٍ خاص الإسلامية منها. فهم يقومون بفرائض ظاهرة كما يقومون بفرائض باطنية. فالعبادات الظاهرة تتلاءم مع الوسط الديني الذي يعيش ضمنه الفرد العلوي، ففي المجتمع الإسلامي

يمارسون العبادات الإسلامية، وفي مجتمع مسيحي يمارسون العبادات المسيحية. وهذا يعتبر بالنسبة لهم تقيّةً، منطلقين من فكرةٍ وهي : أنهم يعتبرون أنفسهم الجسد، وباقي الأديان والطوائف ماهي إلاّ اللباس، فأي لباسٍ يلبسه المرء لا يضرّه"[٢٤].

لكنّ الفرائض الباطنية، وإن كانت مُقتبسة من أركان الإسلام، إلا أنها تختلف اختلافاً تامّاً. فصلاتُهم عبارة عن أربعة قدّاسات[٢٥] وهي قدّاس الطيب، وقدّاس البخور وقدّاس الآذان وقدّاس الإشارة[٢٦] والزكاة تُدفع لرجال الدين، المشايخ، وهي تعادل خمس دخل الفرد[٢٧] والصيام هو عدم استحلال الجماع مع النساء خلال شهررمضان.ويستبدلون زيارة البيت الحرام (الحج) بزيارة مقابررجال الدين التي تسمّى بالمزارات[٢٨].

لقد أصبح الباب موصوداً اليوم، أمامٍ كل من يريد اعتناق المذهب العلوي النصيري، إن لم يكن مولوداً من أبٍ وأمٍّ نصيريين، ماخلا الفرس، حيث يفيدنا سليمان افندي الأذني (أو الأضني) في كتابه، الباكورة، بما يلي:" ولا يقبلون أحداً من الطوائف الغريبة إلا إذ كان من أهل العجم، لأنّ أهل العجم يعتقدون بألوهيّة علي بن أبي طالب"[٢٩].

يجب أن نضيف، بأنّ النصيريين العلويين لا يفشون أسرار ديانتهم لنسائهم " لأنهم يعتقدون بأن الله خلق لهم النساء من ذنوب الأبالسة"[٣٠] ولذلك أيضاً فهم يرون أن النساء ناقصات العقل.

ومن الملفت للنظر، فإن استشهادهم بالإنجيل والفلاسفة يتكرّر في اكثر كتب العقيدة. وهذا لا يعني مطلقاً أن عقيدتهم خليطٌ من دياناتٍ مختلفةٍ، بل هي ديانة منفردة كلياً عن الديانات السماوية كلّها. ويمكن تصنيفها من بين المذاهب الوارثة للفلاسفة في العصر الهلنسي والتي انتشرت بشكل واسعٍ في مصر وسورية ولبنان ، بعد التزاوج الفكري الذي نتج عن لقاء الفلسفة اليونانية بالفكر الديني في سورية. وهي أيضاً تشكل تياراً من تيارات الديانات الفارسية التي سبقت الإسلام كالزارادشتيه والمانية والمجوسية.

SS

الهوامش

(١) أنظر أعمال الرسل، الإصحاح الثامن، وانظر أطروحتنا باللغة الفرنسية، الإسماعيليون والنصيريون والدروز في سورية، ص ٢٤-٢٥، عام ١٩٨٣، وهو شمعون الصفا أو شمعون الساحر، واعتبره أتباعه كأول تناسخ للآله، كذلك يعتقد الإسماعيليون و الدروز،فيعتبرونه أساساً للمسيح(عليه السلام)أما العلويون فيعتبرونه تناسخاً لله، كما يعتبرون أرسطوطاليس أيضاً تناسخا للآله كما ورد في كتاب التعليم،والمعروف عنه ، من خلال المراجع المسيحية، انه اراد أن يشتري البركة من القديس بطرس فطرده، ويقال إنه كان يستطيع أن يُظهر نفسه في مكانين مختلفين بآنٍ واحدٍ. وقد أتى إلى روما في عهد المبراطور كلوديوس، ومُنح رتبة إله مع الآلهة المتعدّة في روما الوثنية.

(٢) انظر كتاب تعليم الديانة النصيرية السؤال ٤٣ وجوابه، مخطوط رقم ٦١٨٢ في المكتبة الوطنية في باريس.والغنطوسية هي ديانة تعتمد على معرفة الله عن طريق العقل والمنطق. وتطالعنا الدراسات الحديثة أن مولدها كان مع سيمون الساحر، وانتشرت في الشرق الأوسط خلال القرون الثلاث الأولى للميلاد، وكان من كبار أقطابها، فلاطن الذي عاش في مصر ونومونيوس الآفامي وسيروس الحمصي ودمَسيوس الدمشقي ، وكان أكثرهم من عداء مدرسة أثينا الفلسفية والتي توقّفت بعد عام ٥٢٧ للميلاد، ويصعب علينا عرض هذا البحث ضمن صفحات هذا الكتاب، وللإطلاع أكثر حول هذا الموضوع انظر كتاب الديانة الغنوسطيه للباحث هـ. جوناس ٥٨٢ ، باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية. وكتاب الغنوسطية الخالدة باللغة الفرنسية للبّاحثين هـ. كورنيلي وا. ليونارد.وأعمال المفكرين السوريين الذي وردت اسماؤهم، ككتاب الجوهر لدمسيوس، وكتاب الأصول لسيروس (باللغتين اليونانية والفرنسية) ومن المستحسن علميا عدم تداول المراجع التي طرحت موضوع مذاهب الغنوسطية التي كُتبت حتى منتصف القرن العشرين، لكونها ضعيفة. ونؤكّد بان الدراسات لهذا الموضوع في المستقبل لا يمكن لها أن تفك طلاسم تلك الديانات التي رافقت المسيحية في الشرق الأوسط كنزٍ مهمٍ وخطير إلاّ بالرجوع للمذاهب الباطنية في الإسلام، لكونها الوريث الفكري لها.

(٣) يوجد ضمن هذه المخطوطة (رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس) نصاً غير معروف نُسب إلى أفلاطون الورقات ٢٧ حتى ٣١، ويتعلّق بوصية له لأتباعه كي يتصلوا بالبحرانيين(الصابئة)ولكي يأخذوا عنهم علم التنجيم.

(٤) قارن بين كتاب تحقيق ما للهند للبيروني، ص ٢٣-٢٦ وكتاب الأوسوس، الجزء الثاني من كتابنا هذا.

(٥) انظر الموسوعة الإسلامية باللغة الفرنسية،مقال الباطنيّة، الطبعة الثانية، مجلد ٢، ص ١١١٩

SS

(٦) من الملفت للنظر أنّ المذاهب الباطنية الأخرى، تعتبر أن الله قد تقمّص في عهد إبراهيم بجسد إسماعيل(عليهما السلام)، ولا يذكرون يعقوب ويوسف، ومن المدهش أيضاً ، وخلافاً لكافّة المذاهب والطوائف الإسلامية، فأنّ العلويين النصيريين يعتبرون أن إسحق (عليه السلام) هو الذبيح وليس إسماعيل.(انظر كتاب الأسوس في الجزء الثاني) مع أنّ القرآن الكريم لم يحدّد بالضبط أيّ من ابناء إبراهيم(عليهم السلام) كان سيُذبح.ولم يحدّد علماء المسلمين من هو الذبيح إلاّ بالاستناد على الحديث اهمهما نسب للنبي الكريم(ص) قوله: أنا ابن الذبيحين.

(٧) انظر كتاب الباكورة المطبوع في المجلّة الأمريكية للمجتمع الشرقي الجزء الثامن ص ٢٧٧-٧٨ وانظر أيضاً كتاب التعليم السابق الذكر، السؤال الخامس وجوابه.مع العلم أنّ فكرة تناسخ الإله بهذا الشكل مأخوذة من مذهب المانوية، حيث يرى ماني، مؤسس هذه الديانة بأنّ منقذ البشرية قد تناسخ سبع مرّات عبر التاريخ وذلك بآدم وشيث ونوح وعيسى وبوذا وزرادشت وماني.وللمزيد المعلومات انظر كتاب هنري كوربان بللغة الفرنسية، الغنوسطية الإسماعيلية.

(٨) انظر أبو محمّد عيسى الجسري، رسالة التوحيد، الورقات ٤-٥ من المخطوط رقم ١٤٥٠، المكتبة الوطنية في باريس، القسم العربي، وهذا نصه: " قلنا· نشهد أنّ المعنى هو الله ربّ العالمين. قال محمّد بن سنان: على أيّ معنى توحّدون، على أنه مُحتَجَب أم ظاهر؟ قلنا : على أنّه ظاهرٌ وهو المعنى المُحتَجب. فقال : من قال أنّ علياً الظاهر هو إله فقد كفر(...) ومن زعم أنه يعرف الله بالباطن فقد لحق"

(٩) انظر محمد كرد علي، خُطط الشام، جزء ٦، ص ٢٧٢. على أنّ تخليص اللاهوت من الناسوت لا تمتّ بأية صلة بمسألة صلب المسيح ، عليه السلام، فعلي ليس ابن الله ولكنّه الله. انظر الشيخ النشّابي في المخطوط ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس، الورقات ١٣٦-١٣٧.

(١٠) انظر المفضّل بن عمر الجعفي، كتاب الهفت والأظلّة، ص ٣٤-٣٥.

(١١) انظر المخطوطة ١٤٥٠ المذكورة آنفا، الورقة ٩٠، حيث نقرأ ما يلي : ثمّ ظهر عنه هذا العقل المشار إليه بالميم(...) الذي هو حجاب الله والعقل الفعّال.

(١٢) المصدر السابق، الورقة ٢٥ " إنّ الباب العظيم والسبب القديم ، هو النفس الكلّيّة المُختَرَعة عن العقل الأول الذي هو حجاب الله" وفي كتاب المجموع، السورة الخامسة، نقرأ مايلي :"اشهد أنّ مولاي أمير النحل اخترع السيد محمد من نور ذاته واشهد آن السيد محمّد خلق السيد سلمان من نور نوره". وفي المخطوط ١٤٥٠ وفي الورقة ٨٩ يقول النشّابي :" فهو يحجب ذاته بنوره ويحجب نوره بضيائه ، ويحجب ضياءه بظلّه". أما عن امير النحل فهو بنظرهم علي بن ابي طالب، إذ يُشبّهون اتباع مذهبهم بالنجوم التي تنتشر بكثرتها في السماء كالنحل، وأمير تلك النجوم هو الإمام علي.

(١٣) انظر سورة طه، الآية ٥٥ وانظر كتاب المجموع السورة الخامسة والتي نقرأ منها ما يلي:" وأشهد أنّ السيد سلمان خلق الأيتام الخمسة..."

(١٤) كتاب نص الشرائع ،من المخطوط ١٤٥٠ السابق الذكر، الورقة ١١٠، يقول صاحب الكتاب " يصحّ توحيد الثلاثة وتثليث الواحد ولا فرق ولا فاصل لأنه شيء واحد متعدّد، فهو عالم مفردٌ وهم أنوار، وما دون ذلك أجرامٌ وأجسام".

(١٥) هذه الفكرة عن أنّ كوكب زحل هو الذي خلق الكواكب الأربعة الأخرى ، مستعارة من الحركات الغنوسطية القديمة، حيث كانوا يعتقدون بأن كوكب زحل هو الذي خلق الكواكب الأربعة الأخرى وينقل لهم الرموز النورانية، أنظر هـ كورنيلي و ا.ليونارد، الغنوسطية الخالدة، ص. ٥٠ ونعتقد من جانب اخر أن الأصول القديمة لهذه الفكرة أتت من صابئة حرّان، والله أعلم.

(١٦) عجمل هذه الأفكار متأثرة بالأفلاطونية الجديدة، والغنوسطية والبازلية المصرية والزارادشتية و وريثتها المانوية والصابئة والأديان الهندية. ولقد تأثر بها أيضاً الإسماعيليون والدروز بشكل مختلف . وأساس فكرة وجود العالم بشكل عام كما يراها أتباع هذه المذاهب الثلاثة أتت من الأفلاطونية الجديدة بشكل خاص ، وتتلخّص تلك الفكرة كالتالي: أنه لا يمكن للعقل الإنساني أن يدرك الل (لاتدركه العقول)، وغاية الإنسان هي الاتحاد بالله. إلاّ انه عاجزٌ عن ذلك. فخلق الله له العقل الكلّي بإرادةٍ منه، أي كن عقلاً فكان.وخلق العقل الكلي بإرادة خالقه النفس الكلّية والضدّ(إبليس) فسكن الضدّ الجنوب من الكون أو منطقة الظلمة، وأنجب قوى الشر المتمثلة بالدخان والعواصف والنار والضباب والريح. وأنجبت النفس الكليّة التي سكنت الشمال أو منطقة النور قوى الخير الخمسة وهي العقل والذكاء والفكر والإرادة والتأمّل. ولزيادة المعلومات، راجع أطروحتنا السابقة الذكر، ص ١٣-١٥ وانظر أيضاً المخطوط رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس، مناظرة الشيخ يوسف الحلبي المعروف بالنشابي الأوراق ١٠٠-١٠٢

(١٧) انظر رينيه دوسو، تاريخ وديانة النصيرية، (كتاب المجموع) ص ١٨٨

(١٨) بعد أن هبطت مركبة الفضاء الأمريكية(أبولو) على سطح القمر في صيف ١٩٦٩ جرت حادثة طريفة ومؤلمة بأن واحد في منطقة وادي النصارى بمحافظة حمص، حيث يعيش علويون ومسيحيون في قرى متجاورة. وقد جرت مشاجرة بين علويين من مذهب الكلاّزي ومسيحيين، تحمّلوا مسؤولية تدنيس وجه القمر من قبل إخوانهم المسيحيين في أمريكا، وأدى ذلك إلى شجار من أبناء الطائفتين ذهب ضحيته بعض الجرحى من الطرفين.

(١٩) أنظر في فصل المراجع الكتب المنسوب إلى الكلاّزي.

(٢٠) أنظر محمد كرد علي، خطط الشام، جزء ٦، ص ٢٦٨ والملاحظ عند كرد علي أنه يعتمد في دراسة النصيرية على القلقشندي في كتاب صبح الأعشى.

(٢١) أنظر كتاب التعليم السابق الذكر، السؤال ٥٢ وهوامشه بذات الورقة، وقارن بكتاب شريعة منو أو منو سمرتي ، ترجمة إحسان مقدسي، الجزء الثاني عشر.

(٢٢) أنظر كتاب التعليم، السؤال ٨٠ وكتاب الباكورة ضمن المجلة الأمريكية للمجتمع الآسيوي المجلّدالثامن ١٨٦٦، ص٣٠١وهذه الفكرة اتفقت عليها العديد من المذاهب والحركات الدينية الدينية التي عرفتها سورية في العهد الروماني والبيزنطي، فالحركة الغنوسطية ترى بأنّ درب التبان هو نهرٌ من النار يجب أن تعبره الأرواح، أنظر هـ. كورنيلي و ا. ليونارد، الغنطوسية الخالدة، ص ٥٠ و هـ. جوناس ، الديانة الغنطوسية ص ٨١. أمّا ماني الإيراني فيقول: إن الإنسان هو سجين جسده المادي، لكنّ نومونيوس الآفامي ردّد العبارة ذاتها التي يدين بها النصيريون ، منذ القرن الثالث للميلاد أنظر هـ بوش، بحث في الغنوسطية، الصفحات ٣٠-٤٨

(٢٣) انظر كتاب الباكورة، المصدر السابق، ص ٢٩٨

(٢٤) وجود القدّاسات في العبادات النصيرية دعت الأب اليسوعي هنري لامنسن لكتابة مقاله: النصيريون هل كانوا نصارى؟

وذلك في مجلة : دراسات، الفرنسية، عام ١٩٢٣. لكن هذا المقال لم ينل أية مكانة علمية لسببين، أولاً لأن الأب اليسوعي أراد نشر المسيحية بين صفوف الطائفة العلوية خلال فترة الانتداب الفرنسي على سوريا، ولأنّ المقال كبحث علمي لايمت إلى الواقع مطلقاً.

(٢٥) انظر كتاب الباكورة، المصدر السابق، ذات الصفحة.

(٢٦) انظر ذات المصدر الصفحات ٢٧٤-٢٨٢

(٢٧) انظر كتاب التعليم، السؤال ١٠١

(٢٨) انظر أطروحتنا السابقة الذكر صفحات ٤٨-٤٩

(٢٩) أنظر كتاب الباكورة، ذات المصدر، ص ٢٩٣. يجب أخذ العلم بأنّ الدرزية قد أوصدت نهائياً باب اعتناق مذهبهم منذ وفاة حمزة بن علي بن أحمد مؤسس المذهب

(٣٠) أنظر رينيه دوسو، ذات المصدر ، الصفحات ٧٠-٧٣

SS

الفصل الثاني

البنية الاجتماعية الدينية في المجتمع العلوي النصيري

يمكننا أن نميز في المجتمع العلوي النصيري طبقتين اجتماعيّتين كما هي الحالة في كافة المجتمعات التي اتبعت ، أو تتبع الباطنية كطريقة في الحياة الدينية والدنيوية، منذ فيثاغورث حتى يومنا هذا. هاتان الطبقتان تدعيان بطبقتي الخاصّة والعامّة. فتشمل طبقة الخاصّة رؤساء العشائر ورجال الدين والمُقدّمين، وتشمل طبقة العامة على سواد الناس.

على الرغم عن من العلويين النصيريين يعيشون حياةً حضريةً موزّعة بين المدن والقُرى[1] أي أنّهم لا يعرفون حياة البداوة، إلاّ أنّ النظام العشائري يسود مجتمعهم بشكلٍ حاسمٍ. وذلك مع غيابٍ كاملٍ لمفهوم الديمقراطية أو الشورى ، بعكس ما تنعم به العشائر العربية البدوية . ويقتسم رؤساء العشائر والمقدمين السلطة الزمنية أو الدنيوية، وينفرد رجال الدين أو المشايخ بالسلطة الدينية أو الروحية، وإن اقتضى الأمر فإنهم يتدخلون في الجانب الدنيوي كما بدأ يحدث منذ سنوات الخمسينات من القرن العشرين بشكلٍ واضح وجلي.

وتنقسم العشائر إلى بطونٍ وأفخاذ، وتختلط فيما بينها في المدن والقرى، أي أننا نجد في قريةٍ واحدةٍ أبناء عشائر مختلفة، تتفاوت في تعدادها، وذلك حسب التوزّع الجغرافي. فنجد مثلاً أبناء عشيرة الحدّادين يتواجدون بكثرة في سهول محافظة حمص، حول منطقة المخرّم، ونجد أبناء عشيرة الغساسنة بكثرة في منطقة جبل الحلو ومنطقة شين، وأبناء عشيرة الخياطين في محافظة طرطوس، وأبناء عشيرة الكلبية في منطقة جبلة[2]... ولكن هناك دائماً أبناء عشائر أخرى في كل منطقة، وكثيراً ما نجد أقليات إسلامية سنّيّة من التركمان و الأكراد بينهم، وكذلك أقليات من المسيحيين الأرثوذكس.

SS

ومع وجود خلافات شبه مستمرّةٍ بين الكثير من العشائر قد تصل بعض الأحيان إلى حروب كما حدث خلال الربع الثالث من القرن التاسع عشر بين عشيرة الرسالنة (آل رسلان) والشمسيين، حيث صَالحَ بينهما علي الهوّاش، من عشيرةٍ أُخرى، وكان ذلك بعد إراقة الكثير من الدماء والفقر والبؤس الذي خلّفته تلك النزوات العشائرية. وبما أنّ الحالة لم تتوقف عند هذا الحد، حيث أراد الهوّاش بعدها استغلال الظروف بالسيطرة على العشائر الأُخرى، لتشكيل قوةٍ تساعده على الاستقلال عن الدولة العثمانية، لكنّهم استطاعوا الغدر به بواسطة أحد أقربائه فقتلوه في قلعة الحصن. وهكذا كانت تستمر المشاحنات بينهم، فتصل تارةً إلى قمّة التوتر حتى حالة الحرب القبلية، وتكاد تنطفئ عندما يأتيهم الخطر من الخارج[٣] في هذه الحالة فأنهم يجتمعون ويتحدون ضد الغزاة أو الفاتحين أو الطوائف الأخرى، كما حدث مثلاً سنة ١٩١٩بعد الأحداث التي جرت بينهم وبين الاسماعيليين والروم الأرثوذكس، خلال تلك الأحداث اتخذت سلطة الانتداب الفرنسية موقفاً لصالح الإسماعيليين والأرثوذكس، لذلك فإنّ جبل العلويين قام بكامله بوجه الفرنسيين، بقيادة الشيخ صالح العلي، وقبل ذلك وقفوا جميعاً ضدّ إبراهيم باشا المصري أثناء حملة محمد علي على سوريا، والأمثلة التاريخية كثيرة على مواقف كهذه نقل غالب الطويل الكثير منها في كتابه تاريخ العلويين.

هذه العصبيّة (العشائرية الطائفية) يمكننا أن نلحظها في كافة نواحي الحياة الاجتماعية أيضاً، ولقد حلّلها منير مشابك موسى الذي عاش ضمن المجتمع العلوي النصيري وخبره جيداً كباحثٍ علمي، بالشكل التالي:" وكما هي الحالة في كافة الأقليّات، فإنه يتوجّب على كلٍ منهم تجاه أخيه في الطائفة المحبّة والمساعدة والتعاون والصدق والعدل. يجب على العلوي أن يكون بجانب أخيه العلوي في الحقّ والباطل، في الحقّ والخداع والكذب، عليه أن يشهد في المحاكم لصالحه ولو كانت شهادته زوراً(ظالماً أو مظلوماً). ولكن رغم ذلك ، فالعصبية العشائرية تحتلّ مكانة قويّة في نفوسهم. فكلّ علويٍ هو من أبناء العمّ، إلا أنّ أبناء العشيرة

هم اخوته في الدم"[٤] يجب أنّ نشير أنّ هذه العادة تنطبق أيضاً على العشائر البدوية أيضاً.

بعد هذا التحليل المُلخّص عن المجتمع العلوي ، سنبحث الآن في دور كلٍّ من الطبقات أو الشرائح الاجتماعية التي أوردنا ذكرها، مع ذكر مكتسباتها و واجباتها وطريقة إعدادها وتربيتها مبتدئين برئيس العشيرة:

١ – رئيس العشيرة أو زعيمها:

إنّ مسالة رئاسة العشيرة وراثيّةً بحتة ، فرئيس العشيرة يجب أن يكون ابن رئيس عشيرة أو أخ لرئيس عشيرة أو ابن أخٍ لرئيس عشيرة. ويتمتّع رئيس العشيرة عادةً بسلطةٍ مطلقة " ولا يتوانى عن استخدام كافة الوسائل والأساليب للحفاظ علىً سلطته: الحيلة ، القوّة، المناورة... يستخدم تارةً إحداها أو الأخرى ليمزّق التآلف بين العائلات ويمنعها من الاتفاق فيما بينها وذلك من اجل ضمان أتباعه وزبائنه. ذلك لأنّه يجني من ورائهم كافّة أرباحه "[٥].

إذا كان هذا التحليل عن سياسة رئيس العشيرة صالحاً حتى منتصف سنوات الستينات من القرن العشرين، ذلك لأنّ رؤساء العشائر كانوا يمثلون السلطة السياسية في تلك الفترة، وذلك من خلال وجودهم في المجلس النيابي، وضمن الأحزاب السياسية التي كانت على الساحة كالحزب الوطني وحزب الشعب. فلقد تغيّر الوضع تماماً اعتباراً من عام ١٩٦٣، حيث أصبح رؤساء العشائر الفعليين هم أصحاب السلطتين السياسية والعسكرية في سوريا. وللإيضاح بشكلٍ أوسع، فإنّ عائلة العبّاس، مثلاً التي كانت تترأس عشيرة الحيدرية، قد تسلّم زعامة العشيرة من بعدهم عائلة جديدة، وعائلة جنتيد مثلاً ، التي كانت تتزعّم عشيرة الكلبية، يتزعّمها الآن عائلةالأسد...إلاّ أنّ أكثر رؤساء العشائر في الأربعينات والخمسينات كانوا متّخذين موقفاً صلباً ضدّ تقدّم المنطقة والمجتمع، فكانوا يقاومون، هم ورجال الدين، بناء المدارس في القرى والمناطق التي كانت تحت نفوذهم[٦] وهذا عكس ما حصل وما يحصل من قبلِ الزعماء

الحاليين الذين اتبعوا سياسة التعليم في الطائفة. ومما يلفت النظر، وبالرغم عن أنّ الزعماء الحاليين للطائفة كانوا من طبقة الفقراء والمظلومين، أو من الطبقة المتوسطة، فإنّهم أفسحوا مجالاً واسعاً لأبناء رؤساء العشائر القدماء، ليحتلّوا مراكز مرموقةً في السلطة . هذا عدا عن الظلْم والمعاملة القاسية التي نالوها هم وآباؤهم منهم. وهذا يوضح لنا ،وإلى حدٍّ بعيدٍ، صحّة التحليل الذي قدمه منير مشابك موسى، عن أنّ كلّ علوي هو ابن عمٍّ للعلوي يجب مساعدته،إلخ..لكنّ الذي يدعو للدهشة هي نظرة أبناء الزعماء السابقين نحو الحكام الحاليين لسوريا، التي تتشابه كثيراً مع نظرةالأرستقراطيين الفرنسيين، والذين يضعون قبل كل شيء اعتبار الانتماء العائلي أوّلاً، فهو أعلى نسباًمن فلان البرجوازي (الحديث النعمة)، ولو كان على رأس السلطة. وهكذا فإنهم يجدون أبواباً للانتقاد حول أصولهم وأُصول آبائهم وأجدادهم، كونهم من الفقراء أومن الخدَم...وهذه النظرة لا حظناها لدى أفراد من الطبقة الإقطاعية السابقة من بين أبناء الطائفة العلوية كآل خير بيك والهوّاش والكنج والعبّاس والمرشد وغيرهم...ومع ذلك فإنّهم تسلّموا مناصب سياسية وعسكرية في السلطة في سوريا، كان يصعب عليهم استلامها لولا وصول أبناء الطبقة الفقيرة أو المتوسطة إلى رأس السلطة وقيادة البلاد.

غير أن الزعماء أو الرؤساء الدنيويين، ليسوا بالمسؤولين الوحيدين عن قيادة العشيرة، فرجال الدين لهم تأثيرٌ كبيرٌ على طبقة العامة التي تشكّل الأكثرية الساحقة من أبناء الطائفة، وذلك لأنّهم أقرب إلى تلك الطبقة ، بحيث أنّهم على اتصالٍ مباشرٍ بها.

٢- طبقة رجال الدين

ويسمّون لدى أتباع الطائفة العلوية النصيرية بالمشايخ، ولكي يصبح أحدهم شيخاً فغالباً ما يكون ابن شيخ، ثمّ عليه أن يتخطّى الدرجات السبع، تلك الدرجات التي كتب عنها المقريزي كان أول من وضع خطوطها عبد الله بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فيقول: " أنه رتّب سبع دعوات، بتدرّج فيها الإنسان حتى ينحلّ عن الأديان كلها ويصير معطلا

ss

إباحياً ، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ويرى أنّه وأهل نحلته على هدى، وجميع من فارقهم أهل ضلال"[١٧].

نعتقد أنّ أول من سار على هذه الطريقة في العالم الإسلامي كان أبو الخطّاب، الذي أوردنا ذكره، والذي كان مسؤولاً عن تربية إسماعيل بن جعفر الصادق. وكان الإمام الصادق قد طرده حسب ما أورد مؤرخوا الشيعة الإمامية. أما عن دليلنا بأنّ أبا الخطاب هو الذي بدأ باتباع هذه الطريقة، أنّ المفضّل بن عمر الجعفي الذي عاش مع ابي الخطاب ولو كان صغير السن، فإنّه يحدّث عن الدعوات السبعة في كتابيه الهفت والأظلّة السالف الذكر صفحة ٥١ كما يخصص كتاباً بكامله على قضية الدعوات السبع في العالم النوراني الكبير والعالم الجسماني الصغير، وذلك ضمن كتاب الصراط[٨] ويدّعي المُفضّل بأن تعاليم الكتابين السالفين هما نتيجة حوار بينه وبين الإمام جعفر الصادق.

وقبل الخوض في شرح هذه الدرجات أو الدعوات، يجب الأخذ بالاعتبار أنّ عدداً قليلاً من أتباع هذه الطريقة يصلون حتى المراتب العليا، وهم غالباًمن أبناء الشيوخ. أمّا المراتب الدنيا فيتلقّى تعليمها عددٌ لا بأس به من أتباع المذهب، وقد لا تتعدّى المعلومات التي ينالها الفرد العادي مايحتويه كتاب التعليم، الذي ورد ذكره، ورغماً عن ذلك فإن الفرد الذي يودّ أن يتخطّى الدرجة الأولى لا بدّ له من كفيل أو وكيلٍ كما سنرى.

درجات تعليم الديانة العلوية النصيرية في العالم الجسماني الصغير.

يحق للفرد الإطلاع على تعاليم المذهب بعد فترة الرضاعة، وذلك بعد سن الرشد، ومن جانب آخر فإنّ التعرّف على المذهب يعني بالنسبة لهم ولادة جديدة روحانية. وتشمل درجات ثمان، وكما أسلفنا، فإنّ كل مرشّح يصل إلى الدرجة التي يستحقّها. أما الذين يعرفون جميع الدرجات فهم قلّة قليلة. وبشكل عام هذه الفئة من الشيوخ أو من أبناء الشيوخ. وإن ادّعى عدد كبير ممن وجدوا أنفسهم قد ولدوا في هذا المذهب ،بأنّهم لا يعرفون إلاّ القليل أو انّهم لا يعرفون شيئاً، فهذا الأمر معقول

والعشيرة التي ليس فيها رجال دين تستخدم من العشائر الموالية للقيام بالطقوس الدينية فيها. ورجال الدين هؤلاء، يسير أكثرهم بإرادة رؤساء عشائرهم، الذين يقاومونهم إن شذّوا عنهم، ويحرمونهم الحياة الرغيدة. ولكن إذا كان أحد رجال الدين قوياً في العشيرة، استطاع أن يرغم رئيسه على احترامه بما يحيك حوله من شباك قد تقضي على نفوذه في عشيرته، وتولّد الخلاف بينه وبينها. وقد استطاع كثيرٌ من رجال الدين أن يقاوموا رؤساء عشائرهم ويمزّقوا العشيرة عدّة أقسام، ثم أصبحوا رؤساء على بعض تلك الأقسام أو على العشيرة كلّها[١٥].

عشر سنوات مرّت بعد هذا التعليق الذي عرضه منير الشريف، وفي عام ١٩٥٧ يكتب منير مشابك موسى مايلي:" بشكلٍ عام، الشيوخ لهم هدف بعيد، وهم يعملون لتشكيل الطبقة الحاكمة، لقد بدأوا يشعرون في أنفسهم بأنهم طبقة يجب أن تفرض نفسها وتُشعِر بأهميتها وتقود الطائفة. وبما أنّهم أكثر عدداً من زعماء العشائر، حيثَ لا يوجد إلاّ رئيس واحد للعشيرة، بينما هناك عدّة شيوخ في كلّ عشيرة، كما يتمتّع أولادهم بدرجات علمية وثقافية أفضل من مستوى أبناء رؤساء العشائر، إذ نجد بين أولادهم المعلمين والمدرّسين والموظفين في كافة الدرجات. كذلك يشكّل أولادهم ٥/١٢ من مجمل النواب العلويين في المجلس النيابي(البرلمان) فالمستقبل بكلّ تأكيد سيكون بجانبهم"[١٦].

عشرة أعوامٍ بعدها تقريباً، يكتب سامي الجندي في كتابه البعث، عن حوار دار بينه وبين صلاح جديد، حاكم سوريا الفعلي منذ عام ١٩٦٣ حتى استلام السلطة من قبل حافظ الأسد عام ١٩٧٠، وقد دار الحوار بين الرجلين سنة ١٩٦٤، وكان ذلك الحوار يدور حول الطائفية بعد انقلاب ٨ آذار مارس، فيقول الجندي :" علمت بعد ذلك(أي صلاح جديد) كان يؤدي الزكاة للمشايخ، ومنذ ذلك الوقت بدأت مشاكلي مع السلطة"[١٧]. مع العلم أن سامي الجندي كان ألمع وزراء البعثيين وكان حينذاك وزيراً للإعلام.

SS

٣ – طبقة العامّة

وهي الشريحة الاجتماعية الساحقة عدداً في المجتمع العلوي النصيري، وينحصر دورها في تأدية الواجبات والطاعة لطبقة الخاصة من رؤساء عشائر ومقدّمين ومشايخ. الزكاة تشكّل خمسة بالمئة من دخل الفرد وهي عائدة بالتأكيد لرجال الدين[١٨] وهذا عدا ما يقدّمون لهم من هدايا خلال الأعياد[١٩] والزواج والوفيات... وكما يتحتّم عليهم الطاعة في المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والروحيّة. ذلك أن طبقة الخاصة تملك الثروة والسلطة وطبقة العامّة لا تملك إلا عملها[٢٠].

هذه الحالة كانت سائدةً قبل وصول الأقلّيّات الدينيّة على رأس السلطة في سوريا، أي قبل سنة ١٩٦٣. حيث أنّ رؤساء العشائر الإقطاعيين مثال آل العبّاس وهوّاش وجنيد ورسلان وخير بيك ومنصور...قد خسروا مكانتهم السياسية لصالح آل عمران وجديد والأسد وحيدر وماخوس وكنعان ودوبا والفياض..وكان لرجال الدين في البداية دورٌ هامٌ في دعمهم، إلاّ أنّ رجال الدين لم يخسروا مكانتهم في الطائفة والعشيرة، وبالنتيجة فإن سلطتهم قد ازدادت على مستوى سورية بكاملها. وقد استخدم كافة رؤساء العشائر طبقة العامّة لصالحهم حسب الظروف المحيطة بهم. فقد كان رؤساء العشائر السابقين يجمعون بطاقات الهويات الشخصية من أبناء عشائرهم قبل الانتخابات النيابية بأيّام، ذلك أنّ كل هويةٍ كانت تشكّل صوتاً في صندوق الاقتراع، وبما أنّ ظروف الجيل الثاني من الزعماء أصبحت مختلفة بشكلٍ أفضل ، وذلك بعد تعليق الدستور وفرض الأحكام العرفية على البلاد. فقد شكّلوا قطعات خاصة في الجيش تحت تصرّف أتباع المذهب وبقيادة زعماء العشائر الفعليين الجُدد. فحين تسلّم محمّد عمران قيادة اللواء السبعين (اللواء المدرّع الوحيد في الجيش السوري حتى بعد حرب الأيام الستة) سنوات ١٩٦٣–٦٥ وحيث كانت الحياة السياسية تشغله في العاصمة، دمشق، فقد كان ابن عمه مصطفى عمران الذي كان يقود ذلك اللواء أثناء غيابه.. كذلك تسلّم عزّة جديد قيادة هذا اللواء لصالح صلاح جديد بعده وخلال الفترة التاريخية لما يسمّى بحركة ٢٣

SS

الفقيرة أو الوسطى أو أبناء المشايخ، والذين اجتمعوا برجال الدين في قرية القرداحة، وكان بينهم محمد عمران وصلاح جديد (الذي كان منذ فترة لا تتعدّى الأربع سنوات من أنصار الحزب القومي السوري) وحافظ الأسد وعزّة جديد. وقد نال محمّد عمران من المشايخ في هذا الاجتماع رتبة الباب فخرياً، وعزة جديد رتبة النقيب، وإبراهيم ماخوس، الذي كان صلة الوصل مع زكي الأرسوزي، رتبة الباب، وحافظ الأسد رتبته النجيب...[٢٩] فعندما وصل أولئك الطلبة إلى قمّة السلطة في سوريا لم ينسوا واجبهم نحو رجال الدين، إذ استمروا بدفع الزكاة لهم[٣٠] وهذا لم يحدث في عهد زعماء العشائر السابقين. ناهيك عن عدد الضباط العلويين ، الذين كانت مهنتهم قبل حركة الثامن من آذار ١٩٦٣ معلّمين في المدارس الابتدائية، قد تسلّموا مناصب ضباط في الجيش، بعد دورة تدريبية قصيرة، ليحلّوا بدلاً عن الضبّاط المسرّحين من أنصار فترة الانفصال أو مكان الضبّاط الوحدويين. وهؤلاء الضباط الجدد، كان أكثرهم من أبناء العامة أو من أبناء المشايخ.

ومن جملة الالتزامات المادية التي كانت مفروضة على العامّة من قبل الزعماء التقليديين، كالفريضة السنوية وفريضة المنزول، تخلصوا منها، بفضل الزعماء الجدد العسكريين، وهذا من جملة الأسباب التي جعلتهم يناصرون السلطات الحاكمة في سوريا منذ عام ١٩٦٣، ولو كان ضدّ زعماء عشائرهم السابقين الذين استخدموهم استخدام العبيد على مدى عشرات السنين أو ربّما على مدى أجيال.

غير أنّ الوصول إلى السلطة لم يطفئ روح العصبية العشائرية بين أتباع الطائفة. فالتنافس الذي حدث مابين محمد عمران، وصلاح جديد، من خلال عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥، لتسلّم مركز رئاسة الأركان العسكرية، وقيادة اللواء السبعين (اللواء المدرّع الوحيد في الجيش السوري حتى حرب الأيام الستة) ذلك التنافس جعل الضباط وضباط الصف من كلتا العشيرتين يتصدّون لبعضهم خلال تلك الفترة، والتي انتهت بانتصار أتباع صلاح جديد، وقد تجدد هذا الصراع أيضاً مابين أتباع صلاح جديد وأتباع حافظ الأسد خلال عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠

ss

وانتهى بانتصار أتباع حافظ الأسد. وكذلك تكرّرت الاصطدامات بين أتباع رفعت الأسد وعلي حيدر وعلي دوبا وعلي الصالح وشفيق الفياض...أما إذا كان الخطر يهدّد الطائفة من قبل طائفة أخرى، فإنّ الخلافات العشائرية توضع جانباً ، كما حصل مثلاً في شهري آب وأيلول عام ١٩٦٦، ذلك عندما وصل الخلاف إلى القمّة بين صلاح جديد وسليم حاطوم ، الذي كان يتزعّم الضباط الدروز في الجيش، فإن حافظ الأسد، قائد الطيران ووزير الدفاع في تلك الفترة ، هو الذي فكّ أسر صلاح جديد الذي كان مُحتجزاً في جبل الدروز،(جبل العرب) مع نور الدين الأتاسي، من قبل سليم حاطوم[٣٢]. ومع العلم بأنّ حافظ الأسد هو الذي أطاح بصلاح جديد بعد أربع سنوات، ولكنّه لم يتجرأ بالقضاء على حياته. بل أبقاه تحت الإقامة الجبرية إلى يوم وفاته، وذلك كي لا يخلق نعرات عشائرية دموية بين أبناء الطائفة. ورغماً عن انّ بعض أصابع الاتهام توجّهت إليه في مسألة اغتيال محمد عمران، لكن ذلك لم يثبت لأن عمران لم يكن في سوريا وإنما كان في لبنان سنة ١٩٧١ وهذا قبل أن يدخل الجيش السوري إلى لبنان بأكثر من خمس سنوات.إلاّ أنّ أمر اتحاد الطائفة ضد الخطر الخارجي تكرّر أيضاً خلال حركة الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين مابين أعوام ١٩٧٨ و١٩٨٢ ، حيث أنّ سرايا الدفاع بقيادة رفعت الأسد وهو من عشيرة الكلبية، والوحدات الخاصة بقيادة علي حيدر من عشيرة الحدادين كانوا يسيرون جنباً إلى جنب، وخاصةً خلال مذبحة حماه. ولم يظهر للعيان أي خلاف يذكر بين أبناء الطائفة العلوية النصيرية، حتى أنهم طرحوا شعاراً في تلك الفترة بين أتباع مذهبهم، أصبحت خلال تلك الأزمة العصيبة من تاريخ سوريا مثلاً وهي "أنتَ مع الأسد = أنتَ مع نفسكَ "[٣٣] وقد شذّ عن هؤلاء جميعاً اللواء علي الصالح، قائد الدفاع الجوي حينذاك وكان يطالب بإعادة السلطة لكل ابناء الشعب في سوريا، وبعد مرض حافظ أسد عام ١٩٨٣ عاد التطاحن العشائري يطفو على السطح مابين رفعت الأسد وعلي حيدر وعلي دوبا وشفيق الفياض... انتهت بنفي رفعت الأسد إلى الاتحاد السوفيتي وجنون علي حيدر... ولكن الطائفة عادت إلى التماسك

SS

والتكاتف والتجمّع، وذلك عن طريق الآداب الدينية التي تدعو الفرد لمحبة إخوانه في العقيدة والحذر من كل من هو غريب عقيدته، هذا الحذر يبلغ بعض الأحيان حد البغضاء[٣٦].

إنّ شبه انعدام الاتصال بجيرانهم، فسح مجالاً واسعاً أمام رجال الدين ومن حولهم لكي ينجحوا في خلق روح الشك بالآخرين في نفوس العامة من أتباع مذهبهم، وكما أنّ الظروف التاريخية سياسياً، لم تساعد خلال عدة قرون بتحسين الحالات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية بل والحضارية بكافة جوانبهافي سوريا خاصةً، بل وفي العالم الإسلامي بشكلٍ عام ،كلّ ذلك أدى لتكتّل الحذر من الآخرين عندهم وحذر الآخرين منهم أيضاً. تلك الحقبة التاريخية التي فسحت المجال لتعقيد الأمور، هي فترة انحطاط العرب حضارياً، والتي بدأت بشكل فعلي اعتباراً من القرن الثالث عشر للميلاد، ذلك بالرغم من مرور الأمة الاسلامية ببعض الفترات الحضارية الزاهية خلال تلك الفترة ، والتي تتوّجت وانتهت بعد عهد السلطان سليمان القانوني[٣٧]. ومما لاشك فيه آنّ الانتداب الفرنسي قد أزكى روح الطائفية خلال فترة ربع قرن من القرن العشرين،كان نصيب الطائفة العلوية النصيرية والطائفة المارونية في لبنان ،من حصاد تلك السياسة هو الأكبر. وكان السبب في ذلك لدى العلويين يعود إلى جهل العامة وإلى الروح الوصولية التي تحلّى بها زعماء العشائر ورجال الدين ، حتى وصلوا الى اتخاذ مواقف تاريخية ضد الوحدة مع سوريا خلال فترة الانتداب الفرنسي، لدرجة يصعب على التاريخ محوها من ذاكرة الناس وإدخالها في عالم التسامح والنسيان[٣٨].

SS

الهوامش

(١) انّ واقع المجتمع العربي السوري بكامله (ومع فائق الأسف) ينقسم في القرى إلى عشائر وفي المدن إلى زمرٍ ضمن أحياء ولو كان على مستوى السجل المدني. ما عدا قبائل البدو وعشائر العلويين فإنّهم يحافظون على العصبية القبلية أو العشائرية حتى في المدن.

(٢) لتوسيع الاطّلاع على معرفة العشائر العلوية ، أنظر منير الشريف، في كتابه: المسلمون العلويون، مَن هم وأين هم ؟ الصفحات ١١٥ إلى ١٢٥، وانظر أيضاً منير مشابك موسى في أطروحته باللغة الفرنسية: بحث في علم الاجتماع عن العلويين النصيريين، الجزء الأول، الصفحات ٣٥٤ إلى ٣٥٦

(٣) أنظر دولة العلويين ص ١٥، لبول جاكوت، باللغة الفرنسية.

(٤) انظر منير مشابك موسى، المصدر السابق، الجزء الأول ، الصفحات ٣٥٤-٣٥٥

(٥) أنظر لويس جالابير، سوريا ولبنان، هل نجحت فرنسا؟ ص ٩٥، باللغة الفرنسية.

(٦) أنظر بلاد العلويين ص ١٩٨ لجاك فوليرس، أطروحة باللغة الفرنسية

(٧) أنظر سيلفيستر دو ساسي، محاضرة عن الديانة الدرزية، الجزء الأول، ص. ٧٠باللغة الفرنسية.

(٨) انظر كتاب الصراط،الجزء الثاني من المخطوط رقم ١٤٤٩ في المكتبة الوطنية في باريس، وهو الآن تحت الطباعة.

(٩) انظر المخطوط ١٤٥٠ في المكتبة الوطنية في باريس، كتاب حجّة العارف لأبي شعبة الحرّاني، الورقات ٦٠-٦٣ وكذلك كتابي الهفت والأظلة والصراط للمفضّل بن عمر الجعفي،و طريقة التعليم هذه، تعود إلى ما قبل الإسلام بكثير، فمن المعروف لدى المختصين بعلوم الفلسفة أن فيثاغورث كان أول من وضع أسس تعليم رجال الدين بطريقة سريّة في اليونان وسورية وآسيا الصغرى، وربما أخذ بدوره هذه الطريقة عن كهنة المعابد في مصر، حيث تتلمذ فترة عندهم وكذلك على أيدي أتباع سيدنا سليمان الحكيم، ثم أرسل بعد ذلك دعاته إلى الهند وفارس واليونان وسوريا والعراق (انظر موفّق الدين إبن ابي أُصيبعة، طبقات الأطباء الصفحات ٥٢ - ٦٠) كذلك فعل الإسماعيليون ودعاتهم القرامطة (أنظر أطروحتنا : الإسماعيليون والنصيريون العلويون والدروز في سوريا صفحات ٣٠-٣٥)

SS

(٢٦) انظر منير مشابك موسى، ص ٥٧٦

(٢٧) انظر رينه دوسو، المصدر السابق، ص ٥٩

(٢٩) انظر أطروحتنا ص ١٥٢ ، مجلّة الغرباء عدد ٤-٥ والعلويون النصيريون، بحث في العقيدة والتاريخ لأبي موسى الحريري، ص ٢٤٠، وانظر أيضاً نيكولا فان دام، الصراع على السلطة في سوريا،" ٧٩، باللغة الانكليزية.

(٢٧) انظر سامي الجندي، البعث، ص ١٤٦

(٢٨) انظر باتريك سيل، الأسد- الصراع على الشرق الأوسط- ص ١٣١، مترجم إلى اللغة العربية. وما أدلى به الرئيس الأسد عن هذا الأمر عندما كان يحاصر إحدى قطعات الجيش القوية العدّة والعتاد في الكسوة، وكانت قاعدة للطيران،، وهو لم يكن يقود إلا قوة ضعيفة، وعلى حدّ تعبيره.

(٣٠) سامي الجندي، البعث، ص ١٤٦

(٣٢) انظر أطروحتنا، صفحات ٦٤-٦٧

(٣٣) انظر ميشيل سورات، سوريا اليوم ، ص ٩٤، باللغة الفرنسية.

(٣٤) بحث عن المجتمع العلوي ، الجزء الثاني، ص ٥٧٦

(٣٥) انظر إدوار صعب، سوريا أو الثورة في أعماق الحقد، ص ٩٢، باللغة الفرنسية.

(٣٦) انظر قتدّاس الإشارة في الفصل التالي ص

(٣٧) إن كلمة الأمة لغوياً تعني الدين، كقوله تعالى في القرآن الكريم الدين: وكان إبراهيم أمة. ولقد أساء رجال الفكر في كلامهم عن العروبة باختيار هذه الكلمة، فلا يصح أن نقول الدين العربي أو الدين التركي او الدين الفارسي...أنظر إبن منظور في لسان العرب، فعل أمَمَ. وكذلك أساؤا باختيار كلمة القومية، التي أتت من كلمة قوم، لقوله تعالى : لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساءٌ من نساءٍ على أن يكنّ خيراً منهنّ...فلوكانت النساء من القوم لما ورد الجزء الثاني من الآية الكريمة. ولكن أكثر الكلمات التي اختيرت للتعبير عن العروبة كانت خبط عشواء، لا يضاهيها في تلك الفوضى سوى الحالة التي وصلت إليها الأمة...ولا يوجد حلٌّ لهذا سوى إسناد هذه الأمور للمسؤلين في مجامع اللغة العربية على أن يتّفقوا ويعملوا بمجمع واحد بكل بساطة...

(٣٨) انظر أطروحتنا والوثائق التي صورناها من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية والتي تعود إلى عام ١٩٣٦ وفيها دعوة إلى انفصال دولة العلويين عن سوريا والتي وقع عليها رجالٌ مرموقين في التاريخ العربي الحديث وعلى رأسهم بدوي الجبل وخير بيك وسليمان الأسد وسليمان المرشد وإبراهيم الكنج، رئيس المجلس التمثيلي في دولة العلويين...

SS

الفصل الثالث

رأي أتباع المذهب العلوي النصيري في أتباع الديانات والمذاهب الأخرى، وآراء أتباع الديانات والمذاهب الأخرى بهم

بتاريخ ١٩ آب/أغسطس، سنة ١٨٥٦ تلقّى إدمون دو ليسيبس (شقيق فرديناد دو ليسيبس، مهندس مشروع قناة السويس) والذي كان قنصل فرنسا العام في سوريا آنذاك، تقريراً، أرسله لحكومته، ضمّنته مقتطفات من رسالة تلقّاها من القنصل العام الفرنسي في طرابلس (السيد بلانش) تلك الفترة، كتب فيها: " إنّ من أبرز الحقائق التي يلاحظها كل من يريد دراسة هذه البلدان، المكانة التي يحتلّها الدين في نفوس الناس. فالدين يظهر في كل آمر وفي كل مكان في المجتمع الشرقي. يظهر أثر الدين في الأخلاق العامة وفي اللغة وفي الآداب وفي جميع المؤسسات الاجتماعية. والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولد فيه – الشرقي ليس له وطن – بل إلى الدين الذي ولد فيه. وكما أنّ الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن، فإنه في الشرق ينتمي إلى دين. وأمّة الرجل الشرقي هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين ذاته الذي يعتنقه هو. وكل فردٍ خارجٍ عن حظيرة دينه هو بالنسبة له رجلٌ غريبٌ أجنبي "[١]

ودون محاولة الخوض في صحة هذه الفكرة أو عدم صحتها، إذ كان يمكن اعتبارها خلال سنوات الخمسينات ومطلع الستينات، من القرن العشرين، أي بعد حرب السويس وعهد الجمهورية العربية المتحدة وسقوط حلف بغداد، فكرة استعمارية، ولكن إذا نظرنا إلى تاريخ الشرق الأوسط خلال النصف الثاني من سنوات الستينات وخلال سنوات السبعينات وما تلاها حتى الفترة الراهنة، نلاحظ انطباق هذه التعابير على حقيقة واقع أكثر بلدان الشرق الأوسط...تلكم كانت الحرب الأهلية في لبنان في السنوات الأخيرة، مختلفة عمّا كانت عليه أحداث لبنان سنة ١٩٥٨، وكذلك الحرب الأهلية في

ss

سـوريا بين أعوام ١٩٧٨ و١٩٨٢ ولم يشـذ العراق في حربـه ضد إيران...فهل من أسباب هذه الحروب النظرة الدينية لكل مذهب في الآخر ؟ سنقتصر ضمن كتابنا هذا لدراسـة الموضوع بين المذاهب والأديان المختلفة بالنسبة للمذهب العلوي النصيري، على أمل أن تسـاعدنا الظروف بدراسـة هذه المشكلة مع الأديان الأخرى مستقبلاً. وليس الهدف من هذه الدراسـة إعادة خلق الحزازيات، فهذه الحزازات موجودة بـطبيعتهـا... وليس لوضـع أي كان في قفص الاتهام فجميعنا متهمون، وبالنتيجة جميعنا أبرياء، ولكن إذا أقدمنا على أحداث كالتي مّرت في النصف الثاني من القرن العشرين فهذا يعني بأننا لسنا إلاّ مجرمين في حق الوطن والدين والمجتمع، فإن كان الدفاع عن الأوطـان شرفاً وسيظل كذلك، لكن الاقتتـال جريمة في كافة أشكال الحروب الأهلية الطـائفية والسياسية...على حدّ تعبير جمال عبد الناصر.

رأي العلويين النصيريين في المذاهب والديانـات الأخرى:

يمكننا من خلال قدّاس الإشارة، والذي يشـكل أحد القدّاسـات الأربعـة التي ذكرنا أسماءهـا في الصفحات السـابقـة، معرفـة آراء المذهب العلوي النصيري في المذاهب والأديان الأخرى. ذلك عندما يتلو الشيخ القدّاس الثالث ، ومنه أخذنـا الفقرة التالية: " عن أبي (مخطوط أبو) شعيب، محمد بن نصير العبدي البكري النميري أنّـه قال: من اراد النجاة من حرّ النيران فليقل: اللهم العن فئـة أسست الظلم والطغيان، الذين هـم التسـعـة رهط المفسدين، الذيـن أفسـدوا وما أصلحوا في الدين، الذين هم إلى جهنّـم سـائرين وإليها ضـالين، أوّلهم أبو بكر اللعين، وعمر بن الخطـاب الضد الأثيم[٢]، وعثمان بن عفّان الشيطان الرجيم، وطلحة(ابن عبيد الله) وسـعد(بن أبي وقّاص) وسـعيد (ابن العاص) وخالد بـن الوليد صاحب العمود الحديـد... ومعاوية وابـنـه يـزيـد، والحـجّاج بـن يوسـف الثـقـفي النكيد، وعبد الملـك بـن مـروان البليد، وهـارون الرشيد... والـعـن المذهب الحنفي والشـافـعي والحنبلي والمالكي ...وجميع النصارى واليهود، وكل من يعتقد في علي بن أبي طـالب آكلاً أو شـارباً أو مولوداً أو نـاكحاً"[٣].

ss

كما تظهر تصرفات حذرهم من أتباع المذاهب والأديان الأخرى من خلال تصرّفات الفرد اليومية وحياته الاجتماعية. فهو لا يضع عمامة سوداء أو كوفية سوداء أثناء إقامة القدّاس لأن اللون الأسود كان لون أعلام بني العبّاس، ولا يحمل الكشتبان، لأنّ أول مؤسسٍ للديانة الدرزية، الدرّازي، كان خيّاطاً، ذلك لإحياء الحقد ضد المذهب الدرزي، وكذلك لا يحملون سكيناً كرهاً بالإسماعيليين، لأنهم كانو يستعملون السكين للاغتيال[٤].

فيما يتعلّق بنظرتهم لصلاح الدين الأيوبي والمماليك، فإنّ أتباع المذهب العلوي النصيري قد أخذوا منهم موقفاً عدائياً، وهذا لا يعني بأنّ ذلك الموقف كان منبثقاً عن تحالفهم مع الصليبين، لأنّ الصليبيين أخضعوهم بالقوة في بادىء الأمر، ثم هادنوهم، كما تحدّثنا المراجع اللاتينية منذ ذلك العهد[٥] إلاّ أنهم حالفوا التتار المغول خلال زحف تيمورلنك نحو دمشق[٦]. أما بالنسبة للعثمانيين، فكانوا يتمنون سقوط دولتهم كلياً، وهذا لإقامة دولتهم، فكان دعاؤهم في نهاية القدّاس هو التالي: " الفاتحة يا إخوان في إبادة الدولة العثمانية واستظهار الطائفة الخصيبية النصيرية "[٧].

يمكن تعليل موقف الطائفة العلوية النصيرية من الدولة العثمانية هذا، بسبب المعاملة التي نالوها من السلطة آنذاك، فقد كتب هنري غيوش منذ منتصف القرن التاسع عشر، في كتابه: رحلة في سوريا، ص ٥٤، ما يلي:

" بكلّ صراحة، ومن بين جميع المذاهب في المشرق، تُعتبرُ النصيرية أكثر المذاهب معرّضةً للإهانة، بسبب تفكيرهم الديني، وهم وحدهم مَن تُكفّرهم كتب الفتاوى، وبدون أي اعتراض يرى قانون العقوبات في الدولة العثمانية، أن هؤلاء يعتبرون خارجين عن القانون. وهذا الرأي مُتَعاملٌ به لدى السلطات، مما أدى لجعل حياة أتباع المذهب الوارد الذكر، هم ونساؤهم وأموالهم تحت تصرّف المسلمين، وبإمكانهم شراءهم كالرقيق".

هنالك نظرة أُخرى، يرى من خلالها أتباع المذهب النصيري أتباعَ المذاهب الأُخرى من خلال عالم المسوخية، حيث " أنّ النصيرية كافة تعتقد بأن شرفاء المسلمين الراسخين في العلم، إذا ماتوا، تحلّ أرواحهم في هياكل الحمير، وعلماء النصارى في أجسام الخنازير، وعلماء اليهود في

أجسام القرود[٨]. أمّا عامة الناس من المسلمين، فتحلّ أرواحهم في الجمال والفيلة والكلاب السوداء، وعامة الناس من النصارى فتحلّ أرواحهم في أجسام الخيل، وعامة الناس من اليهود، تحلّ أرواحهم في أجساد البغال[٩].

كذلك يتصوّرون عالماً مظلماً في المسوخيّة لكل من هو غير نصيري أو لكل نصيري غير صحيح الإيمان. وينقسم هذا العالم إلى أربع درجات وهي : درجة الرسخ، وتعني المسوخية في النباتات وفي الأجسام الصلبة كالأحجار والمعادن، وهي أدنى الدرجات وأعمقها في الظلمة، ويُمسخ فيها الأضداد، أولهم الضدّ الأكبر، الذي تناسخ سبع مرات في العالم الجسماني الصغير، أول مرّة في عهد آدم، وكان يدعى قابيل (انظر الصفحة التالية التعليق الثاني) وآخر مرّة في عهد محمدٍ (ص)، وضد الله هو عمر بن الخطاب الذي هو إبليس الأبالسة، ويُمسخ في هذه الدرجة معه أبو بكر الصدّيق وعثمان بن عفّان والخلفاء الأمويون والخلفاء العبّاسيون... والدرجة التالية هي درجة المسخ، وتعني المسوخية في هياكل الحيوانات، وهي درجة عقابٍ لجميع الناس من دون العلويين النصيريين، منها الحيوانات التي تُذبح لتؤكل والحيوانات الجارحة، وذلك حسب الإساءات التي اقترفها كل منهم تجاه المؤمنين (من أتباع الديانة النصيرية). الدرجة الثالثة هي درجة القش،وينحصر فيها النصيريون الذين ارتدوا عن دينهم واعتنقوا ديانات أُخرى. وأخيراً درجة القشتاش، ويمسخ فيها العلويون النصيريون الذين اقترفوا ذنوباً عظيمة[١٠].

أما نظرتهم إلى الشيعة الإمامية فتختلف،فالعلويون النصيريون يدعونهم بالشيعة الظاهرة (عكس الباطنية) وكذلك يدعونهم بالشيعة المقصّرة، حيث أنّهم لم يدفعوا بعقيدتهم لدرجة الإيمان بألوهية علي ابن أبي طالب[١١].

يعلّق منير مشابك موسى في كتابه السالف الذكر، لتعليل هذه النظرة من قبل العلويين تجاه أتباع المذاهب والديانات الأخرى، فيقول: " إنّ العلويين النصيريين كأقلّية، كانوا دائماً مسحوقين من جيرانهم الإسماعيليين في مصياف، الذين لعبوا دوراً مهمّاً في التاريخ، بعكس العلويين الذين لم يكن لهم أي دورٍ في التاريخ العربي. وكذلك من

SS

أعدائهم السنّة والدروز والمسيحيين. فبرأينا لم يُعرف مذهب أو جماعة ظُلموا بالشكل الذي أصاب المذهب العلوي النصيري. لقد كانوا مكروهين ومنبوذين ومُستخدَمين ومُنتَقدين من جميع المذاهب المجاورة "[١٢]. كُتبَ هذا التحليل أو التعليق سنة ١٩٥٧، وبما أنّ الأحداث والظروف فتحت لهم أبواب تاريخ الشرق العربي على مصراعيه، ولا زال حتى الآن مفتوحاً، فمن الصعب الحكم تاريخياً بشكل موضوعي ومستقلٍ على هذه الفترة التاريخية، لكونها مستمرّة حتى كتابة هذه السطور. إلاّ أننا نستطيع أن نستنتج نقطة مهمة الآن وهي أن رئيس سوريا حافظ الأسد قد استطاع فرض استقرار سياسي في دولة سوريا الحالية، وذلك بعد فشل جميع السياسيين السابقين الذين تصدّروا الحكم فيها،وذلك منذ الاستقلال حتى أواخر سنة ١٩٧٠. ولكن بأي ثمن ؟ ربما بالثمن الذي فرضه الحجاج بن يوسف الثقفي في عهدٍ غابرٍ. وهذا لايمنع أن الكثيرين في جيلنا هذا وفي أجيالٍ سبقتنا، معجبون بشخصية الحجّاج. لكن الأكثرين لا زالوا يرجون عالم عمر بن الخطاب(رض) عالم المثاليات، ذلك العالم الذي انتهى بوفاته. كما قال علي كرّم الله وجهه: "لقد أتعب مَن بعده ".ونحن لا نعلّل لا عهد الحجّاج ولا عهد حافظ الأسد...

SS

الهوامش

(١) ترجمها وأوردها زين نور الدين زين في كتابه: نشوء القومية العربية، ص ١٨٥ وهي مأخوذة من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية – قسم تركيا- المجلّد الثاني ، وثيقة رقم ٣٢

(٢) يعتبر النصيريون أنّه بكل دورٍ تناسخ الإله فيه، له ضد، فحين تناسخ في عهد آدم بشيث، كان ضد الله قابيل بن آدم، وفي عهد إبراهيم تناسخ الضدفي النمرود، وفي عهد يوسف تناسخ في قارون وهامان وفي عهد صالح تناسخ بقوم عادٍ وثمود، وفي عهد عيسى تناسخ في جسد يهوذا الإسخريوطي، وفي عهد محمّدٍ وعلي تناسخ الضد في عمر بن الخطّاب وهو الضدّ الأكبر وإبليس الأبالسة (أنظر كتاب الصراط السابق الذكر، للمفضل بن عمر الجعفي، الورقات ١٦١-٨٢ وكتاب الهفت والأظلة، ، الصفحات ٥٦ إلى ٦٠ و ٨٦ إلى ٩٣، وكتاب مجموع الأعياد السابق الذكر للطبراني ، الصفحات ٨٣،٤٦،٦-٨٤ و١٥٤،١٦٣،١٦٦،١٦٨-٦٩.

(٣) أنظر كتاب الباكورة لسليمان أفندي الأذني، ص ٢٧٤

(٤) مسألة الاغتيال بالسكين التي كان يمارسها الإسماعيليون تعود إلى العصور الوسطى وبشكل خاص فترة الحروب الصليبية، مما جعل الأوربيون يطلقون عليهم لقب القتلة (أسّاسين) وهذه الكلمة مأخوذة من كلمة حشّاشين، وكان من ألقاب الإسماعيليين. فطغى ذلك اللقب عليهم ودخلت تلك الكلمة القواميس الأوربية التي تعني بالعربية بشكل أقرب : الذين يغتالون.وللتوسع في الموضوع، أنظر برنار لويس، الحشاشون، باللغتين الفرنسية والإنكليزية، صفحات:١٣٨-١٤٢ و١٤٥-١٥٠.

(٥) أنظر رينيه دوسو، تاريخ وديانة النصيرية،الصفحات ٢٢-٢٣

(٦) أنظر أطروحتنا السابقة الذكر، ص ١٠٢. تلك العداوة لصلاح الدين لم تستطع الأيام محوها، ومع فائق الأسف، فمن الأسباب التي أدت إلى الأحداث الدامية التي وقعت في مدينة حماه، سنة ١٩٦٤، والتي ذهب خلالها الكثير من الضحايا،

كانت على أثر مظاهرات نظّمتها السلطة في المدينة، وخرج العلويون يهتفون في الشوارع الرئيسية الهتاف التالي =يلعن يومك يا حطّين = والخاين صلاح الدين.

أما عن موقف الطائفة من المماليك، فراجع إبن بطوطة، الرحلة ، ص ١٧٦-١٧٨

(٧) أنظر محمّد غالب الطويل، تاريخ العلويين

SS

(٨) انظر كتاب الباكورة' ذات المرجع، ص ٢٨٤ أما عن الفاتحة فهي ليست أول سورة في القرآن الكريم، بل هي السورة الأولى من كتاب المجموع ومطلعها: " قد أفلح من أصبح بولاية الأجلح (= الأصلع أي علي بن أبي طالب) أستفتح بأني عبده. استفتحتُ بأول إجابتي بحب قدس معنوية أمير النحل علي بن ابي طالب، المكنّى بحيدرة أبي تراب، فيه استفتحت وفيه استنجحت وبذكره أفوز، وفيه أنجو، وإليه الجاء، وفيه تباركت وفيه استعنت وفيه بدأت، وفيه ختمت بإثبات الدين وصحة اليقين...) منقول عن كتاب دوسو، تاريخ وديانة النصيرية.

(٩) ذات المصدر، ص ٢٨٣، إلاّ أنّ هذه الفكرة مأخوذة من كتاب شرع منّو، أو منو سمرتي الصفحات ٤٠٦-٤٢١، احد المذاهب البوذية ترجمه إلى العربية إحسان حقي بإشارة من غاندي.

(١٠) انظر منير مشابك موسى، المصدر السابق، ص ٢٩٩-٣٠٠

(١١) انظر المفضّل بن عمر الجعفي، كتاب الهفت والأظلّة، والذي تشتمل أكثر أبوابه على هذا الموضوع. مع العلم بأن قضية المسوخية تدخل ضمن معتقدات الديانة الدرزية. فيرى هؤلاء أن النصيريين يُمسخون في أجسام الكلاب والجمال والأغنام والبغال. لكن المسيحيين والمسلمين واليهود فيمسخون في الشياطين وأجساد الذئاب. أنظر سيلفيستر دو ساسي، ذات المرجع، الجزء الثاني، ص ٥٦٢ وانظر أيضاً رينيه دوستو، ذات المرجع ، صفحات ١٣٨-١٣٩

(١٢) انظر كتاب الصراط للمفضل بن عمر الجعفي، مخطوط رقم ١٤٤٩ من المكتبة الوطنية في باريس، الورقة ١٦٠

(١٣) ذات المصدر ، الجزء الثاني، ص ٧٩

ss

آراء الأديان والمذاهب المجاورة في العلوية النصيرية

إنّ الآراء والفتاوى من قبل الأديان والمذاهب الأُخرى في المذهب العلوي النصيري، لم تختلف فيما بينها كثيراً من ناحية المضمون، ذلك لأنها تدخل ضمن نطاقٍ ديني وسياسي واجتماعي ذو هدفٍ واحدٍ. وتشتدّ تطرّفاً أو تضعف حسب الأحداث السياسية والعسكرية داخل المنطقة وماحولها. وإذا كانت آراء أهل السنة والشيعة فيهم تتقارب، فالسبب في ذلك يعود باعتمادهما على المعطيات الفكرية التي ينهجها أتباعهما، والذي يختلف اختلافاً كلّياً عن آراء المذاهب التي تؤمن بالتقمّص والتناسخ في الأجساد البشرية والحيوانات والأشياء، والتي يتداولها في مناهجهم الدينية أتباع العقيدة الدرزية، كما سبق ورأينا في الصفحات السابقة [١].

وقبل الخوض في آراء السنّة والشيعة الإمامية، سنلخّص رأيَ الإسماعيليين بهم، فإنّ أكثر الباحثين في هذا المجال يرون أنّهم متقاربون في أفكارهم، لكونهم من الشيعة المتطرّفة، فيضعونهم في ذات الدرجة، دون النظر إلى الأحداث الدامية التي حصلت بين أتباع المذهبين. فلقد بدأ الخلاف بينهما منذ العصور الوسطى، ولقد نقلنا عن أحد كتب الإسماعيلية المقطع التالي: "حدّثني رجلٌ من النصيرية الذين هم أعداء للمولى راشد الدين سنان"[٢]. فمسألة التعايش بين الطائفتين يكاد يكون مستحيلاً ، وذلك منذ القرن الثاني عشر للميلاد. فمنذ أن بدأ أئمّة المذهب الإسماعيلي في فارس بإرسال دعاتهم لقيادة أتباع مذهبهم في سورية[٣]، بدأ الصراع على قدمٍ وساق بين أتباع الطائفتين. حيث احتلّ راشد الدين سنان (شيخ الجبل) عددا من القلاع والحصون في بلاد العلويين النصيريين خلال الحروب الصليبية...

وفي مطلع القرن التاسع عشر، جرت مذبحة رهيبة في بلدة مصياف، ذهب ضحيتها الكثيرون من أبناء الطائفة الإسماعيلية، حيث

SS

التجأ بعض النصيريين إلى الأمير الإسماعيلي، مدّعين أنّهم فرّوا من زعيم عشيرتهم، فألجأهم. وكانوا على موعدٍ مع أبناء عشيرتهم في يوم محدّد ، ليفتحوا لهم باب الحصن، وهذا ما حصل، فنهب النصيريون الحصن وقتلوا الكثيرين من الإسماعيليين، واعتبروا أنّ تلك العملية، حينذاك، كانت انتقاماً من الإسماعيليين الذين استولوا على حصونهم منذ عهد راشد الدين سنان، أي منذ قبل سبعة قرون ونصف(٤).

وعندما دخلت قوّات الانتداب الفرنسي إلى سوريا سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠، حدثت معارك بين العلويين النصيريين من جانب، بقيادة الشيخ صالح العلي، وبين الإسماعيليين وحلفائهم الأرثوذكس من جانب آخر، وكان ذلك لثارات غابرة في التاريخ. فلمّا اتخذت قوات الإنتداب الفرنسي موقفاً لصالح الإسماعيليين وحلفائهم الأرثوذكس، اندلعت ثورة العلوين بقيادة الشيخ صالح العلي ضد الانتداب الفرنسي، وثار معه عددٌ كبيرٌ من سكان الجبل.

ورغماً عن وجود أعضاء مؤسسين من الطائفة الإسماعيلية، في اللجنة العسكرية، التي يحكم أعضاؤها سورية منذ ١٩٦٣حتى الآن، فإنّ التعاون بينهما إلى جانب الضباط الدروز، لم يدم طويلاً ، وانتهى بقسم من الضبّاط الإسماعيليين إلى المنفى في إحدى السفارات، كما حصل بالنسبة للمير أحمد المار، أو إلى الموت، كما حصل مع عبد الكريم الجندي(٥). ولا تزال كلٌّ من هذه الطوائف تتربّص بالأخرى على حساب مصلحة الوطن العليا... ويسطرها التاريخ في الأذهان وفي الكتب ، ومن الصعب نسيان الدماء والثارات التي جرت خلال التصارع والتطاحن، لأنها تنتقل من جيلٍ إلى آخر حتى تسنح الفرص، وحينها يمكن تقبّل كل الآراء لتعليل أفعالهم، سوى كلام الله عزّ وجلّ : "ولا تزر وازرة وزر أخرى".

نظرة الشيعة الإمامية إلى العلوية النصيرية.

إنّ الشيعة الإثنا عشرية أو الإمامية تعتبر مسألة المذاهب الباطنية بكاملها قضية تمسها مباشرةً، لأنّ الغلاة بكاملهم ينسبون أنفسهم إلى الشيعة. ولا تخلو الكتب التي تطرّقت لدراسة الفرق والمذاهب

SS

من تعداد وتسمية المذاهب الباطنية وإدانتها، وبشكل خاص مذهب إبن نصير. فقد كتب الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري إلى أحد أتباعه قائلاً: "إ نّي أبرأ إلى الله من إبن نصير وابن بابا القمّي(مؤسس مذهب باطني انقرض وكان على خلاف مع ابن نصير...) فابرأ منهما ، وإنّي محذّرك وجميع مواليّ ومخبرك إني ألعنهما، عليهما لعنة الله "[٦]. وفي كتاب المقالات والفرق، لسعد القمي، المتوفى سنة ٣٠١هـ ٩٢٤ مـ.

يقسّم فرق الشيعة إلى ثلاث: الإمامية والزيدية (أتباع زيد بن الحسين وأتباعه، زيديّة اليمن) والغلاة. ويطرح من بين الغلاة قضية أتباع محمد بن نصير، وهم من جملة الذين يعتقدون بتناسخ الإله في جسد علي بن أبي طالب، ويعتبرهم غرباء عن الإسلام وبشكل خاص عن جماعة الشيعة[٧]. ويحذّر النوبختي منهم في كتابه: فرق الشيعة ،الصفحات من ٢٠ إلى ٣٧، منذ القرنين الثالث والرابع للهجرة ، وكذلك الكشّي في كتابه الرجال، ص ٢٥٩ في القرن الخامس للهجرة، يحذّر المُغالين في شخصية الإمام علي عند هذه الفُرَق، وذلك منذ الفتنة الكبرى مابين ٦٥٧ إلى ٦٦١ للميلاد، حتى الفترة التي عاش فيها ابن نصير، ويذكرون أيضاً أبا الخطّاب والمفضّل ابن عمر الجعفي . وكذلك الأمر لدى نور الدين الحلّي في الرجال، والذي عاش في القرن الثامن الهجري، فهم بجملتهم يرفضون مذهب إبن نصير ويكفّرون أتباعه، لكنّهم لم يتوصلوا إلى صدامٍ دموي معهم. ونختم رأي الشيعة الإمامية في جميع المذاهب الباطنية بما أورده عبد الحسين مهدي العسكري في كتابه ،العلويون أو النصيرية، ص ٦، فيقول: " وما الإسماعيلية والنصيرية والصوفية والمولوية والبكتاشية والقاديانية، سوى فروع لشجرة الغلو التي غُرست في الفكر الإسلامي بقصدٍ خبيث. والذي خَبُثَ لا يخرج إلاّ عن نكد".

فإذا نظرنا إلى موقف العلويين النصيريين بالنسبة للشيعة الإمامية من جانب، والمذاهب الأخرى من جانبٍ آخر، نجد أنّ الأمر لا يتعدى مجرّد آراء. ذلك لأنه لم يقع صدام مباشر بين أتباع المذهبين ، ولأنّ تواجد الشيعة الإمامية في سورية يكاد لا يُذكر، وبشكل خاص في منطقة جبال العلويين أو في المناطق المجاورة لها .

SS

آراء أهل السنّة في أتباع الديانة العلوية النصيرية.

طرح علماء أهل السنّة مسألة الباطنية على بساط البحث منذ أن وجِدت، وذلك في بداية العصر العبّاسي. فحين دعى أبو الخطاب إلى عبادة الإمام جعفر الصادق، طرده وتبرّأ منه وحذّر أصحابه من غلوّه، بينما قتله عامل الخليفة أبي جعفر المنصور، عيسى بن موسى[٨]. واتّفقت آراء العلماء من جيلٍ إلى جيل برفض فكرة الباطنية بالذات رفضاً مطلقاً، واختلفوا بطريقة التعامل مع أتباع هذه المذاهب. وسنحاول أن نوضحها قدر المُستطاع في هذه الفقرة، ذلك بسبب أهمّيّتها من الجانب التاريخي، حيث يمكن أن تعود هذه القضية أمام الواقع اليومي في سورية بين ليلة وضحاها. ولنا في ذلك العديد من الأمثلة التاريخية، كان آخرها نهاية السبعينات وبداية الثمانينات في القرن العشرين خلال تمرّد الجماعات الإسلامية ضد السلطة الحاكمة حالياً في سورية، والتي أخذت طابعاً طائفياً تدعمه الأفكار والفتاوى من الجانبين، حيث طفت آراء العلماء وفتاواهم على السطح، بعدما كنّا نظن أنها كانت في حيّز النسيان.

فإذا بدأنا برأي الإمام أبي حامد الغزالي، فهو كما عوّدنا يعطي السبب ثم يحكم، فيقول: " من يغيّر الظاهر بغير برهانٍ قاطع كالذي ينكر حشر الأجسام وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنونٍ وأوهام، يجب تكفيره قطعاً"[٩].

ويرى عبد القاهر البغدادي:" أنّ ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرّة الدهرية وسائر أصناف الكفرة ، بل أعظم من ضرر الدجّال الذي يظهر في آخر الزمان، لأنّ الذين ضلّوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يُضلّون بالدجال في وقت ظهوره.و لأنّ فتنة الدجال لا تزيد مدّتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر"[١٠].

إلاّ أنّ أهم الفتاوى التي صدرت في المذاهب الباطنية عامة، والنصيرية خاصةً هي فتوى تقي الدين ابن تيمية الحنبلي، وذلك أنّ

تـأثـيـرهـا اسـتـمرّ منذ إعلانها خلال أو بعد انتهاء الحرب ضـد المغول وفتـوحـات العثمانـيـين وحتى حـركـة الـطـليـعـة المقاتـلـة لجماعـة الإخـوان المسلمين في سـوريـة في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن العشرين، حيث كانت تلك الفتـوى دعامتهم حتى في وجـه القضـاة، خلال المحاكم التي أودت بـالكثيريـن إلى حبال المشـانـق أو للموت رمياً بـالرصـاص... ونحن سـنختـار منها المقاطـع التي تـتـعلّق بـالمذهب العلوي النصيري، والسبب أن ابن تيميـة تـنـاول أكثر المذاهب الباطنية، كالإسـماعيليـة والحاكمية (أتباع الحاكم بـأمر الله، أي الدرزيـة) وقـد خلط بعض الأحيان بين ذلك المذهب والمذاهب الأخرى، مع العلم أنـه قد اطلع عليها بشكلٍ وافـرٍ كما نـلاحظ مـن خلال نص الفتوى بكاملها، وسـنحاول أن نـلفت النظر إلى الأخطـاء الواردة دون التدخل في الحكم:" مـاتـقـول السـادة العلماء، أئـمّـة الديـن...في النصيريـة القائـلين باسـتحلال الخمر وتـنـاسـخ الأرواح وقـدم العلم وإنـكار وجـود البعث والنشـور والجنّـة والنار في الحياة الدنـيـا، وأنّ الصـلوات عبـارة عـن خمسـة أسـمـاء وهـي علي[11] وحسـن وحسين ومحسـن وفـاطـمـة . فذكر هـؤلاء الخمسـة يـغـنـيهم عـن الغسـل مـن الجنـابـة والـوضـوء وبقية شـروط الصلاة، وإنّ الصـوم عندهم عبارة عن ثلاثين رجلاً..وأنّ الذي خـلـق السـموات والأرض هـو علي بـن أبي طـالب (رض.)وهـو عندهم الإلـه في السـماوات والإمـام في الأرض ، فكانت الحكمـة في ظهور اللاهـوت بهذا النـاسـوت على رأيـهـم ، أنـه ليؤنس خلقـه وعبيده ليعلّمهم كيف يـعبدونـه ويـعـرفـونـه...وليعرفوا انتقال الإسـم والمعنى في كلّ حين وزمـان[12] .

فالإسـم عندهـم في أوّل الناس آدم والمعنى شيث، والاسم هـو يـعـقوب والمعنى هـو يـوسـف... ويجعلون موسى هـو الإسـم ويوشـع (بن نـون) المعنى، ويجعلون سـليمان هو الإسـم وآصاف هو المعنى المقتدر. ويـعـدّون الأنبياء والمرسـلين واحـداً بعد واحـدٍ على هذا النمط إلى زمان رسول الله (ص)، فيقولون محمد هو الإسم وعلي هـو المعنى...فمن حقيقـة الخطـاب والديـن أنّ علياً هو الرب ومحمد هو الحجاب وسـلمـان هـو الباب ، وذلك على الترتـيب، لم يـزل ولا يـزال...وكذلك الخمسـة الأيـتـام، والإثـنـا عشـر نـقـيـبـاً وأسـماؤهم معروفـة عـنـدهـم وفي كتبهم الخبيثـة ، لا يـزالون يظهرون مـع الربّ والحجاب

والباب في كل كور ودور أبداً سرمداً وإن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب ودونه في رتبة الأبلسية أبو بكر ثم عثمان ،رضي الله عنهم أجمعين...هذه الطريقة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام ...

هؤلاء القوم الموصوفون المسمّون بالنصيرية، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية (إحدى الفرق الإسماعيلية)، أكفر من اليهود وانصارى، بل أكفر من كثير من المشركين، وضررهم على امة محمد (ص)أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار الترك والإفرنج وغيرهم، فإنّ هؤلاء يتظاهرون عند جُهّال المسلمين بالتشييع وموالات أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنةٍ ولا نار ولا بأحدٍ من المرسلين قبل محمد (ص)...ومن المعلوم عندهم (أي عند العلماء) أن السواحل الشامية ، إنما استولى عليها النصارى من جهتهم... ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار[١٣] ...فاستوليالنصارى على السواحل بسببهم[١٤] ...

وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم وجندهم ، فهو من الكبائر، بمنزلة استخدام الذئاب لرعي الغنم. فإنّهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمرهم، ومن أحرص الناس على فساد الملّة والدولة، وهم من أحرص الناس على تسليم الحصون إلى أعداءالمسلمين، فالواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة، لا بغزوٍ ولا بغيره...لكنّ دمائهم وأموالهم مباحة، وإن أظهروا التوبة ففي قبولهم منها نزاعٌ بين العلماء. فمن قبل توبتهم إذا لزموا شريعة الإسلام أقرّ أموالهم عليها، ومن لم يتقبلها ، وورثتهم من جنسهم ، فإنّ مالهم يكون فيئاً لبيت المال... وبسبب كتمان أمرهم، ففيهم من لايعرف (أسرار المذهب) فالطريق في ذلك ان يحتاط في أمرهم، فلا يُتركوا مجتمعين، ولا يمكنّوا من حمل السلاح وأن يكونوا من المقاتلة، ويلزموا شرائع الإسلام..."[١٥]

إن الحكم على فتوى ابن تيمية يأخذ وجهين مختلفين، الأول في الشكل والآخر في المضمون.

أما عن الشكل ،فإننا نلاحظ اطلاع ابن تيمية الواسع على تعاليم الديانة النصيرية بشكل وافرٍ، فتكاد لا تختلف تلك المعرفة عن الدراسات

ss

الحديثة ولكن بأسلوب عصره وبحكم موقعه كعالم من علماء السنّة، رغماً عن بعض الأخطاء البسيطة التي يقع فيها أي باحثٍ. أمّا في المضمون، فإن بعض التعابير تعني إعلان حرب حاسمة أو أن حكماً بالإعدام قد تمّ توقيعه مُسبقاً ، وبشكلٍ خاص العبارة التالية: "لكنّ دماءهم وأموالهم مباحة..."وتعابير أخرى ، بهذه الشدّة جعلت الكثيرين من المحلّلين ومن الجمهور، يعتبرون هذا الحكم قاسياً وجائراً. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ماهي الفترة التي يمكن أن تعتبر خلالهاالفتوى صالحة ؟ وهل الفتوى كتابٌ منزلٌ مع العلم أنّ القرآن الكريم فيه الناسخ والمنسوخ. ومن جانب آخر فإن ابن تيمية عاش في ظروفٍ تاريخيّةٍ قد لا تقل صعوبة عن الفترة التي تمرّ بها الأمة الآن، وذلك خلال قرنيين متواليين، في حروبٍ ضدالفرنجة الذين تستروا وراء فكرة تخليص قبر المسيح عليه السلام من أيدي الكفرة..وكذلك الدمار الذي لحق العالم، وبشكلٍ خاص الأمة الإسلامية من جرّاء زحف المغول . لا شك أنه يمكننا نعت ابن تيمية بالتعصب في عهد الرخاء ، ولكن في عصرٍ عصيب ، ففي الأمر تفاوت، فمثلاً لايمكن أن ننسى موقف الحكومات الفرنسية التي توالت بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة للذين تعاملوا خلال الاحتلال مع القوات النازية، أو في غيرها من دول أوربا ... فإنّ المارشال فيليب بيتان، نجم الحرب العالمية الأولى، والذي كان له الدور الأهم في دحر ألمانيا، لم تتوانى الحكومة الفرنسية بالحكم عليه بالإعدام بسبب قبوله الهدنة والتعامل مع ألمانيا خلال الحرب الثانية..فنحن لا ندري بالضبط، أي ميزان من موازين الوطنية يجب أن نستخدم أو نستعير. قد يصل التسامح أحياناً عندنا إلى حد البلاهة، وأحياناً يصل العقاب إلى حدّ الوحشية والانتقام. وقليل في تاريخنا العربي الحديث من ميّز بين العقاب وبين الإنتقام !

ومن الذين كتبوا عن النصيريين من علماء السنّة ، القلقشندي في كتابه، صبح الأعشى في صناعة الإنشا[١٦]، ولم يختلف في الوصف عن سابقيه، وقد اعتمد عليه محمّد كرد علي في كتابه المعروف، خطط الشام، كما اعتمد على رأي سليمان الأحمد، والد بدوي الجبل، الذي أعطى رأياً مخالفاً تماماً لكافة الآراء التي قدّمناها ، ونكر جميع المصادر

والأبحاث والمخطوطات التي وجدناها ووجدها الباحثون من قبلنا، شكلاً وقالباً وكمّاً وكيفاً[١٧]. وقد شاركه بهذا الرأي منير الشريف في كتابه: المسلمون العلويون، من هم وأين هم .ونقل هذا الآخير فتوى الحاج أمين الحسيني والتي صدرت في صحيفة الشعب الدمشقية بتاريخ ٣١ تموز ١٩٣٦ وهذا نصّها: " إنّ هؤلاء العلويين، مسلمون وإنه يجب على عامة المسلمين آن يتعاونوا معهم في البر والتقوى، ويتناهوا عن الإثم والعدوان، وأن يتناصروا جميعاً ويتضافروا ليكونوا قلباً واحداً في نصرة الدين ويداً واحدة في مصالح الدين. لأنهم إخوانٌ في الملّة ولأن أصولهم في الدين واحدة ومصالحهم في الدين مشتركة، ويجب على كل منهم بمقتضى الأخوّة الإسلامية أن يحبّ للآخر ما يحبّ لنفسه ،وبالله التوفيق".

وصدف أن التقيت بالأستاذ سعيد البوطي، بمدينة ستراسبورغ في أواخر ستنة ١٩٩٠، وهو من كبار المدرسين في كليّة الشريعة بدمشق، وتكلّمت معه عن أبحاثي في المذاهب الباطنية، فأجابني سريعاً أن أطلع على كتابات الشيخ مصطفى الشكعة في كتابه: إسلامُ بلا مذاهب[١٨]، فنفضت منه يدي مباشرة لسسببين، أمّا أنه لايعرف الفكرة الدينية الفلسفية للمذهب،وهذا ما أشكّ به، أو أنه يريد أن يتحاشى أي مشكلة مع السلطة في سورية .

لو توقّفنا عند مجمل هذه الآراء، والتي تشكّل ملخّصاً عن آداب طويلة عبر تاريخٍ طويل، لايزال حاضراً في الأذهان ، يمكننا أن نستخلص أولاً انّ كل طائفة تتربّص بالأخرى، وذلك ضمن بقعة صغيرةٍ من الأرض بالنسبة لكامل التراب العربي، أو بالنسبة لحجم الأمة الإسلامية، ولكنّ هذه البقعة هي أخطر الأماكن استراتيجياً . وثانياً يمكننا أن نستنتج منها آيضاً الأسباب العميقة التي أدت بسورية ولبنان والعراق وفلسطين إلى الوضع الراهن.

إن كل أمة أو دولة أو مدينة أو قرية أوجماعة من الناس يرتبط مصيرها بجملة الناس الذين يعيشون فيها أو معها. ولكن إذا كان الأفراد وأتباع الطوائف والمذاهب ، والتي لا يسهل تعدادها في تلك المنطقة لكثرتها، يتربّصون ببعضهم البعض، وعن سوء نيّةٍ، فذلك يعطي

بـالنتيـجـة السـطـور المظلمـة التي تـكتب تـاريخ المنطقـة في عصرنـا الراهـن.
إن قـضـيـة التعصّب الديني عاشـت مـع الإنسان منذ فجر الحضـارات[١٩] هذا التعصب يـشـتـدّ خلال الأزمـات. وإن لم يـجـد أبـنـاء الوطـن الواحد سـبيلاً حليماً للخروج من أزمـاتـه، فمن المسـتحيل أن يأتي الآخرون وخاصةً اعداؤهـم، ليحلّوا لهم أزماتهم، كذلك حصل في بيروت بعد أن أخرجت القوات الدولـية المقاومـة الفلسطينية مـن بيروت، سـنة ١٩٨٢، فحلّت المشكلـة بمذابح صبرا وشـاتيلا، وكذلـك أيضـاً أتت ذات القوات بشـكل أكبر لتحل مشـكلة الخليج، فهدّمت العراق وأجـاعته وجعلت مـن السـعوديـة الدولـة العظمى في الديـون التي تـتراكم عليها لصالح المصارف الأجنبية. ولذلك فإنـه لمن المسـتحيل أيـضـاً تـقـدير العواقب بهذه العقليات. تـلك العواقب التي شـاهد جيلنـا فصلاً منها، ونخشى أن يـكون الفصل التالي أشد قسـوةً.

SS

الهوامش

(١) الغريب في الأمر أنّ حمزة بن أحمد بن علي ، مؤسس الديانة الدرزية يتّهم العلويين بأنّهم يؤمنون بالتقمّص والتناسخ، أنظر الرسالة الدامغة بالرد على الفاسق النصيري، الرسالة الخامسة عشر التي طُبعت في كتب متعدّدة، منها كتاب سيلفستر دو ساسي، الآنف الذكر ومنها دورية الإسلام باللغة الألمانية، العدد ٢٠سنة ١٩٣٩ .. رغماً عن أنّ الدروز يؤمنون بالتقمّص والتناسخ أيضاً، أنظر سيلفستر دو ساسي، ذات المرجع، ص ٥٦٢

(٢) أنظر الدورية الأسيوية المجلّد ١١، سنة ١٨٧٢، صفحة ٤٨٠. راشد الدين سنان ، هو شيخ الجبل، الذي لعب دوراً هاماً في تاريخ الحروب الصليبية وتوطيد مركز الإسماعليين في منطقة جبال العلويين وهو بنظر الإسماعيليين في سورية برتبة الإمام، أنظر أطروحتنا الآنفة الذكر، ص ٣٣.

(٣) كان ذلك منذ عهد حسن الصباح في اللاموت، بإيران، أنظر الموسوعة الإسلامية، باللغة الفرنسية، الطبعةالثانية، جزء ٤، مقال: الإسماعيليون.

(٤) أنظر الأعلام للزركلي، جزء ٣، ص ٢٦٨، وانظر بول جاكوت في كتابه دولة العلويين، الصفحات ١٦– ١٨ باللغة الفرنسية.

(٥) أنظر أطروحتنا الصفحات ١٥٢–١٩٠، وانظر نيكولا فان دام، الصراع على السلطة في سورية، باللغة الإنكليزية، الصفحات ٨٧،٥١،٤٩.

(٦) أنظر عبد الحسين مهدي العسكري، العلويون أو النصيرية ص ٤

(٧) أنظر المصدر السابق، ص ٨٤

(٨) أنظر الشهرستاني، محمّد بن عبد الكريم، الملل والنحل، الجزء ٢، ص ١٥

(٩) أنظر فيصل التفرقة مابين الإسلام والزندقة، ص ١٤٨

(١٠) أنظر الفَرق بين الفِرق، ص ٢٨٢

(١١) لم نجد ضمن المراجع التي اطلعنا عليها أنهم يرمزون إلى الإمام علي(رض) بإحدى صلواتهم، بل وجدنا أن النبي محمد (ص) يُرمز له بإحدى الصلوات مع فاطمة وحسناً وحسيناً وأخيهم المحسن السرّالخفي، الذي توفي بعد شهرٍ من ولادته، أنظر كتاب التعليم، سؤال وجواب ١٠١.

(١٢) أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب، ص ١٥

(١٣) ما يؤكّد هذا الكلام، أنظر غالب الطويل ، تاريخ العلويين، الصفحات ٣٨٧ إلى ٣٩٢

SS

(١٤) هـذا الكلام يتعارض مع كتابـات المؤرّخين اللاتـينيـيتن المعاصرين لتلك الفترة، حيث نقلوا أن النصيريـين قـاومـوهم في البدايـة، ثم بـعـد أن اجتاحوا قـراهم هـادنوهم، وللمزيـد مـن المعلومـات، أنظر رينـه دوسـو، المصدر السابق الذكر، صفحات ٢٢-٢٣. ومما هـو معروف أن أهم اسـباب نجاح الصليـبيين في أنطـاكية، ومن ثم اقترافهم للمذابح المعروفة في التاريخ في أنطـاكية وبيت المقدس بشكل خاص، كان سـببه الصراع بين أبناء العم، والي حلب و والي دمشـق اللذان انشـغلا في حرب اهلية بينهما ولم يسـتجيبا للنجدة التي طلبها والي أنطاكية، بالإضـافة لذلك فإنّ أكثر ضـحايا تلك المذابح التي اقترفها الصليبيون كانوا من المسيحيين الأرثوذكس، وللمزيـد من المعلومات إقرأ كتابـات الأميرأسـامـة بـن منقذ المتعدّدة حـول أحوال الأمـة من الخصـام والتفرقـة في تلك الفترة التي تـتشـابـه كثيراً بعصرنـا هذا.

(١٥) أصـبحت فتوى بن تيمية أشـهر من نـار على علم، و للاطلاع عليها كاملة أنظر مجموعة فتاوى بن تيمية التي طبعت في بيروت وفي الرياض والقاهرة...والدراسـات عليها أيضـاً في الدوريـة الآسيوية، العدد ١٨، الجزء السـادس، سنة ١٨٧١، الصـفحات ١٦٧-١٩٨ن وكذلك هاشـم عثمان وكتابـه :العلويون بين الأسـطورة والحقيقة، الصفحات ٥٢-٦٢...

(١٧) أنظر الجزء السـادس، صفحات ٢٦٥-٢٦٧

(١٨) مصطفى الشـكعـة، لا يخرج في كتـابه عن الدعوة التي أفتى بها الحسيني، ومقصده كمقصد الحسيني، تخفيف حدّة التنافر الطـائفي بين المسلمين وتـوحيد الكلمـة بين جميع أبناء الأمـة، ولكن لا يمكننـا وضعه في حيّز الكتب العلمية إنمـا يمكن وضعه بين كتب المصلحين، وتلك الغايـة مشكورة إذا أدّت إلى نتيجـة...

(١٩) أنظـر مثلاً ملحمة جلكاميش، والتنافر بين الآلهـة والبشر ، وهـي أول ملحمـة وجدت في التاريخ حتى الآن.

SS

كتاب الأسوس

الذي هو لسليمان الحكيم

الجزء الأول من المخطوطة ١٤٤٩ في المكتبة الوطنية بباريس

SS

تقديم المخطوطة

هذه المخطوطة التي سُجّل عليها الأصل اليوناني في الورقة رقم ٨٠، تشكّل الجزء الأول من المخطوط رقم ١٤٤٩، في القسم العربي من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس، وهي مؤلّفة من ثمانين ورقة موزّعة على ١٦٠ صفحة، متوسّط الخطوط في كلّ صفحة خمسة عشر، يلاحظ أنه قام بكتابتها ناسخان لاختلاف الخط المستعمل.وتمّ النسخ سنة ١٢٠٦ للهجرة، أي ما يعادل سنة ١٧٩٠ للميلاد، الحجم 21x 15 سم٢. واسم الناسخ الشيخ جابر بن الشيخ غريب. و نُقلت من قرية رأس بعيلة من قضاء صافيتا، ولاية طرابلس في لبنان (حالياً).ولقد وجدنا من آثارها في كتبٍ متفرّقة من المراجع الدينية للمذهب العلوي النصيري، منها ما نقله المفضّل الجعفي في كتابه الهفت والأظلّة، السابق الذكر في الصفحات ٢٩ و٣٠، والتعبير يتعلّق بإبداع الخالق ،وهو التالي" إنّ الله خلق النور قبل الظلمة وخلق الخير قبل الشر..والروحانية قبل الجسمانية(انظر ص ١٠٦ من هذا الكتاب)وهذا يعادل الورقة ٢٧من المخطوط الأصلي وبما أنّ المفضل قد توفي في الربع الثالث من القرن الثاني للهجرة، وأنه عاشر الإمام جعفر الصادق كما تخبرنا كتب الشيعة والنصيرية، وبما ان الإمام الصادق قد توفي في سنة ٧٧٢/١٤٨ فإننا نعتقد بأن كتاب الأسوس هو من أول الكتب التي تُرجمت من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، أي في بداية العصر العباسي الأول، مع التغيرات التي أوردها أتباع المذهب النصيري على مدى السنوات في هذا الكتاب، وكذلك عوّدنا الكثير من المترجمين العرب، وقد توقّف الاستاذ عبد الرحمن بدوي على هذا الموضوع بشكل موسّع على هذه المشكلة ، ومن كتبه حول هذا الموضوع باللغةالفرنسية، نقل الفلسفة اليونانية إلى العالم العربي، شرح حول أرسطو، نصٌ مفقود من اللغة اليونانية. ونحن نرجح ان هذا النص يمكن أن يكون منحولاً عن أحد كتب الإسكندر الأفروديسي لشرح أحد كتب أرسطوا مع العلم أن الإسكندر الأفروديسي له مرتبة خاصّة عند النصيرية كما ورد في المخطوط ١٩ من مكتبة كييل في ألمانيا.

وحيث أننا صادفنا وجود بعض الآيات القرآنية الكريمة، فقد عوّدنا الفلاسفة المسيحيون ،قبل المسلمين، في العصر البيزنطي خلال القرون

الأولى للميلاد،على إضافة تعابير إنجيلية ، وكانوا ينسبونها إلى الفلاسفة.لهذا فالأمر لا يُستغرَب إذ صادفنا بعض الآيات الكريمة في المخطوط، وهذا يعني أيضاً أنّ تغيرات قد أصابت النص الأصلي.

وقد ورد ذكر هذا الكتاب في مخطوطات وكتب أخرى، منها المخطوط رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس ،الورقة ٩ والورقة ١٠٤. وهذه التعابير توجد في الورقة ١١ والورقة ٤٢ من هذه المخطوطة،وهي التالية:(صورة لا مصور لها وصورة لها مصوّر. قال السائل: فكيف صارت له صورة؟ قال العالم: لحاجة المخلوقين إليها كحاجتهم إلى الكلام، لأنه لا كلام إلاّ من صورة)...(قال السائل: اخبرني عن الله ما هو اسمه ؟ قال العالم هو الله.قال السائل: هو اسم أم معنى؟ قال العالم: هو معنى. قال السائل: لا بدّ للمعنى من اسم يعرفه الناس به. قال العالم: أجل. قال السائل: فإن كان كذلك فإنّ الله أسم لنفسه ومعنى لنفسه). وكذلك وردت مقاطع من هذا الكتاب في المخطوط ١٩ من مكتبة كييل في الورقات ٩ و ١٠ وهي تقابل الورقة ٥٠ من المخطوطة، والنص هو :(والناس على وجهين: أحرارٌ وعبيد، أمّا العلماء فهم أحرار، وأمّا الجهّال فهم عبيد، والكفّار فهم عبيد العبيد ممن مُسخ من المركوب والمأكول والمذبوح ، يُتقرّب بهم إلى الله...) وقد ورد ذكر الكتاب أيضاً في كتابٍ آخر بعنوان: عن موالينا آل البيت في الصفحات ١١ و١٥-١٦ الذي طبعه رودولف شتروتمان في ألمانيا (أنظر المراجع)،وكذلك أورد جوزيف كتافاغوا ذكره في المجلّة الأسيوية، المجموعة السابعة، المجلّد الثامن ، الصفحات ٥٢٣-٢٥ تحت رقم ٨ من مجموعة الكتب التي اتطلع عليها وأرسل عنها رسالته إلى المجلة الآسيوية سنة ١٨٤٨.

ومن جانب آخر، فإن أكثر الذين كتبوا عن هذا الكتاب عاشوا مابين القرن الثاني والقرن الرابع للهجرة. ولكنّ نسبه إلى سليمان الحكيم لا يتناسب مع الواقع لأسباب عديدة اهمها الأسلوب الذي كُتِب به هذا الكتاب بعيدٌ جداً عن نشيد الأنشاد، هذا إذا صح نسبة نشيد الأنشاد لسيدنا سليمان عليه السلام.ونحن نعلم أن العرب تنسب الكثير من الأعمال لسيدنا سليمان، فهذا النابغة الذبياني ينسب له بناء تدمر بقوله:

SS

إلاّ سليمان ، إذ قال الإله لـه قـم في البريـة فاحددها عن الفنـد
وخيّس الجنّ إني قد أذنت لهم يبنـون تـدمـر بـالصفّـاح والعمـد

وكذلك ينسبون إليه بناء مدينة بعلبك كما أورد رينيه دوسو في كتـابه السالف الذكر معتمداً على كاتب لبناني من القرن الثامن عشر يدعى خليل الظـاهري. وينقل إلينا حنين ابن إسحاق في كتاب آداب الفلاسفة . الصفحات ١٥٧-٦٣ الذي حققه عبد الرحمن بدوي ، أنه قام حوار بين سليمان وفلاسفة الجن في جزيرة معزولـة . ونذكّر ايضاً أن ذكره في كتاب ألف ليلة وليلة، عدا عن ورود ذكره في القرآن الكريم سبعة عشر مرّة...فإذا نسب العلويون النصيريون هذا الكتاب لسليمان فالأمـر ليس مستغرباً، وعلينا أن لا ننسى أن بـعض الكتاب المسلمين أوعزوا تـلمذة فيثاغورث لأتبـاع سليمان الحكيم وكهنـة المصريين، كما يقول موفّق الدين بن ابي أُصيبعة في طبقات الأطباء.

أمـا عن أسلوب الكتاب فهو شبيه بالحوار الأفلاطـوني، وقد سار على هذه الطريقة المفضّل بن عمر الجعفي في الكتابين اللذين وصلا إلينا وهما : الهفت والأظلّـة ، وكتاب الصراط.. كذلك نجد فيه بعض التشابـه مع أسلوب بتانـجلي، الفيلسوف الهندي، الذي آورد لـه البيروني بعض التعابير في كتابـه. تحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرزولـة، في الصفحات ٢٣-٢٤ و٤٤ .وأمّا محتوياتـه فلأنهـا تشمل على أفكار إسلامية شيعية متطرّفـة، وتفسير لبعض فقرات الأناجيل وتشمل ايضاً على آراء لتابعي الفلاسـفة من المدرسة الأروسـطوقراطية والأفلاطونية الجديدة، والكثير من التعابير التي تتشـابـه مـع أفكار نـُمونيوس الآفامي، واتباع فيثاغورث من مسيحيـين ويهود كفلاطـن ودَمسيوس وغيرهـم ممن شـغلوا الساحة الفكرية في مصر والشام واليونان منذ مطلـع القرن الثاني للميلاد حتى بداية القرن السادس... وبما أننا لم نستطع الحصول على مخطوطة أخرى، حتى تتـم المقارنـة بـين الاثنتين او أكثر، فإننا اضطررنا في بعض الأحيان تغيير بعض الجمل المنقولـة بشكلٍ سـيءٍ للغايـة. وجملة المخطـوطـة كذلك. لهذا السبب، لم نتوقف عند الإشـارة على الأخطـاء اللغويـة نحوياً من نصب اسم إنّ مثلا أو رفع خبر كان وغياب الهمزة على نبرة غياباً مطلقاً وعدم الالتزام بقاعدة الفعل المضارع المجزوم ...ولو فعلنا ذلك وسجّلناه في أسفل الصفحات لخرجنا بما يقارب العشرين خطيئـة نحوية في

كلّ ورقة عدا عن الأخطاء الإملائية. ونحن نأمل من الله عزّ وجل، ان يتجرأ أحد الباحثين في المستقبل على طبع هذه المخطوطة مستنداً على نسخة أخرى، وأن يقارنها بهذه النسخة التي بين أيديكم.

ختاماً، لقد وقع خياري على هذه المخطوطة من جملة المخطوطات التي أقوم بدراستها وإعدادها للنشر، لفتح حوارٍ بين ابناء الأمة. لآنها قد تكون المخطوطة الوحيدة عن الديانة النصيرية التي يمكن وضعها في حيّز النقاش والحوار والجدال الفلسفي والديني والاجتماعي، إذا ما قيست بالمخطوطات الأخرى.ليس الهدف، كما نسمع يمنة ويسرة (فضح الباطنية). ولكن الواقع آننا جميعاً في قفص الاتهام وجميعنا ابرياء بآن واحد.إنَّ المستقبل الاجتماعي والسياسي لأية أمة يتطلب الحلم والحكمة. والدماء لا تجرّ وراءها إلا الدماء، والسلام ضعيف بطبيعته، يصعب على الأمم بناءه بقدر ما يسهل عليها تهديمه، ونحن بحاجة لسلام في مجتمعاتنا قبل أن نذهب لنتحاور مع إسرائيل على قضية السلام، لأن السلام بهذا الشكل ليس إلا استسلاماً. فالهدف من نشرهذا الكتاب هو جزء من مطلع أو مقدمة لحوار حول الباطنية التي أوصلت بنا خفاياها من طرف أو آخر إلى حرب أهلية، نأمل من الله ان لا تتكرّر.

SS

كتاب الأسوس
وهو هذا إن شاء الله تعالى

وما توفيقي إلاّ بالله، والحمد لله الدالّ على نفسه بنفسه، ولا يَدلُّ عليه إلا هو. منه القديم الأزلي الغاية، الذي لا يدرك باطنه، ولا يدري أحدٌ كيف هو إلا هو، الذي ظهر بحجته لبريته، وجعلهم المعاني وأيّدهم بحجّته وخصّهم آئمّته وفوّض إليهم ما شاء، واصطفاهم وجعلهم السفير بينه وبين عباده. وباطنه غيبٌ وظاهره بيوته وحجبه، ومعانيه هم الدالون عليه والداعون إليه.

لا يستدرك علم هذا الكتاب إلاّ بالأسماء والصفات والأسماء المتشاكلات والأسماء العاميّات والأسماء الخاصيات المتضدات والأسماء المتشابهات وما يحثّها ومن يتفقّهها من حيث وأين وكيفية فصول هذه الأسماء، وبأي شيءٍ تُعرَفُ أُصولُ هذه الأسماء، حتى تَعرف الرجل وما فيه وما عليه ويَعرف ما عليه، ويعرف ماله، وتعرفُ ماينتمي من الكلام ، حتى تعرف تلك النظائر في آخر الهيولي وخصائصها.

سألت الرضا عليه السلام[1] ما الهيولي ؟ فقال: الأصل الذي يُحتاج إليه، وهي لفظة معنى، وذلك بالفارسية في اللسان الأوّل[2]

بسم الله الرحمن الرحيم،هذا كتاب معرفة حكمة سليمان بن داود،عليه السلام، وهو الذي يسمى

كتاب الأسوس.إنه أساس كل شيْ. بمعرفة هذا الكتاب وهب الله له ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وعرّفه سائر اللغات من الإنس والجنّ والطير وغير ذلك . وسخّر له الريح والبهائم والسباع. وهو أم الأرض الظاهرة منها والباطنة، ودواب البحر والجنّ والأنس فهم يوزّعون. ثم أوحى الله إليه، أن اِصنع كتاب حكمةٍ وتسميه كتاب الأسوس. إنّ أساس الحكمة

---

(١) الرضا هو علي الرضا، عليه السلام، الإمام الثامن لدى الشيعة الإثنى عشرية وابن الإمام موسى الكاظم.

(٢) الهيولي كلمة يونانية أو عبرانية معرّبة، وليست فارسية، وهو ماتراه في البيت من ضوء الشمس، يدخل في الكوّة (أنظر لسان العرب لابن منظور، فعل هيل).

ss

فيه. فقال سليمان: الله فضّلني بهذه الألوهية[1] ومنَّ عليّ بذكاء القلب مع قوة العقل والعلم، فإنّ أوجب الأشياء وأعظمها معرفة الله الذي لا عوض عنها، وكونه ، وقدمه، وأزليته، وغايته، التي لا بدّ لكلّ روحاني من معرفتها، مع معرفة قدرته ثم معرفة صفاته من بعد المحدثات المخلوقات. فأول ذلك معرفة أبنية الكلام التي لم يهب الله علمها إلاّ لنبي مرسل أو وصي أو مؤمن ممتحنٍ مستبصرٍ بالغٍ عرفه كنه معرفةٍ ورزقه الفهم بها. في كتاب أبنية الكلام (و) في معرفة النتائج والكمال الهيولي وأيّ من أيّ والكيفيّة والكليّة والموضوعات والمنسوبات والمتشابهات والمتشاكلات والمجيبات والمجسات والأدوات والحواس والجوارح المرجئة التالية (ومعرفة) الخاصة وخاصة العامة ومعرفة الحركة ومعرفة السكون ومعرفة الجواهر ومعرفة النقصان ومعرفة الزيادة ومعرفة الموصول ومعرفة المفصول ومعرفة التأليف ومعرفة المقطوع ومعرفة المتصلات ومعرفة المتباينات ومعرفة الآتي إلى موردٍ واحدٍ ، فإنّ معرفته تجب على كل روحاني. ومعرفة الحُجب ومعرفة النقلة ومعرفة السماء وما فيها ومعرفة الأرض وما فيها والبحار وما فيها ، ومعرفة القمر والشمس ومجراها وأبراجها ومعرفة النجوم والأفلاك ودوائرها ومعرفة النجوم والكواكب ومسارها، ومعرفة الهواء واختلافه.ومعرفة الطبائع الوسطى ومعرفة الطبائع العليا ومعرفة الطبائع السفلى.ومعرفة النبي آدم، كيف كان تركيب بدنه ومما كانت روحه ، ولما كان في الجنة حراً وفي الأرض عبداً، ولما كان في الجنة مهملاً لا أمر ولا أخذ عليه، ولا نهي ويصنع ما يشاء، حتى نهاه الله عن واحدة، عن أكل الشجرة. ولما افترض الله عزّ وجلّ في الأرض عليه فرائضاً إن قصّر عنها عُوقِب وعُذّبَ ، ولما حظر عليه المأكل والمشرب إلاّ بمقدار. ولما قيل : إن أنتَ رجعت عن غفلتك وشهرتك رُدِدت إلى الجنة كما كنت حراً. ومعرفة النسب والشعوب ، ومعرفة القبائل ومعرفة الخير والشر، ومعرفة العقل ومعرفة الجهل، ومعرفة الطاعة ومعرفة المعصية ومعرفة ما يخرج من المسوخية...

---

(١) ربما يعني النادر ؟

قال الرضا، عليه السلام، إنّ سليمان قال: لا يجوز أن أبلغ في هذا كلّه، ولكن أجمع عليه من حكماء أرض فارس ألف رجلٍ، ففعل ذلك. قال لهم: إني أُمرتُ بأمرةٍ ، أن أضع كتاباً أجعل فيه كذا وكذا، ووصف ذلك كله، فأعينوني بأسماعكم وعقولكم، فإنّ الرأي إذا اجتمع كان أصوب وأقرب إلى الحق، والنصفة، فأشيروا عليّ بما عندكم.

فقالوا : يانبي الله، الأرض أربعة أقسام وأربع فرق، منها المقدّسة التي لم يزل فيها ربع [1]، والربع الثاني الروم، والثالث الهند والرابع العجم، فإن رأيت أن توجه إلى من يأتيك من كلَ ناحيةٍ بألف حكيم من حكمائهم حتى تناظرهم في كل يوم ست ساعات[2]. فقال سليمان: قلتم الحق وأشرتم الصواب...

قال: فألّفوا كتاباً يسمى تأليف أبنية الكلام. واجتمع على تأليف الكتاب أربعة آلاف حكيم عليم. فلمّا عرضوه على سليمان، فقرأه إلى ما أعطاه الله، فوجده مشاكلاً له. فقال لهم: وضعتم أصول المعارف وأسستم بنيان فهم وتدبير ، فأتمّوا بناءه وأجيبوني عن كل حرفٍ بما يشاكله ، على أنّ الأمر قد سهل. ولإن تفرغوا أنفسكم لوضع كتاب الآسوس.

---

(١) الأرض المقدّسة هي فلسطين.

(٢) دعوة أربعة آلاف حكيم من الأقاليم الأربعة الواردة الذكر يلفت انتباهنا إلى القصة الواردة في رسالة وردت في بني إسرائيل، من أحد الأناجيل التي تعتبر مزيفه (أي أنها ليست من الأناجيل الأربعة المعتبرة من قبل الكنيسة)، الأريستي، والتي يقول من خلالها أنّ بتولومي الثاني فيلاديلف ، أحد ملوك الإسكندرية اليوناني (مابين ٢٨٢-٢٤٧ قبل الميلاد) جمع إثنين وسبعين مترجماً من كل قبيلة من قبائل بني إسرائيل،أتوا من أُرشليم (القدس) وخلال إثنين وسبعين يوماً كانوا معزولين في جزيرة =فاووس طلب منهم ترجمة أجزاء من العهد القديم إلى اليونانية، فأعطوا ترجمة واحدة نصّاً ولغةً.(أنظر، كتاب العهد القديم، بالفرنسية، طبعة باريس، دار النشر، لابليّاد ، ص٢٠). وإن كانت هذه الآداب متداولة منذ العصور القديمة، فإننا نعتقد بأنه كان لها صدى في المنطقة التي سكنها ويسكنها النصيريون العلويون، منذ العصور القديمة، ففي إحدى الفقرات المنسوبة لنمنيوس الآفامي يتكلم عن الخير، فيقول: حول هذه النقاط' وبعد أن استُشهد بخواتم أفلاطون، يجب البحث عند من سبقه، والعودة إلى الشعوب القديمة والحكماء الأقدم، وإيصال ذلك حتى تعاليم فيثاغورث، ثم دعوة هذه الشعوب التي تحمل ثقافتها من أتباع أفلاطون ليكملوا تعليمهم بالاطلاع على ماوضعه البراهمة واليهود والمجوس والمصريون" أنظر هنري بيوش ، بحث في الغنوسطية، الجزء الثاني، ص ٤٢، باللغة الفرنسية.

ss

فقالوا يانبي الله ، لا يجتمع لنا رأي لكثرتنا، فإن رأيت ، تخيّر من كل فرقة مائة رجلٍ. قال فافعلوا. ثم أنهم رجعوا ، فجعلوا الاختيار عشرة. ثم اختاروا من كل ألفٍ حكيم واحدٍ. ثم قالوا: أيضاً هذا كثير، ولا يتم هذا الأمر إلا بسائلٍ ومجيب، وسائر الحكماء يستمعون. فقال: صدقتم، فاجتمعوا على ذلك.

قال ابن الخدري،حدثني محمدبن إبراهيم البغدادي، صاحب الرضا، عليه السلام، أن المأمون في زمن خلافته، طلب هذا الكتاب الذي يسمّى: تأليف أبنية الكلام، فوجدبعضه عند أهل الروم وبعضه عندأهل فارس وبعضه عند أهل الهند. فجاءه مُبشّرٌ، أنه قد ذهب أكثره. فاغتمّ المأمون إذ لم يجده صحيحاً تاماً. فلما رأى الرضا عليه السلام ماوجد المأمون عليه، قال له: عندي. وقد بلغني أنّ المأمون عند ذلك قام إليه، وقبل رأسه وقال له: ياسيدي، قد علمت أنكم معدن الحكمة (ويعني بذلك آل البيت)، فهل تأمر بإحضاره؟. فقال الرضا عليه السلام: أنا أحفظه حفظاً. فتعجّب المأمون من ذلك وقال: بلغني أنه في ألف وجه. قال الرضا. نعم، وأنا أحفظه من أوّله إلى آخره. ثم أمر أن يبايع له ويجعله ولياً. قال الأمر لكم، هو والله لكم، وأنا أول من يخرجه من عنقي. ولولا أنّ أهل بيتي يغلبونني ويجلسون غيري لنزعتها من نفسي وأجلستك مجلسي. ولكن أعقلك وأُحكِم لك الأمر حتى لا يختلف فيه اثنان بعدي. فكان من أمره وإحكامه له ما كان. ثمّ ارتدّ ناكصاً على عقبه[1]

ثمّ اجتمع الحكماء عند سليمان، وانفرد العالم والسائل.فكان فهيماً

قال السائل: أخبرني أيها العالم ما تأتيه، عمّا يكون في الله وما لا يجوز فيه وما يمكن، وأين هو ، في أي شيءٍ هو؟ هل هو خارج أم داخل فيهم (في الأشياء كما سنرى في الصفحات التالية)، أم لا خارج ولا داخل؟ أم ممازجٌ لخلقه ام مباين ؟ أم لا ممازج ولا مباين ؟ وما حدّ المعرفة إذا

(١) المعروف عند المؤرّخين المسلمين أنّ المأمون كتب كتاباً في أن يولى الخلافة من بعده علي بن موسى الكاظم، لكنّ آل عبّاس بن عبد المطلب قاموا عليه، فتراجع عن وصيّته، انظر أحداث سنة ٢٠١ للهجرة في تاريخ الأمم والملوك للطبري، والمنتظم في أخبار الأمم والملوك لابن الجوزي، ذات العام وغيرها من مراجع التاريخ الإسلامي لذلك العام.

عرفها العارف وبلغها اكتفى ولم يحتج إلى معرفةٍ غيرها، هي غاية المعرفة ؟

قال العالم: أمّا أول مسألة أجيبك عنها فهي آخر مسألةٍ سألتني عنها. لو كان ممازجاً للأشياء لكان مشاكلاً لها، ولو كان مبايناً لكان لها ضداً، ولو كان لا مبايناً ولا ممازجاً لكان مجهولاً. ولكن أقول إنه مباينٌ لها في جوهرها من الإلهية والقدرة والعلم والفهم[1]. ولا أقول إنه مباين لها مضادٌ، بل أقول إنه خارجٌ منها.لا أريد بذلك أنّ جوهره مختلطٌ بها، لأنها مُحدثةٌ وهو قديم، وهي مخلوقة وهو خالق، وهي مصنوعة وهو صانع. فهذا جواب مسألتك. وليس كونه في كلها بل علمه في كلّها. لكنها ذوات أعداد لا تحصى. فلو كان كونه فيها ككونها واحداً، كان من عبده بها مصيباً، ولا يضلّه ضالٌ ولا يجهله جاهلٌ ولا يعقله عاقلٌ. وكان كل من عبد شيئاً أصاب عبادته وعرف موضعه، وفي ذلك نفي الظاهر وتفاضل المكان وإنكارٌ لما جاءت به الأنبياء والرسل، عليهم السلام، في من نفى إن كان كافراً أو مشركاً وضالاً، وفي ذلك أن جميع ما قدّر أن تكون أماكن الله. ولكنه في مكان دون مكان منها، واتساع الأمكنة بالقدرة والعلم، كما أنّ الشمس في السماء وحل ضياؤها في كل مكان منه، كذلك ظهرت وتفاضلت الأماكن[2]، فأصبتَ وعرفتَ نسبة الموضع. ذلك أنه ما من شيءٍ إلا وهو منسوبٌ إلى نفسه وأماكنه. يقول القائل: الشمس، يعني نسبة الجوهر وهي في السماء وهي نسبة المكان. فإذا قال : الشمس ولم يأتِ بتسميتها في جوهرها ولم يأتِ بنسبة المكان فهو جاهلٌ بالشمس (فمعرفتها تكون بمعرفة) نسبتها ومعرفة جوهرها ونسبة حدودها، فحينئذٍ يكون عارفاً غير جاهلٍ. وكذلك جميع الأشياء من الأفلاك والنجوم والبحار والبلدان. يقول الرجل: بيت المقدس، فإذا لم ينسبه إلى البلدة التي

---

(١) هذه الفكرة تعاطاها نُمونيوس الآفامي في القرن الثالث للميلاد حيث يقول: " جميع الآلهة التي تتربّع على العوالم السامية، لنقُل أنهم لم يمتزجوا بالمادة، ولم يمزجوا جوهرهم أيضاً، ولكن قوتهم الفعالة هي التي امتزجت، أنظر بيِوش، المرجع السابق الذِكر، المقطع ٥٠، ص ٩٤.

(٢) نيموسيوس الحمصي يتكلم عن هذا الأمر فيقول: الشمس كجسم ، لها حدود في بعض الأماكن، لانجدها في كل مكان، لكنّ نورها في كلّ مكان، أنظر طبيعة الأجسام، ص ٦٩، مترجم من اليونانية إلى الفرنسية.

ss

فيها كان جاهلاً، حتى يأتي بنسبة المكان والجوهر. فإذا عرفت ذلك كنت عارفاً بصفة المعرفة. ولن تكون المعرفة له تامة حتى يعرف الرؤيا والحدود والصور

وأيّاً من أيٍّ. لذلك يصبح عارفاً لا يحتاج مع هذه المعرفة إلى شيءٍ وبهذا ينال المعرفة. ثم عليه أن يعرف هل يجوز أن ينتقل بنسبة المكان والجوهر والحدود والرؤية أو لا ينتقل ؟ويضره انتقاله ام لا يضرّه؟ ويتغير جوهره أو لا يتغيّتر إذا انتقل ؟ فإذا عرف ذلك كملت له المعرفة. وذلك معرفته بكونية الأشياء. وأمّا قولك هو خارج منها (من الأجسام) فلو كان خارجاً منها لم يعرفه أحد. وذلك أنّ أشياءَ كثيرة فيها(في الأشياء) وفي الأماكن لا تُعرف. فإذا كان يجد الشيء والمكان والحدود والنسب والرؤية (وهو) يجهل الذي خارجٌ عنه ولا يدركه في وهمٍ ولا يتصوره في وهمٍ، لأنه يقع في نسبة ولا يعرف له جوهر. فكيف يقصد إليه؟ وكيف يطلبه ؟ وكيف يتصور(ه) في وهمٍ ؟وكيف يعرف (ـه) ؟ وكيف يدعوه؟ وكيف يتخذه قبلةً ؟ وكيف يقصد إليه بدعاءٍ؟ فذلك جهلٌ وذلك حدٌ يستعبد به ولم يعط معرفته ولم يدر كيف يقصد إليه. فذلك حدّ المجهول (و) له صفات. .أمّا حدّ المعرفة فيعرّف بخمس: أن يكون الجوهر مبايناً أو مشاكلاً، أو يكون من جنسٍ، أو يكون ضداً أو يكون جاء من هذه المعاني الأربعة، ويكون من شكله ويكون من ضدّه، أو يكون داخلاً فيه أو يكون يقدر عليه وهو خارج أو يكون داخلاً فيه من معانيه في الجوهر، وذلك إثبات التوحيد.

وأما المسألة، عن أي حدٍ تبلغ في المعرفة، فأول حدٍّ وآخر حدٍّ له في المعرفة فإنه نورٌ، يقدر ولا يُقدَّر عليه، ومعرفة موضعه ونسبته ونسبة الذي هو فيه وإنه لا يغيّره الموضع، وفي ذلك إيجاب. فإذا كان في موضعٍ فهو في كل موضع، وإذا انتقل فلا يخفى بغير نسبة الجوهر ونسبة المكان والحدود والأقطار. ومعرفة أنّ نقلته لا تتغيّر ولا يتغيّر للنقلة. ومعرفة النقلة تجب أو لا؟، وتصلح له أو لا تصلح؟ ومعرفة إذا طلبه طالبٌ أين يطلبه ؟ و(في) أي موضع من المواضع هو ؟ وكيف (تكون) هيئته في ذلك الموضع ؟

(وهل) يتغيّر شكل الهيئة أو لا يتغيّر؟ وما علامة نقلته ؟ أو علامة جنسه في الرؤية والعقل ؟ وما

معرفة جوهره ؟ وما يصلح من ذلك الجوهر لغيره أو لا يصلح؟ . إذا توجّه المتوجّه إليه، فيعرفه ويجزيه ذلك أو لا يجزيه؟[1]

قال العالم: المعرفة ثابتة بهذه الحدود من حيث وضعها وحدوثها. وكل المعرفة تدخل في ثلاثة أحرف: معرفة النقلة ،ومعرفة النسبة، ومعرفة الانتقال. ذلك أنه كان في لاً شيء، ثم خلق الشيء في موضع اللاشيء ،فهو فيه. فإذا كان في لا شيء يوجب أنه في مكان يُعرف بالنسبة، وبذلك جاءت الكتب ونبّأت الأنبياء، عليهم السلام، أنه كان على الماء[2] ثم صار إلى السماء. وليست نسبة الموضع واحدة، ولم ينتقل عن نسبة الجوهر ولم يفعل ذلك، لأنّ النقلة حكمة، ومعرفة الأبد إذا انتقل في الأرض وفي السماء. ولمّا كانت النقلة لا تغيّر ذاته، والأرض والسماء جماد(ات) لا حركة فيها ولا نُطق لها، جاز أن ينتقل إلى المتحرّك والناطق، وأن ينسب به. لأنه أثبت بالحكمة والنصفة (ربما يريد بالإنصاف) والمخاطبة والأمر والنهي أنه كان يُعرف بنسبة المكان الذي هو غير حي، وكذلك يجب أن يُعرف بنسبة المكان الذي هو حي، ويجب ذلك. فلمّا كان في الحي نسبة المرسلين والنبيين والقدرة والمشيئة، أراد أن يُعرّف إذا كانت المعرفة لا تكون إلاّ معرفة النسبة في المكان، وكان يجري عليه من النسب في الأماكن (مخطوط:في الجواب؟) كما أُجري عليه في الجمادات، وكذلك نبّأت الكتب وقالت الأنبياء وأخبرت أنّه كان عرشه على الماء ثم صار إلى السماء ثم صار إلى الأرض حيث كان على الماء، وأنّه في السماء، وكوّن في سماء سماء في أوقات مختلفة بنسبة المكان. فذلك جازٍ أن يكون إذا نزل إلى الأرض، فلا يأمن من (مخطوط:على) صعوبة أو ضدٍّ ينزل عليه. (و) إذا (جاز) إثبات نسبة نفي القدرة، جاز إثبات نسبة القدرة، وإن كانت نسبته في لا شيء، جاز أن تكون نسبته في شيء.

---

(١) وجدنا هذه الفكرة عند أفلاطون في كتابه طيماوس، المقطع الأول ٣٣ والمقطع الثالث ٣٤

(٢) قرآن كريم، سورة هود، آية ٧

وصفاته في القدم غير صفاته في الحدث. فصفات القدم أن يُقال: لا يوصف في شيء ولا خارج من شيء ولا داخل في شيء ولا يوصف بشيء. فهذه هي القدرة من الصفات، وذلك أنه لم يكن أحد يصفه. فإذا قلت: ليس كمثله شيء ولا ندٌّ له ولا ضدّ ولا خارج من شيء ولا داخل في شيء ولا يوصف بشيء، تريد بذلك أنه كان وحده ولم يصف نفسه لخلقه، وذلك أن الخلق لم يكونوا (بعد). فهذه نسبته في القدم، لا يحتاج إلى أحدٍ أن ينسبه ولا (إلى) معرفة، ولا (إلى) من يخاطبه، ولا (إلى من) يناطقه. فهذه صفاة العزّة وإثبات الجوهر بلا صفة، لأنه مستغنٍ أن يصف نفسه بنفسه، وهذه صفات القدم.

ثم إن الله عزّ وجلّ، شاء وقدّر وقضى وتكلّم وأظهر الخلق، وكان الخلق الذين خلقهم، برؤيتهم يشاهدونه ويثبتونه، وذلك (لـ)أنهم (كانوا) روحانيين، فأمكنهم النظر إليه بباطن ذواتهم وبه يسمعون كلامه و(يرون) قدرته وعلمه. فحينئذٍ وقعت الصفات واحتاج المعاني ونسبة المكان والأماكن التي كانت من قبل أن يخلق وأن يُجنّس الأجناس.فتكلّمت (مخطوط :فقالت) الملائكة الروحانيون، و وصفت القديم الأزل مما رأت منه، وذلك أنها سمعت منته كلاماً ورأت له نفساً ورأت له روحاً ورأت له قدرةً، وشاهدت منه ما شاهدت من أنفسها. فلم تعترف أنه ربها إلا بأنفسها على عين النُطق. فما أن ظهر لها عرفت أنه ربها بالنطق والنفس والذات. ثمّ إنّ الله أظهر نفسه بأشخاص كهيئة الملائكة (في) صورٍ مختلفة: بصورة الشيخ الأبيض الرأس واللحية، بصورة الوقار والرحمة والهيبة. ثمّ نظرت إليه كهيئة الشاب راكب على أسدٍ، مفتول السباك، وذلك بهيئة الغضب.ثم رأته بصورة الصبي الصغير، وكيف يُغذّى وكيف يفطم.فعرفته (مخطوط: فعلمته) الملائكة ، ورأت من الشتيخ قدرةً وعلماً ومن الشاب قدرةً وعلماً ومن الجوهر القديم قدرةً وعلماً. واختلفت عليهم الصور ولم تختلف عليهم القدرات. لذلك (فإنّ) الذي دلّت عليه الملائكة واحدٌ. فجعلت الأسماء نسبةً للرب بما رأت من قدرته وعلمه. وخلق آدم، عليه السلام، خلقه الله عزّ وجلّ على صورة الملائكة في الميثاق ، بالصورة التي عرضها على الملائكة، وأظهر لهم القدرة والعلم. ثم أنه خلق ما شاء

كما شاء. خلق بدن آدم ،عليه السلام، من التراب، من الطبائع الأربعة. وذلك أنّ الصورة التي شاهدتها الملائكة أربع صورٍ: صورة الشيخ وصورة الشاب والقدرة والمشيئة. فخلق من كل صورةٍ طبيعة، وهو الواحد الخالق لا تَشتّت ولا تفرّق، فشاهدته بالأربع طبائع وهو بجوهره الواحد الذي ظهر بهذه الأشخاص في السماء. أما ترى الكتب كيف نطقت على ألسن النبيين، عليهم السلام.أنه دخل على إبراهيم الخليل في هيئة واحدة ومثل واحد[1] حتى ظنّ إبراهيم أنهم ملائكة، فاتخذ لهم طعاماً. فلما تبيّن له أمرهم ذكر الميثاق بثلاثة أشخاص فآمن بالديّان وجعل الأديان واحدة، وذكر الميثاق، وكفاه المؤنة للواحد الذي ظهر بثلاثة أشخاص، بالقدرة والمشيئة التامة، فبشر بها ولده ودلّ عليها .ثُم جاءت الأنبياء من ولده، كلّهم مطيعون للقدرة الإلهية والكلمة الناطقة التي نطقت على ألسن الأنبياء. فآمن إبراهيم الخليل بذلك، وآمن ولده بطاعته، ونطقت الروح عنه، وغيّر كلمته ونجّاه من النار، وصارت عليه برداً وسلاماً[2] وإنما أراد أن يعرف أنّ الله عزّ وجلّ نطق على ألسن النبيين، عليهم السلام، وأمر النبيين بطاعته. قال العالم: لن يضرّ المخلوق الخالق إذا أنزل به قدرته، ولن يضرّ الخالق المخلوق، وذلك أنّ السموات والملائكة والأرواح مخلوقة وهي ترى الخالق، فلو كانت رؤيته تضره أو تنفعه، لكانت معرفته إياه تضرّه، ولو كانت رؤيتها إياه جهلاً ، لا يعرفونه جهلاً. وذلك أن علمه في المخلوقين وقدرته لم تضرّه، إلاّ القدرة والعلم في إخفاء الرحم والظلمة والمواضع القذرة التي تُعاف ويستقذر اسمها(؟). فالعلم والقدرة فيها، محيطاتٌ بها وبكلّها، بصغيرها وكبيرها. كذلك القدرة، إذا نزلت بها (أي بالمخلوقات) كما نزلت صفاتها، لم يضرّها (من المخلوقات) شيئاً، ولم ينقصه منها شيئاً وذلك انها لا تَتشاكل ولا تتضاد.

قال السائل: هل هذه معرفة تجزيني ؟

---

(١) قارن بالكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، ١٧-١٨

(٢) قارن بالنسبة للقرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

قال العالم: بقي منها أنّه من أول ما خلق الخلق حتى يميتهم، لا بدّ من أن يكون هو المدبّر فيهم، فصار في أطراف بلادهم ووسطها، بهيئتهم وهيئة نسبهم للاحتجاج عليهم، حتى لا يبقى وجه من الوجوه إلاّ واحتجّ به عليهم بنفسه، حتى يريهم قدرته ومشيئته وما ينطق به على ألسن النبيين والمرسلين، وما يغيّرون من شيءٍمن صفاته ويعملون الشيء الذي لا يقدر عليه أحد إلا الله، فيدين بذلك من وهب الله له الفهم، وذلك أنّ الأنبياء ،عليهم السلام، دون الله، وكذلك الملائكة دونه. ولكلٍّ من هؤلاء أفعال بإذن الله، فليسوا هم الفاعلون، إنّما الفعل بقدرته وأمره وإذنه. أما سمعت قول المسيح، عليه السلام، آخلق بإذن الله وأفعل بإذن الله[1] والغاية في الله، وليؤمن بالله من حيث ما نطق ودعا. ومتى ما دعا. إنّ الله عزّ وجل باقٍ، وكل من دونه فان. فإذا قصد له المؤمن فهو غاية الإيمان به، فإذا بريء منه الكافر فهو غاية الكفر به.

قال السائل: أيها العالم، بقي علي من المعرفة شيئاً

قال العالم: نعم، وما هي ؟

قال العالم: إن الأرواح والملائكة رأت القدرة العظيمة والعزّ الأوفى، فآمنت به، فأراد ربك أن يكمل لها الإيمان، فأراهم نفسه بالقدرة والمشيئة والنقلة وتغيير الصورة والقالب وتغيير الشيء عن كيانه. وليس ما أراه أنا وما تراه أنت إلاّ ما أراد.

قال السائل: بقي علي من المعرفة شيئاً.

قال العالم: نعم، ظهوره بالأنبياء، ومعرفة القبلة والصلوات وصلاة الشروق والغروب (و)الصلاة الوسطى وصلاة الظهر ، حتى تعرفه بهذه الصلوات الأربع كما عرفتْ الملائكة الأربع أشخاص[2]، وبقي عليك أن تعرفه بخلق كل شيءٍ، بلا كيانٍ أو بكيان، وحلوله في أوصياء الأنبياء من نبي إلى نبي، وحلوله بجوار كل شيء، وحلوله حسب اختلاف الألسن ، وحلوله

---

(١) ربما يعني بذلك الآية الكريمة ٤٩ من سورة سورة آل عمران...
قال: كيف رأى المخالفون ربّهم، والربّ لا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء عرف به ؟

(٢) أربعة أشخاص الصلاة، أو ما يُرمز لهم بأشخاص الصلاة هم. النبي محمّد(ص) وفاطمة وحسنٌ وحسينٌ عليهم السلام، أنظر ذيل الصفحة رقم ٦٦، التعليق رقم ١١

في القبائل والشعوب. نعم، حتى تعرف ظهوره بالكمال والأمر. وأنّ القدرة ليست الإله كلّها. فوحّدها حيث يشاء وكيف يشاء، وهو المؤدّي على ألسن عباده وعلى أيديهم. وذلك بأن القدرة ليست بموهوبة. نعم، بقي معرفة أسمائه وبيوته التي ينزل فيها وقدرته والمراحل التي يرتحل منها. وإذا أتى بقدرةٍ من قدراته، وإذا غير الشيء عن كيانه قيل الله.

قال السائل: أعطيتني من القدرات ثلاث، يدخل منها تعليمي للجاهل،وفطنة للعالم وتزكية لفَطن يمكن أن تعلّم كلّ جاهل.

قال العالم. إنّ العلم أبٌ و طبيبٌ مداوٍ، ينبغي للعالم أن ينظر فيه ويضع دواءه حيث يرى داءه، وكيف يفطن الذكي، وكيف يستخبر الجاهل وكيف يوهم الأحمق وكيف يتغذى الصبي وكيف يخرج الشكّ وكيف يعذّب على القلوب المختلفة...ثمّ ضرب العالم للسائل مثلاً فقال: إن مثل مَن يعلم كمثل الشمس، يراها الناس ولا يرون عملها. تطلّ على كل أجناس الناس، وينتفع بها الكل وهم لا يعرفون عملها، بحرّها وبردها، وكل رجلٍ قد انتفع بها في عملها، ومثلها كمجيئات الموت، يعرفون بمجيء أرواحهم وإذهابها، ولا يعرفون من هي(الشمس)، وكيف هي وإلى أيّ شيءٍ تدلّ، كذلك العالم والجاهل.ثم قال: الأصل الأكبر القديم الأعلى الأعظم في كل شيء، وهو يخبر بعض تلاميذه تلاميذه: إنما الناس ثلاثة، عالمٌ رباني ومتعلّم على سبيل النجاة ومقصرٌ في النار[1]. وقال : إن الإنسان على صورته، كما قال في الإنجيل: تعالوا نخلق إنساناً على صورتنا وأمثالنا(؟)فأراد أن يظهر قدرتنا في الصورة التي هي على صورته، وأظهرها في الجماد والأموات.

قال السائل: أراد أن يشبه الخلق ؟

قال العالم: إنما وقع الشبه في الأجناس وليس هو من جنسهم.

قال السائل: إذا كانت صورتهم على صورته، ثم رآه من يجهله، مع من هو على صورته، لا يدري آيه الربّ من العبد؟!

---

(١) ربما يعني المسيح، عليه السلام، ... ومع ذلك قارن مع كتاب تحقيق ما للهند، للبيروني، ص ٦٠ الذي نقل مقطعاً عن الفيلسوف الهندي بتنجلي، حيث تتشابه الفكرة نصاً وعبارةً.

ss

قال: بلى، ولكن الجوهر نورٌ مضيْ وغيره لحمي، فكيف يشبه الخلق الخالق إذا رأوه !

قال السائل: والصورة لها مصوّر ؟

قال العالم: الصورة لا مصوّر لها وصورة لها مصوّر.

قال السائل: شيءٌ لا مُنشيء له ؟

قال العالم: شيءٌ لا منشيء له وشيء له منشيء.

قال السائل: الشيء لا منشأ له والصورة لامنشأ لها؟ إنّ الصورة لها أجزاء تشبه بعضها بعضاً

قال العالم. وكذلك الشيء له أجزاءٌ لا تشبه بعضها بعضاً. إنّ الصورة لها حدود، لها قدّام ولها خلف، وليس قدّامها كخلفها.

قال السائل: إن كان جسماً فله مجسّمُ.

قال العالم: وإن كان شيئاً ظاهراً فله شيءٌ يظهره.

قال السائل: شيءٌ لا صورة فيه ؟

قال العالم: جسمٌ لا صورة فيه.

قال السائل: شيءٌ لا صفة له ؟

قال العالم: جسمٌ لا صفة له.

قال السائل:يخرج من حدّ الأجسام إذا لم تكن له صفة ؟ وأضاف (مخطوط :قال) السائل: جسمٌ ذو عدد؟

قال العالم: صورة ذات شخص.

(قال السائل): شيءٌ جسمٌ وشيءٌ لا جسم ؟

قال العالم: جسم لا شيء، ولا شيء جسم.

قال السائل: نفيتَ وجود الشيء؟

قال العالم: نفيتُ وجود الجسم.

قال السائل: لا بدّ أن يكون في مكانٍ دون مكان ؟

قال العالم: كذلك الشيء، يحيط بالأشياء، وجسمٌ لا يحيط بها.

قال السائل: بالصورة يظهر ؟

قال العالم: الجسم بالصورة يظهر.

قال السائل: بالعرض، إنّما هو حدث !

قال العالم: والشيء، إنما هو حدَث.

قال السائل: شيءٌ يقوم بنفسه وشيءٌ لا يقوم بنفسه. قال (أيضاً): الجسم مشتقٌ من الولادة إثر الصنعة .

قال العالم : الشيء مشتقٌ من الولادة .

قال السائل: فما أقول لك شيئاً إلا قلت مثله، وما أجبتني بالجواب إلاّ بالمكافأة لي، فأيهما الحقّ من الباطل ؟

)لو كان الشيء أقوى من الجسم لم أكلّفك طرفة عين.فاسمع ما أقول لك، واقبل على ماأعرض عليك: فإنّ أقرب القلوب للصفاء ولَهُها بالمعرفة. ثمّ أنني أقول لك :، قال الحكيم القديم: أوّل الأيام وآخر الزمان يكون ظهور الربّ بعجائبه الأنسية والقدرة التامة. سألتني عن الجسم والشيء، فالشيء يدخل فيه الضعف من خمسة أوجه، يدخل فيه الضعف أنه عرَضٌ، والعرَض لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره، والحركة لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بفاعلها، وكذلك اللون والطعم والشم، لا يقوم بنفسه وإنّما يقوم بغيره. والجسم يقوم بنفسه ويحتاج هذه الأشياء. والشيء داخلٌ في باب الجسم، ذلك إذا قلنا جسم الشيء، والجسم داخلٌ في باب الشيء، ذلك إذا قلنا جسم الشيء. فإذا قال القائل: الشيء، دلّ على ضعف. فإن قلت : شيءٌ لا جسم فيه، فهو ضعفٌ. و كان الشيء الجسماني أقوى من الجسم. فإذن دلّ الجسم على قويٍ لا على ضعيف. والصورة أقوى من الجسم. وذلك أنّ من لا صورة له لا عقل له ولا فهم ولا نطق. ومَن له صورة، فله فهمٌ وعقلٌ ونطقٌ. والجسم الكامل الذي له هذه الصفات (يدخل في) صفة الصورة. والجسم المتفوّض (هو) الذي لا صورة له، وذلك أن الصورة تتوقع منها المنافع، وما لا صورة له لا تتوقع منه منفعة.

قال السائل: فاهدني من ذلك إلى ما تكون عليه الصورة ثم إذا قلت بها شاعت عند الجاهل واعطني ما يصح في عقلي ولا يقع فيه جدل بالباطل واعطني من أصول التوحيد ما ينفي عنّي رهبتي وأطيّب به نفسي ويُذهِب عن فكري.

قال العالم: إذا سألت أيها السائل عن ذلك فافهم. واعلم أن الصورة

على خمسة أجزاء لا سادس لها ولا رابع، فإذا عرفت ذلك رُفِعت بنسبة العلم وتكلّمتْ بالحجة عنك الجهلة، وذلك ماتُعرَف به. والبيان أول وجه (للجسم)، فإنه بسيط ذو جهة واحدةٍ. وإذا كان مفترقاً(أو مختلفاً) ذا وحدانية، يُدرَك بحاسيةٍ واحدة، فهو جسمٌ منفردٌ واحدٌ لا ثاني معه. وإذا كانا جسمين مجتمعين، كانا ذا جهتين يدركان بحاستين.فإذا كانوا ثلاثة أجسام ، تدرك بثلاث حواس، (تدرك) بالطعم وتدرك بالحس وتدرك باللون. ومتى أدركت الأجسام المتجاورة تجد لها طعماً ورائحةً وصوتاً وحساً. وإذا كان الحس ذو وجهين، يدرك بحاستين، فهما جنسان مختلفان باختلاف الحاسّتين. وكذلك إذا كانت ثلاثة أجسام، وكان جسمٌ ذو ثلاثة جهات، وكانت ثلاثة أجسامٍ متجاورةٍ. وإذا كانت أربعة جهاتٍ ، كانت أربعة أجسامٍ متجاورة. ذلك أنّ الحاسة لا تدرك، واختلاف الحواس يدل على اختلاف الأجسام، وذلك ان كل حاسيّة لها جسمٌ منفردٌ. فإذا أدرك الشيء بجميع الحواس كان ذلك إدراك جهات الاجسام. والأجسام المتجاورة مختلفة، وذلك أن الطبائع الأربعة أجسامُ أربعةٌ لكلّ طبيعة جهة ولكل جسمٍ جهة: جهة الصورة وجهة الرائحة وجهة الطعم وجهة الحس. وهناك تشابه بين هذه الأجسام، فهي أجسام تفترق بالحواس وتجتمع في المكان، فلو كان الجسم الذي يسمع هو الجسم الذي يشمّ لكان الإنسان إذا سمع شيئاً درى أية رائحة له، وإذا سمع الصوت لا يرى صوت هذا، ويرى ولا يدري أي شيءٍ يُطعم ، ولا يدرِ أية رائحة له. وذلك أنّ الأعمى يسمع الصوت ويشم الرائحة ولم يرَ، ويلبس الثوب فيدري (هل) هو خشن أم غير خشن. وقد يلبس الثوب فيعلم محاسنه، ولا يجوز أن يقول سمعت خشونة أم سمعت ليونةً. فهذه اجسامٌ منفردة الحواس، مجمّعة في العبادة، وذلك أنه لا يوجد جسمٌ إلاّ وله تحتٌ وفوق، ويمينٌ وشمال. وهي الأجسام المختلفة. فذلك حدّ الأجسام في هذه الجهات الأربعة، وهي حدّ الأجسام المخلوقة المجتمعة. هذه إذاً أحوال الأجسام(مخطوط: كانت هذه أحوال الأجسام).[1]

---

(١) نُمنيوس الآفامي عرض موضوع المادة أو الأجسام والأحاسيس مستلهماً فكرته من فيثاغورث وأفلاطون، أنظر ذات المصدر، الصفحات ٧٥ إلى ١١٦

SS

قال السائل: وإن كانت أجسام ، ليست بأعراض، دللتني على أنها أعراض، لأنّ كل حاسيّة لا تُدرَك كل واحدة إلا بها، فهل تدلّني على أنها تتغيّر ولا تتغيّر بتغيير الجسم، ويكون لكلّ واحدٍ عقيبه، والجسم لا عقيب له إلاّ الفناء.

قال العالم: دللتك(مخطوط: دللتني) على أنها أجسامٌ لها أركان، ولكلّ واحدٍ منها عقيب واجتماعٌ في المواضع ولم تكن من شيءٍ معدوم، إذاً ليست (مخطوط: ماكانت) عقيبة. فهذا حدّ الأجسام. لأنّك أيها السائل زعمت أنه من لا عقيب له هو جسمٌ، فلمّا كان عقيب الشيء غيره، جاز أن لا يكون (له) عقيبٌ. لأنّ الشيء إذا جاز أن يجيء، يجوز أن لا يجيء. فقد شهدت أيها السائل أنّ الأعراض أجسام.

قال السائل: هذه حدود أجسامٍ يجوز لكلّ منها عقيب واجتماعٌ في المواضع وافتراق في الحواس. فإنّ الخالق لا يدركه شيءٌ (لا بالشمّ) فيكون رائحةً ، ولا يُدرك بالأذن فيكون صوتاً ولا يدرك بالذوق فيكون طعماً، ولا يدرك بالحسّ فيكون خشونةً أو ليناً. فهذه حدود الأجسام المخلوقة المتجاورة في الأمكنة المختلفة الحواس .(أضاف السائل) فإذا أخرجت الخالق من هذه الحدود، أخرجته من حدّ الأجسام وحدّ الأعراض، وذلك أن الأعراض تدرك بهذه الجهات الأربع.

قال العالم: إنه لا يحتاج أن يخرج ، وليس بخارج من حدّ الأجسام، وهو خارجٌ من حدّ الأعراض، لأنه يُحدّ بغير هذا الحدّ، وهو حدّ (خارجٌ) عن الحدود. إذن الخالق ليس هو طعمٌ ولا لون ولا صوتٌ ولا رائحة، ولكنّه جسمٌ آخرٌ منفردٌ ، خامسٌ بالوحدانية القديمة الأزلية ، (لا) يدرك بالعيان وليس هو لون ولا رائحة ولا صوت ولا طعم، ولكنّه موجودٌ بالعيان. (لا) يُدرَك الخالق والمخلوق بجهة واحدة، وليس الخالق والمخلوق في جهة واحدة. ذلك أنه بالعيان يرى الكبير والصغير والذكر والأنثى والنفصان والزيادة والليل والنهار والفوق والتحت. والسمع لا يدرك إلاّ الصوت وحده، وكذلك الأنف لا يدرك إلا الشمّ وحده،وكذلك الفم لا يدرك إلاّ الطعم وحده والحسّ لا يدرك إلاّ الخشونة واللين. والعيان يدرك الأجسام المفترقة والمجتمعة وقد يرى الأجسام المنفردة غير طويلة وغير

عريضة، مثل الهواء ومثل ضياء الشمس ومثل الليل والنهار(وليس) لها تحت ولا فوق ولا يمين ولا شمال، ولا يوجد لها رائحة ولا صوت ولا طعم ولا حس من خشونة ولين. والبصر يدرك وحده الأشياء ولا يدركها من الحواس غير البصر. والحواس لا تدرك كل (مخطوط: الأكل) جسم من(مخطوط: على) جملة الأجسام المتجاور. فأمّا الأجسام المنفردة، لا تراها إلاّ العين على أربعة أوجهٍ من الأجسام الكيفية. فغاية الكيفية هي الفوق والتحت واليمين والشمال. وترى الأجسام الرفيعة لا يحجب بعضها بعضاً وليس لها صورة. فهذا حدّ الجسمين. وما أكثر تشابهها بين الأجسام. والأجسام الرفيعة في الدنيا التي تشاهدها(مخطوط: شاهدتها) العيان لا صورة لها، ولكن لها جوهرٌ هيئة. ففضلُ العيان على الجوارح كفضل الرب على العبد، وذلك أن العيان يبصر ما تدركته الحواس، وما تدركه تبصره العيان. كذلك فضل (الأجسام) التي لها جهات وصور، وعلى الأجسام التي ليس لها جهاتٌ ولا صور (و) والجسم المنفرد القديم الخالق له صورة، وهيئته بالسمع والبصر والعطيط(؟!) والروح والهيئة. وأمّا الصورة في النفس، مثل النطق والروح والإرادة والمشيئة (فهي) بالتقدير والفضل كيف شاء ومتى شاء، لا يُكرِه على ذلك في التوحيد، والربوبية توجب له. وتلك صفة الكمال (وهي) غير صفة العجز. ذلك من له عينان ليس كمن له عينٌ واحدة، ومن لا عين له ليس كمن له عين. وكذلك فضل جميع ما ذكرناه ممن يوصف بالكمال، يختلف عمّن يوصف بالعجز في بعض (الحالات). وأمّا الجسم الخامس فهو جسم النقلة، ذو جهات أربع حسب ما يراه المخلوق، حتى تظهر الجهة الواحدة الناطقة الفاخرة السامية العالية في جهةٍ واحدة بهذه الصفات، وكيف تشبهها صفة أو جسم أو هيئة. ثم قال العالم للسائل: خذ ما أعطيتك شاكراً، فقد فصلت الخالق من المخلوق والربّ من المربوب تفصيلاً واضحاً ، وبيّنت لك ذلك وأهديته إلى خبرتك، بوصف (مخطوط: لوصف) القدرة والحدث وصفة الأجسام.

قال السائل: أخبرني عن صفات أنواع هذه الأجسام وتركيبها وانفراد الجسم الواحد، وتركيب الأشخاص عنده، والبيوت التي يسكنها والمواضع التي ينطق منها، وما جوهر نفعه وما جوهر حياته،

ss

وماجوهر إرادته وماجوهر قضائه وما جوهر تقديره. وتلك الجواهر ،قديمة (هي) أم محدثة؟ فقد (مخطوط: فإن) قلت أيها العالم إنها جواهر قديمة لم يكن (هناك) شيء قبلها. وما علّة الإرادة معه والمشيئة والقضاء والقدرة والكلام والنفس؟ وإن زعمت أنها محدثة منفصلة عنه فليست من إرادته ولا من مشيئته ولا قضائه ولا قدره ولا قدمه، (فهو) ليس من جوهر، وهذه الجواهر فيه أم منه ؟ فإن كانت فيه قديماً (و) معه، فهي له، وإن كانت في غيره، فليست له فيما وصفت لي. أفهمني ذلك وبيّنه لي، وعرّفني عن ذلك كما عرّفتني حدالأجسام (التي) لا أفهمها،(لكي) أتقرّب بها إلى ربي وأعرف(ه) وأعبده، وأياه (؟)

قال العالم، عليه السلام: سألت فافهم وتفقّه وتعلّم إذا فهمت، وابصر إذاً. فإنه لا ينظر بصرٌ إلاّ بفكرٍ، ولا فكرٌ إلاّ بعقل، ولا عقلٌ إلاّ ببصيرة، ولا بصيرة إلاّ برحمة ولا رحمة إلاّ بتأييد الروح. فهذا وافقتك عليه من الفكر. وما كان من الجوهر، فهو ما وقع عليه الرسل من الحجج، وما كان من الربوبية فهو ما أظهرته الرسل من الآيات التي لا يمكن لأحدٍ أن يأتي بها وبمثلها في الدنيا والآخرة.وذلك شيءٌ واحد، وصفات جوهرها ما أخبرتك به. ثم إني أعود لتفسير ذلك بمَنّ الله وعونه. قال العالم: إعلم أنّ لكلّ جوهرٍ صفات وهيئات. فأمّا الهيئات فما ليس لها عقيب، أي لا يعقبها شيءٌ آخر، وأما الصفات (مخطوط:صفاته) فما كان لها عقيبٌ، فيكون ذلك في المخلوق والخالق سواء، مثل قوله: نور النور وجوهر

الضياء، لا عقيب له، لأنّ الضياء لا يكون مكانه ظلمة، ولو كان مكانه ظلمة لكان النور مظلماً في بعض الأوقات. ولو صار(مخطوط كان) مظلماً لكانت ظلمته تَحول عن ضيائه ولا يكون له كيان النور، وكذلك نعته.وكذلك الظلمة من نعتها الظلام. فلو جاز أن يفارقها الظلام حتى تصير ضياءً، صارت نوراً. وكذلك كيانها وجوهرها، فهذان نعتان للعقيب، فاقتصر على كل نعت، فمن كان سبيله كذلك فهكذا يكون نعته. وأما الصفة فتجوز أن تكون وتجوز أن لا تكون.

قال السائل: ما مثل ذلك ؟

قال العالم: مثل الحركات والألوان والطعوم والنقلة، يجوز أن تكون ويجوز أن لا تكون. والجوهر على هيئة، وكذلك الخالق والمخلوق. ومثل الفضة والذهب والطين، فجوهر الذهب الحمرة وجوهر الفضة البياض وجوهر الطين الغبرة، وكذلك جوهر كل نوعٍ من هذه الجواهر..وقد تُؤخذ الفضة ، فيُجعل منها السوار والخاتم والقلادة، فلا يذهب جوهر الفضة ولا يتغيّر كيانها. وكذلك الذهب والطين، يجعلونه على هيئات أشياء، ثم يُكسر فيجعل على هيئاتٍ أخرى، فلا يذهب جوهره ولا كيانه ولا هيئته. فنعت جوهره واحد، من بياض أو حمرة وغير ذلك... ولم ينتقص من جوهره شيء، وكذلك الصفات الداخلات عليه، ليست من جنسه. وكذلك النعت من جنس الجوهر. والصفة فليس من جنسها بطلان الصفات وإثبات النعوت. وذلك أنّ الأجسام (التي) ليست لها صورة ولا نقلة فيها ولا صورة (ليس) لها هيئات وجوهر. وأما ما سألت عنه من الإرادة، فالإرادة إرادتان: إرادة هي هيئة وإرادة هي صفة.فأمّا الإرادة التي هي هيئة فهي التي لا منع للنفس عنها. يقال: النفس تكون، ولا تكون حركة النفس إلا بذلك. وإن النفس متحرّكة في النوم واليقظة. وذلك أنها ترى في النوم ما ترى في اليقظة. فحركت الإرادة هذه لازمت الجنس في الجوهر، كبياض الفضة في الفضّة وحمرة الذهب في الذهب وغبرة الطين في الطين، لا يفترق كل واحد عن صاحبه. والإرادة المكتسبة (أن) تسمع ما تسمع وتبصر ما تبصر وتشم ما تشم وتذوق ما تذوق، فتؤدي الحواس ذلك إلى النفس، فتحدث إرادة بأعداد لم تكن تعلمها. فإما أن تقبلها وإما أن تدفعها، تعزم فيها من الإرادة على الدفع والقبول، فهذه إرادة محدثة. وأما إرادة الهيئة، فما يكون في النفس لا يؤديها إلى الجوارح مهما تكون، فهي تعلمه ، فتقبله أو تدفعه. وأما إرادة الهيئة، فهي نعت الجوهر، وهي مركّبة. والصفة والجوهر ليسا من تركيبها. والإرادة المحدثة ترد على الجوانب من قبل أن يرد ما تريده النفس. وعن صفة الإرادة ومحلاّتها، جميعها في النفس لا في غيرها. وكذلك الكلام،(فهو على شكلين) كلام النعت وكلام الصفة. فأما كلام النعت ، فهو الذي لا يمنع الروح من الترداد لنفسها بما يكون أو لا يكون. فيقال: أنّ كذا وكذا كان كذا وكذا،وإن لم يكن كذا وكذا ،

SS

لم يكن كذا وكذا. فذلك كلام النفس لنعتٍ وجوهر المتكلّم. وكلام الشيء هو صفة، أفعل ولا أفعل ولا تفعل بغيره، أذهب أم لا أذهب، ويقال له ما يقول في كذا وكذا،تؤديه الجواهر كما تؤدي صفة الإرادة ، وكذلك آدّت صفة الكلام. فالحي من الجوهر الإرادة. والكلام إن كان قديماً فهذه هي هيئته، وإن كان محدثاً فهذه هي هيئته. فنعت الإرادة والكلام على جهتين: جهة نعت الجوهر وصفة جوهر الإرادة. والكلام ما ردّت به الحواس من غيرك إليك ومنك إلى غيرك، كما (هي) إرادة الجوهر، منه وإليه. وما خاطب به نفسه فهو النعت. وقد يكون الشيء لا صفة له ولا يكون شيئاً إلا وله نعت، ولا يوجد إلاّ بنعته وقد يوجد بلا صفة.

قال السائل: أضرب لي في ذلك مثلاً.

قال العالم:قدترى ساكتاً، لم تره متكلّماً.فبكلامه عرفت إرادته، وإرادته كانت قبل كلامه فيه.

(وقد) يكون مريداً، غير متكلّم، ولا يكون متكلّماً حتى يكون مريداً. فمن نعته الإرادة ومن صفته الكلام

ومن هيئته جوهريته. وهذا في كل حيٍّ. (و) قال: الكلام على أمر ونهي، فما كان على أمرٍ ونهي فهو ما خاطب به الجوهر الجوهر في نفسه، وهو كلام الجوهر. وإرادة الجوهر، ما يقول الجوهر(مثلاً): أعزم ولا أعزم، أكونه ولا أكونه، (وذلك) كالعزيمة والتأنّي .

ثم قال: أضرب لي في ذلك مثلاً.

قال العالم: المثل في ذلك أن يقول الرجل للرجل : إفعل أو لا تفعل، فدلّ على الكلام جوهره، مثل قوله: آتني بكذا وكذا، واسمعني كذا وكذا. فدلّ (بذلك) على الإرادة.

قال السائل: قد علمت أن محل الإرادة في النفس، ذلك في الخالق والمخلوق والصفة والنعت . قد (أ)خبرتني بمحلّ نعت الصفة المؤدية بالحواس الجنسية، فالكلام والوصف، أين يحلاّن ؟

قال العالم: يحلاّن في الجوهر حتى يؤديه، أما ترى أنه يعاين بقلبه الكلام ويقطعه بلهوه ، ثم يخرجه على لسانه. فالإرادة والكلام يحلان محلاً واحداً في الجوهر والتأدية، ولا يحلان على الجوهر في النعت

SS

والصفة.

قال السائل: أضرب لي في ذلك مثلاً.

قال العالم: أما ترى الشمس مضيئة، من جوهرها الضياء، والنفس حية، من جوهرها الحياة، أما ترى الشمس متحركة، من جوهرها الحركة، أما ترى النفس لا تفارقها الإرادة ، وهي حركة النفس ، وكل نفسٍ مريدة، لأنّ جوهرها الإرادة وهي حركة. فهي والأنبياء من الإرادة عقيب القول المعقول[1]. ذلك (أن)جوهرها في الأنبياء وفي المخلوق (ات)والإرادة والأنبياء فيه(ربما في الجوهر؟) أيضاً. لأنه يريد الشيء فلا يقدر عليه، ويريد أن يمتنع عن الشيء فلا يقدر عليه . والإرادة (هي) الجوهر القديم، وإرادة الأنبياء معها، لأنه لا يريد شيئاً إلا بالإرادة ، ولا يدفع شيئاً إلا بها، فهاتان الإرادتان صفتان جوهريتان للجوهر القديم والجوهر المحدَث (فهذا هو) ظهور القديم بالقدرة والمحدث.

قال السائل: أخبرني عن هذه الصفات .

قال العالم: لو كنّ خالقاتٍ، كنّ قديمات (و) لشركن القديم وكنّ مثله، ولم يكنّ صفاته، فقد يحتاج إليها في باب لا خالقات ولا مخلوقات.

قال السائل: فهنّ إذاً مخلوقات أو هنّ منفردات مقطوعاتٍ عن الخالق؟ فما هنّ ؟

قال العالم: يجرين مجراهنّ، وهنّ كأسمائهنّ، وهي صفات الخالق. لا يقال لهنّ خالقات ولا مخلوقات،ولسن بمنفردات الصفة، لاتوصف وليست بموصوفة،وصفة الخالق لاخالقة ولا مخلوقة.

قال السائل: فما هنّ ؟

قال العالم: هنّ صفات.

قال السائل:فكيف(مخطوط: ففيمن)يدخلن من باب الصفات ويخرجن من باب الموصوفات ؟

---

(١) الأنبياء في عُرف العلوية النصيرية هم النفس الكلية التي خلقها الله من نور ذاته، راجع ص١٦

(قال العالم): ذلك أنّ الموصوف له صفة وليس للصفة صفة، فلا يجري عليها أنها مخلوقة، لأنّ المخلوق جسمٌ بذاته ونهاية صفاته.

قال السائل: فالصفات، إن لم يقع حد الموصوفات عليها، فلما تسمّيه بحدّ الموصوفات ؟

قال العالم: لأنّ الإسم على جهتين، إسم الشيء هو جوهر وإسم الشيء غير الشيء، لا هو الشيء بعينه ولا هو غيره.

قال السائل: فما جوهر الذي اسمه هو هو ؟

قال العالم: إنسانٌ وسماءٌ وأرض وبحرٌ وما شابه ذلك، وشمسٌ وقمرٌ...إذا قيل: أي شيءٍالإنسان؟ قلت هو الإنسان وكذلك تقول في جميع الأشياء. أي شيء تقول: كذا وكذا، تريد الإسم.فإذا قال القائل:

ما اسم الإنسان ؟ قلت: عبدالله، موسى وعيسى وغيرهم من أسماء الإنسان. ولا يجوز أن تجعل إسم الإنسان حماراً كما تجعل إسم موسى وعيسى وعبدالله، كذلك الجوهر كلّه. إلاّ أنّ النعوت والصفات ليس لها أسماء إلاّ ما أسميناها، وذلك أنها خارج حدّ الجوهر، ويقال أي شيء إسم الإرادة، فنقول الإرادة. نقول(مخطوط: يقول) موسى وعيسى وعبدالله وهي أسماء لا تنتقل عن أصحابها(مخطوط: أسمائها).

قال السائل: هل (مخطوط: ما) أسماء الصفات في معانيها كما (هي) أسماء الجوهر في معانيه؟

قال: لأنها من الجوهر كانت ومن الجوهر تولّدت، وليست هي الجوهر فلحقت باسمه، ولم تكن غيره ، فيكون لها (إسم) . كما أن الجوهر إسم ، فليس للجوهر إسم غيره.

قال العالم(مخطوط :السائل): فلا يقال الكلام غير الإرادة، والعلم غير الجهل، فيدخل عليه التغاُير على أنه هو غيره في (الجسم؟)الجنس وغيره في الإسم. فما كان الغير في الجنس فهو الجوهر، وما كان الغير في الإسم (فـ) هو الصفة. والصفة غير الإسم، وهي ليست من (مخطوط:في) الجنس، لأنّه لا جنس لها.

قال السائل: فإنما ترى الجوهر بعضه غير بعض ، قال السائل: فما الفرق في(مخطوط:بين) ذلك ؟

قال العالم: إنّ العلم علم العالِم والإرادة إرادة المريد، وليس المريد إرادةً، كذلك الكلام في جميع الصفات والنعوت.

قال السائل: فالخلق خَلْق الخالق وليس الخالق خَلْق الخلق. وقد يقع عليه التغايير.

قال العالم: لأنّ المخلوق والخالق مُتغايران في جوهرهما وصفاتهما. والصفات متغايرة في القول لا في الجوهر.

قال السائل: كل واحدةٍ من الصفات خلاف صاحبتها، وكذلك الأجسام بعضها خلاف معنىً بعض.

قال العالم: لأنّ للأجسام صفاتٍ، وليس للصفات صفاتٌ، ومن الصفات ما هنّ أفعال صفاتٍ

قال السائل: أضرب في ذلك مثلاً.

قال العالم: رجلٌ أصفر، وقد أراد أن يجعل مكان الصفرة حمرة، ولم يقدر أن يجعل مكان نفسه غيره. والجوهر يقدر أن يجعل مكان الكلام إرادة، ومكان الفرح حزناً ومكان الطاعة معصيّةً. وهذا حدّ الصفة والموصوف.

قال السائل: فجعلت الصفات التي في الخالق قديماتٍ محدثات ؟

قال العالم: ألم اصف لك ذلك كلّه مرّة ؟

قال السائل: بلى، إنّك لم تسمّها باسم المحدثات، وكيف يكون محدثٌ في قديم ؟

قال العالم: لم أقل لك إنه محدثٌ في قديم، لأن القديم لم يرده أن يكون فيه، ولكنّ القديم أراده فكان.

والكون ليس في القديم، إنما الإرادة فيه.أضاف العالم(مخطوط: قال السائل): فيكون على (أساس) هذا القول، أن يكون القديم في المحدث، كما كان المحدث في القديم، ولم يضره، ولم يتغيّر بسببه(مخطوط: لها). كذلك القديم، إذا كان في المحدث كما كان المُحدث في القديم لم يضرّه ولم يتغيّر بسببه. ألم ينلك(مخطوط: ألا سنالك) في ذلك شيء إذ أنت سألت عنه ؟

قال السائل: أعرف ذلك في موضعه.

قال العالم: فاسأل إن كنت تعرف موضع السؤال:

قال السائل: نعم، إنّ هذه الصفة غير الربّ ، حلّت في الربّ، ليست هي غيره. فلذلك حلّ الرب في صفة ليست هي غيره.

قال العالم: إن الموصوفين بحلول الصفات ،يحلّون بالصفات، فتكون الصفات موصوفات.

قال السائل:أضرب لي في ذلك مثلاً.

قال العالم: إن البدن موضع الروح، وليست الروح موضع البدن، والضياء معرفة الشمس، وليس الضياء موضع الشمس.

قال السائل: ينبغي أن تحل الصفات المحدثات في القديم(مخطوط: للقديم) الأزل، ولا يجعل القديم الجوهر للجواهر المحدثة بخلاف الصفة والجوهر.

قال العالم: إنّ الحلول حلولان، يتفقان في باب ولا يختلفان في باب المحدث، ولم يوافقها في باب الجواهر. كذلك الله، حلّ فيما يشاء من الأشياء بالصفات والجوهر القديم، بالصفات ؟

قال السائل: كيف ذلك ؟

قال العالم: إنّ الله أراد أن ينتقل، فالإرادة محدثةٌ صفة، ثمّ انتقل بعد الإرادة إلى الموضع الذي أراد، فإنما انتقل بالجوهر الصفة، وكذلك كانت نقلته بالأنبياء عليهم السلام.

(قال السائل): وكيف نزوله (فيهم)؟ وكيف ارتحاله عنهم؟ وكيف يكون الكمال ؟

قال العالم: إنّ الملائكة رأت قدرة الرب، وآمنت بما رأت له من القدرة، يحلّ في أرواحها بقدرته.

قال السائل: في أرواح الملائكة كلها أو في بعضها ؟

قال العالم: لا بل في أربعة من الملائكة ، وهم المدبّرون الذين يخرج منهم التدبير على أيديهم، كيلا يكون التدبير إلاّ لله. ولكن فوّض الله لهم واحتجب بأربعةٍ منهم.

قال السائل: فمن هم ؟

قال العالم: من قسم على يديه الخسف و القذف والغرق والزلزلة، وهو رسول الربّ إلى الأنبياء صلوات الله عليهم.

قال السائل: وهو فيهم دائمٌ؟ (أ)و يحل فيهم وقتاً بعد وقت ؟

قال العالم: لا، يحل فيهم وقتاً بعد وقتٍ.

قال السائل: فسمّي لي ذلك الملَك .

قال العالم: جبرائيل، الروح الأمين، فإذا أراد الله أن يخسف موضعاً من الأرض ويزلزلها، أو يغرقها أو يدمّرها عليهم، حلّ في ذلك الملَك، حتى يكون هو بذلك الفعل. والجاهل يظنّ أن ذلك الفعل لذلك الملَك، ولا يدري أنه لربه جلّ وتقدّس، وعلى يديه جرى، لا (على) يدي غيره. فذلك الحجاب هو الملَك.

قال السائل: فهل تصوّر في غير صورته بغير جبرائيل؟ وله من الاستطاعة ما ينتقل عن هيئة ويعود إليها؟

قال العالم: هذه صفة من صفات الرب، أليس من صفات العبد وإذا حلّ الربّ فيه وأراد أن يظهربذلك النبي وذلك الرسول الذي أرسله الله إليه، فتتغيّر صورته إلى صورة أُخرى ثم يردّ صورته إلى هيئةٍ إذا شاء، حتى يُعرَف أن ذلك المَلك هو بيت الله الذي أسكن فيه قدرته، فنقله من هيئة إلى هيئة أُخرى، ليطمع ذلك النبي و ذلك الرسول (بـ)أن يخصه بمثل الذي خصّ ذلك الملَك من السكنى فيه فيدأب في طاعته، وهذا تفضيلٌ وتأديبٌ لعباده، ويحثّهم بذلك الأدب على طاعته.

قال السائل: فمن الآخر ؟

قال العالم: هو إسرافيل الذي ينفخ في الصور، فلو كان المخلوق، وهو الذي يحي العظام البالية والأوصال المتفرّقة والأرواح المتباينة، لكان ذلك العبد المَلَك الله. ولكن ينزل به تدبيره وقدرته ويعّده بيتاً من بيوته. والنفخة من الملاك، وإحياء الأموات من عند الله، فهو جامع هذه الأشياء.

قال السائل: فمن الآخر ؟

قال:ملاك الموت، وهو الذي يقبض الأرواح في ساعة واحدة، روحاً في المغرب وروحاً في المشرق، على اتفاق الأمر والوقت والساعة مابين طفلٍ في بطن أمه إلى رضيعٍ في حجرها إلى ناشيءٍ منكم وشاب وكهل وإلى

شيخٍ فان، وما بين ذلك على ميتات متخالفات وخروج مختلفٍ ومرض وصحة، شأنٌ عن شأنٍ، ولكنّ الله حلّ فيه قدرته حتى يميت الخلائق عاى يديه كما آحياهم على نسبتهم بمشيئته.

قال السائل: فمن الملاك الرابع ؟

قال: ميكائيل، صاحب اللوح المحفوظ، الذي فيه كان وما يكون إلى يوم القيامة، ينبيء الملائكة بذلك، فيحتجب الله به، حتى يكون هو الذي يؤدي تلك الغيوب.

قال السائل: فله حجبٌ غير هؤلاء من الملائكة ؟

قال العالم: نعم، حجاب من نورٍ لنفسه خاصة في كل سماء.حجابٌ يكون في ذلك الحجاب ساعتين، فينتقل من سماءٍ إلى سماء.

قال السائل: أخبرني عن هذه الحجب، بأيّة صورةٍ هي ؟

قال العالم: نعم، نزوله بالأنبياء وحلوله فيهم.

قال السائل: ما علامة ذلك ؟

الأشجار جميعاً وتسبح الجبال إلى الرب، الذي يحي بالعلم والقدرة، ليدين أهل الأرض، ويقضي للعباد بالقسط وللشعوب بالعدل ، وكقوله: ظهر الله في جماعة من الملائكة[1]

قال السائل: أهل الأرض يعرفون هذه السماء والقدرة والحُجُب ؟

قال : نعم، معرفتها على العلماء، يُؤدّونها إلى الجهال، لأنّ العالم رباني. أما رأيت المعلم كيف يعلّم صبيانه، فيرفعهم من درجة إلى درجة، ولا يخبرهم بما عنده حتى يستحقوا ذلك.

قال السائل: تجزيني من علم حلوله في نبي واحد دون نبي ، و وصي دون وصي ورسول؟

قال العالم: إذا عرفته بالقدرة عرفت الموضع، ولا ثابت في الأرض.

قال السائل: ذلك شيء له انقطاع، ولا انقطاع إلى يوم القيامة.

قال العالم: ذلك مذ خُلق آدم إلى يوم يفنى ولد آدم وهو كذلك.

---

(١) بحثنا في مزامير داود، في الكتاب المقدّس، فلم نجد أثراً لهذه العبارات، ووجدنا عبارات متشابهة، فربما نُقلت عن ترجمة أخرى قديمة .

ss

قال السائل: كيف ظهر للخلق بالعلم والقدرة ودعاهم إلى نفسه وربوبيته، وكان قبل ذلك خفياً لبعض دون بعض، ويكون بعد ذلك خفياً لا يعلمه إلا الخاص دون العام لتستبين الدعوة.

قال العالم: كان خفياً عن بعضٍ دون بعض إلى أن أتاهم الله في ظلال من الغمام والملائكة، فظهر للخاص والعام، حين تصديق الأنبياء، كي لا تُكذّب(مخطوط: كي لا يعلم أنها قد كذبت) حتى ظهر للصغير والكبير والذكر والأنثى والناشيء والمولود والفاني، لأنه لا يُرى إذا كان الخبر دالاً عليه وهو لظهوره بالعلم والقدرة لوقوع الشك فيه، حيث لم يُعايَن. فلما أظهر علمه وقدرته، تبيّن أمره وعرفـ(ت) ربوبيته، ثم أَخبر كيف يُعبَد ويطاع ، وكيف يُعصى بعد شهادة الأنبياء له بالربوبية خاصاً وعاماً استدراجاً منه بذلك ، ليجزي المجتزى عليه مما أسرّ إليه إحساناً ومَنَّ عليه تفضيلاً وغفراناً، ليمالي له بالكفر فيطغى، وتقدر عليه آياته، والقدرة أعظم. إنه حين أظهر آياته، فلم يُقدر على مثلها، فعظّم الحجّة حين رأى قدرته . فمَن ألطف صنعاً وأبين أمراً وأثبت قولاً وأكمل بياناً من ربٍّ أظهر قدرته في

عبده حين بيّن أمره .أظهر آياته وعُرِفت ربوبيته ومُجّدت مشيئته ونسبة إرادته بالنسبة لقدرته وكثرة عجائبه !

قال السائل: فلمَ ظهر بعد أن اختفى وبعد أن ظهر، لما فعل ذلك ؟

قال العالم: إنّ الشهادتين أفضل من الشهادة الواحدة، والجهل قد يكون معه الشك. فلمّا أظهر قدرته اطمأنّت القلوب الشاكّة وأخبرهم أنه كما كان يكون، وكما يكون كان، وأنه يَظهر ويُظهر قدرته وعلمه كيف يشاء، وإنه يظهر بعد الأنبياء الذين نبئوا عنه بالأوصياء، كقول أشعيا النبي، صلى الله عليه، حيث قال: البتول تحمل وتلد نبياً ويدعى اسمه عمانويل الذي برحمته الربّ أظهره إلى الناس وأخبرهم أنه يفعل مالم يكن

في أيدي الأنبياء، عليهم السلام، من القدرة، وأنه يظهر قدرته كيف يشاء[1] .فلا يستعظمك ، واتبع أمر ربك، وأجبه من حيث ما دعاك، وكن مستمعاً لصوته واقصد إليه بالطلب ملياً وفياً، أي كلما سمعت داعياً إليه اطلبه عند دعوته، فإذا أظهر شيئاً من قدرته(فهي) شامخة وأمره تامٌ قائمٌ لا يزول، وحجّته ظاهرة وعلامته بيّنة، ونهيه أبدا وعلومه معجزة.

قال السائل:فأنا إذا فعلت ذلك في كلّ أوقاتي، من الليل والنهار كمل إيماني ؟

قال العالم: نعم، كمل لك إيمانك، الإيمان الذي أنت به مُتَشدد.

قال السائل: وما تشديد الإيمان ؟

قال العالم: تعلّم دعوة ربك في كل مكان ومن أين هو، لا تجهل أمره، فإنّك لو عرفت إيمانك وفرغت منه، فرغت من منزلك وبيتك ودارك ورجعت إلى الروحانية. ثم قال العالم: إنّما جعل تكرير الليل والنهار وعدد الساعات والحساب والأيام والساعات والأرض والبحار والنجوم علامات من قدرة الملك الجبار. ودورة في الأيام والتكرار وبيان ما في الصورة وما حُلّ منها وما حُرّم، ونبّأت به الكتب عن تحليله وتحريمه وتغيير صورته عن هيئته وبقاء جوهره .

قال السائل: أيها العالم لا يُضْجرنّك أمري ولا يعترضنّك سؤالي ولا يكبر عليك كلامي، فإنّك موضع الرب العالم، جلّ وعزَّ، وأنا موضع العبد الجاهل، أسألك لأتقرّب إليك، وتواضعي لك، وأميل صاغياً إليك، لآخذ منك، ولا تدعنَّ لي حجة ولا تدّخرنّ عليّ نصيحة، فإنّك إلى معرفة ربي تقرّبني وإلى الثواب تندبني.

قال العالم: سلني، تجدني فيما يخطر على قلبك (من) شيءٍ لأضرب منه ما أداوي به جرحك.

---

(١) الذي ورد في إنجيل متّى، ٢٣/١ هو التالي:" ملاك الربّ قد ظهر له في حلمٍ قائلاً يابوسف(وليس يا أشعيا) ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ... هو ذا العذراء تحبل و.. إبنأ ويدعون اسمه عمانويل الذي تفسيره: الله معنا"

ss

قال السائل: أخبرني كيف ابتدأ الله آدم بالنعمة، ثم أخرجه إلى الشقاوة، ثمّ ابتدأه يشكر باللسان، ثم أخرجه إلى شكر الجوارح. وكيف كان في الجنّة حراً وصار في الأرض عبداً ، يؤدّي إلى مولاه حقاً . فإن ضيّع شيئاً أُدِّب، وإن غفل عن شيءٍ استوتِب، وحظر عليه المطعم والمشرب، حتى صار مثلاً ووزناً وثواباً وعقاباً.

قال العالم: إنّ الله خلق الخير قبل الشر، والنور قبل الظلمة والقدرة قبل الفعل والروحانية قبل الجسمانية، ولم يفعلها إلا لعلل، وجعل الحياة قبل الممات والمؤانسة قبل المفارقة[1]. ثم أنّ الله تبارك وتعالى لمّا طال الزمان وكثرت الأيام احتجب في خلقه في دهر الدهور وزمان الأزمنة. وأنشأ قروناً كثيرة على عدد حجبه السبعة[2]، وجعل ذلك على عدد الأيام، كلّ يومٍ لآدم. وجعل السموات سبع وجعل النجوم سبعة، كل نجمٍ منها دليلٌ على سبعة أبدان. ولكلّ ولد آدم سبع ولادات في التكرار، ينتقل من درجة إلى درجة في العلم[3]، وكذلك أجناس الناس، يعني الخلق والحيوان، دليلٌ على سبعة أبدان في كلّ تكرارهم وجنسهم. ثم ينتقل الذي يشاكل الإنسان في سبعة أجناسٍ من كلّ شكل.

قال السائل: فافرش لي علّة كلّ آدم.

قال العالم: إنّ الله خلق آدم بيده، وصوّره على صورة جوهره. ثم إنّ الله مكث بذلك سبعة آلاف سنة، يمجّد نفسه ويسبّحها ويهلّلها ويكبّرها، لا لحاجة له، ولكن ليعلّم الملائكة أرواح الآدميين، حتى تعلمت

---

(١) رغماً عن أنّ النصيرية تحذّر من اتباع مذهب الثنوية، أي مبدأ الإثنين،كما يقول علي الجسري في كتاب التوحيد، ورقة ٢٣، مخطوط ١٤٥٠و المكتبة الوطنية في باريس. إلا أنّ مذهبهم بكامله يقوم على هذا المبدأ، انظر كتاب الهفت والأظلة للمفضّل بن عمر الجعفي، طبعة بيروت، وكتاب الصراط،، الجزء الثاني من هذا المخطوط، وهو تحت الطباعة، مع دراسة وافية عن مبدأ الثانوي' عند النصيرية.

(٢) الحجب السبعة هم: آدم، نوح، إسحق، موسى، سليمان، عيسى ومحمد، في العالم الجسماني الصغير، أما في العالم النوراني الكبير فهو آدم وقد تناسخ سبع مرّات، انظر المفضّل الجعفي، المرجعين السابقين، وانظر كذلك الصفحات التالية...

(٣) أخذ هذا المبدأ مذهب الهفتية، أي أصحاب السبعة من الأكراد في إيران، انظر الباطنية الكردية، باللغة الفرنسية،أنور علي شاه إلهي، قدّم له محمّد مقري، صاحب دعوة البهائية في أوربا.

كيف تقول وكيف تسبّح. ولولا ذلك ما عرفت أن تسبّح الله ولا تهلّله ولا تمجّده ولا تكبّره. لأنّ الله عالمٌ لا يتعلّم، وهم يتعلّمون. فلو أنّهم ما علموا، ما أحسنوا ولا عرفوا الذهاب والمجيء والصعود والنزول والتسبيح والتهليل والأسماء والنداء والجواب.

قال السائل: فقد تعلّموا ذلك من ربهم، لأنهم رأوه يقول ، فقالوا مثله ثم خاطبهم بالربوبية والجواب وتعلّم طاعة ومعصية، فكيف (مخطوط: وكيف) أجابوا ؟ ومن أجابه (منهم)؟

قال العالم: هو أجاب نفسه.

قال السائل: كالمجيب لنفسه، لا تعلم، كهيئة المجنون الموسوس، أو يجيبه غيره من خلقه. فإن كان بالصفة الأولى، فليست هذه صفة حكيمة. وإن كان خلقه يجيبونه على مثل ذلك، كما أجابوه على غير تعلّمٍ سبّحوه على غير تكلّمٍ وعلمٍ ؟

قال العالم: إنّ الله أظهر من نفسه القدرة فيها، عرفوا: نعم و لا، وطاعة ومعصيّة. فتعلّمت الملائتكة كلها من أولها إلى آخرها. والأرواح الآدمية عرفت القدرة والترداد والطاعة والمعصية، لينفي عن نفسه أن يوصف بحدود المجانين الموسوسين، أو يرد (على) نفسه ويحدّثها. حتى ظهر بقدرة كما المولود، وكان هو الذي رده على أمره.فعلمت الملائكة أنه اتخذ هذا الجسم على هيئة الصبي الصغير يعظم بعلمه الكبير

ويعرف الحق لمن هو أكبر منه ويشاور من هو أقدم منه. فعرفت الملائكتة الأمر والنهي، والطاعة والمعصية وأرواح الآدميين، فلولا أنّ الله أظهر من نفسه ذلك لخلقه، لم تعرف الخلق كيف تطيعه ولا كيف تعصيه ، ولا كيف تؤمر ولا كيف تنهي ولا كيف تسبّح وتهلّل.

قال السائل: أيها العالم، أضرب لي في ذلك مثلاً.

قال العالم: إن الله سبحانه وتعالى أخرجكم من بطون أمهاتكم لتعلموا شيئاً، فغديتم بالغذاء، حتى تعلّمتم ما سمعتم ، وعرفتم ما رأيتم. وكذلك عرفتم الذهاب والمجيء والمنفعة والمضرّة، لمّا علّم الكبير الصغير ، وكلّ مُغَذّى هذه درجته وأمره وتعلّمه.

ss

قال السائل: هذا تعليم النفس في الأبدان على ما رأت من الغذاء وتعليمه وتغذيته. وتغذية الأرواح بلا أبدان وتعليمها عند ظهور الرب بالقدرة حتى علّمها، فما (مخطوط: وما) التعليم؟

قال العالم: ذلك فرق مابين الروح والجسد في النشأة الأولى.

قال السائل: مَن أول مَن أظهر الولادة حتى تعلّم الناس منه؟ ومن علّمهم بترتيب المولود؟

قال العالم: إنّ الله عزّ وجل ، لمّا بدأ خلقه آدم، صلى الله عليه وسلم، ابتدأه بالولادة كيف شاء بالأبدان. فلمّا أن خلقه وأراد أن يزوّجه، سلّك فيه روحاً من بدنه. فجعل له حوّاء فسكنت إليه، لأنه خلقها من ضلعه. فلمّا تغشّاها، حملت حملاً خفيفاً. فلمّا أرادت أن تلد، صوّر الله لها صورة أُنثى لها حملٌ، تزجر في حملها، حتى ولدت. ثم قطعت صرّتها وشدّت قماطها. فلما رأت حواء ماصنعت الصورة، صنعت مثلها، حتى بلغ المولود. ثم رأت (الـ)صورة قد فطمت ولدها، ففطمت هي أيضاً. ثم أن الله ألهم آدم أن يسأل حواء من علّمها (أن) تربي ولدها وتقمطه، فامتنعت حواء إلى أن تحيّرت. فأقبلت تومي موضع الصورة، فلم ترَ شيئاً. فقالت حواء لآدم: قد أمرت من هاهنا، ثم ذكّر آدم ما علّم الأرواح من الغذاء. فأول ما علّم تربية الولد على يد حر(؟) من تلك الصورة التي صوّرها الله.

قال السائل: هذا تعليم الولد والتربية والغذاء، فكيف تعليم القتل ؟

قال العالم: إنّ الله سبحانه وتعالى، لمّا رأى ولدي(مخطوط:أولاد) آدم قد ربيا، وقد اجترأ أحدهما على الله، وأنه قد همّ الواحد منهما بقتل صاحبه، بعث الله صورة الولدين مع أحدهما خيراً كثيراً من ذهب وفضّة وجوهر، فوثبت عليه الصورة الأخرى حتى قتله. وأخذت الذي كان معها. فوثب ابن آدم على أخيه فقتله وبقي لا يدري كيف يضعه وكيف يدفنه، حتى أتت الصورة القاتلة، حفرت حفيرة وأُدخل فيها المقتول. فقال ابن آدم: يا ويلتي، أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ؟فأواري سوءة أخي. فحفر حفرةً وأدخل فيها أخاه. قال آدم: من أين تعلّمت هذا ؟ قال : ظهرت لي صورة كيت وكيت. فعند ذلك ظهر القتل والدفن. فقال آدم: أنت علّمت الناس

SS

الخير والشر أيضاً. وإنما فعل هذا تعليماً للناس حتى يعرفوا الطاعة من المعصية عند الأمر والنهي. فالتعليم من عند الله، والعبيد يتعلّمون. فعندها وجبت الطاعة والمعصية، وظهر الحقّ والباطل.

قال السائل: أيها العالم، فلما صار ذلك قبيحاً وصاحبه ملعون ؟

قال العالم: الربّ فعله تعليماً، والعبد فعله تعدّياً، والربّ فعله من أجل المنفعة، والعبد فعله على الصورة.

قال السائل: فما هذه الأرض وما عليها ؟

قال العالم:هذه خُبّيء فيها العداوة للرب، فعرّف الطاعة والمعصية عند الأمر والنهي. هي دار محنة، وليس في السماء شئٌ من ذلك. وهي سجن المؤمن، وقد يكون المؤمن فقيراً والكافر منعماً عليها، مبسوطاً له في رزقه، مكرماً، وقد يكون عبداً ذليلاً، وقد يكون عبداً حراً ، ويكون ذو مال لاعزّ له، وقد يكون ذا خلقٍ، وقد يكون ملكاً ويكون فقيراً عزيزاً لا مال له، ويكون غنياً ذليلاً لا عزّ له.

قال السائل: فما علمت ذلك تدبير من ربنا في المبتدأ مع خلقنا. فإن كان بتدبيرٍ من ربنا، فالمؤمن أحق من الكافر في الدنيا والآخرة، لأنّ الشرف والعزّ والجمال في الدنيا والآخرة، (و) لأنّ من أعطى وليّه وحرم عدوه، فكريم جليلٌ حكيمٌ أولى بالصورة من أن يعطي هذا وعدوه. فإن كان لا يعرف وليّه من عدوه فهو جاهلٌ، والجاهل لا يستحقّ القدرة والربوبية، وإن كان سيعطي(مخطوط: أعطى) المؤمن في الآخرة، وذلك الكافر في الدنيا عزّة المؤمن. فليس في ذلك حكمة. (أضاف) السائل: عن (مخطوط: من) طريق أنه أعطى الكافر في الدنيا ولم يعطه الآخرة، فقد ذلّ المؤمن من قبل الكافر.

قال العالم: نعيم الكافر يفنى، ونعيم المؤمن يبقى.

قال السائل: (أ) وليس إذا نال الكافر من بعض ما نال المؤمن ولو(لـ)يومٍ واحد وساعة واحدة (فـ) في ذلك الحكمة وقديم الربوبية ؟ وذلك أنه جعل الولي والعدو في ساعة واحدة وشيءٍ واحدٍ، فلذلك يذهب بالحكمة،(وهو) أولى بالمؤمن لا بالعدو. وإن كان بالممارقة فأولى به ترك الربوبية، وفي ترك الربوبية ترك القدِم.وذلك محالٌ أن يكون الخلق

ss

بلا خالق. وقد رأيت الرزق اتسع في الولي والعدو، فما أصل ذلك ؟ وكيف ذلك؟. وقد رأيت الولي والعدو يعبدون الله ويتضرّعون إليه بكل شريعة، مع كل قبيلة، وكلّهم يبتهلون ويبكون خوفاً وطمعاً ويرجون لقاءه. فإن كانوا كلّهم مصيبين، فكلّهم مخطئون، لأنهم يكفّرون بعضهم في بعضٍ، ففي ذلك الكفر المحض إذ كُفِّر من كان على حقٍّ وإن قال قائلٌ : كلّهم على صدق.

قال العالم: من قال ذلك يكون كافراً.

قال السائل: كيف ذلك ؟

قال العالم: إذا كان الواحد يكفّر صاحبه، فأصل ديانته الكفر لصاحبه، (و) كان الصدق عندهما (مخطوط: لهما) جميعاً مكذّباً، لأنه لا يُصدق من كذّبه. وكلهم مجتمعون على من قال أنهم مصيبون، وكان كافراً مخطئاً لأنه قد صوب من هو عندهم كافراً.

قال السائل: هذا البيان في الدين، ثم أنبئني بالبيان في الرزق والملك.

قال العالم: إن الأنبياء وكلاء الله، يريدون أن يعبد الله بكل لسان، في كل جهة (من) مرابع الأرض (مخطوط: ترابيع) كما يعبد في مرابع السماء، بكلّ لسانٍ آدمي كما يعبد بكل لسانٍ ملائكي على كل جهةٍ وكلّهم يبنون له بيوتاً يذكر فيها اسمه ويعبد إلى أن يشاء الله ما يشاء من تغييرٍ وزيادة ونقصان حتى لا أحد يتعبد إلاّ الرب بقدرته. ويظن الجاهل أنه تناقض ونفي بغير علم، وأنّ الذي أرسل هؤلاء غير حكيمٍ.

قال السائل: أضرب لي في ذلك مثلاً أفهمه.

قال العالم: (أ) ما رأيت رجلاً له أثواب ، واحدٌ عرف الغاية فيه وعرف آخره وأوّله من ابتداء أمره إلى انقضائه، فقطّع طيلساناً يتجمّل به وينتفع به مَن يخيطه، وفي نفسه أنه إذا خلق خائط منه جبّةً، فيضعها وينتفع بذلك من عمله ومن لبسها. وهي خلاف الطيلسان وخلاف لونه الأول، لا يصلح لما يصلح له الطيلسان،ولا أفضل منه (بـ) شيء، وجعل منه سروالاً لئلاّ يذهب منه شيء، أحكيمٌ إذا فعل هذا (مخطوط: حكيم هذا إذا فعل)؟

قال السائل: وإن لبس طيلساناً حتى يتخرّق، وتكون حكمته في الثوب أيضاً وتدبيره وهمّته وإرادته مثل همّة من أصلح الثوب ولم يفسد منه شيئاً.

قال السائل: الأول أجود حكمة من الثاني.

قال العالم: كيف ؟

قال السائل: لأنه دبّر في الثوب وهو صحيح قبل أن يقطعه لمنافع من الجبّة والطيلسان والسراويل، فخرج التدبير على ما كان العلم سابقاً فيه وصار في الثوب منافع للناس، بمَثل هذا يعيش الناس بعضٌ من بعض. فالحكمة قد استوت فيه، في كل وجهٍ وناحية.

قال العالم: أجاهلٌ هو أم عالمٌ ؟، أحكيمٌ هو أم غير حكيمٍ ؟

قال السائل: هو حكيم.

قال العالم: فإنّ ربنا قد خلق الخلق، فعلم بصلحهم في كل زمان، فأرسل إليهم في كل زمانٍ نبياً، يصلحهم ويبطل شريعة من كان قبله، ويخرجهم من شريعة إلى شريعة، حتى يتمم الحكمة ويبلغ الهمة ويتم العلم والتقدّم إلى آخر الأبد ، على انقطاع العلل، كل ذلك (و) يُظهِر فيهم قدرته ويبين آياته[1]. ولو كان ديناً واحداً ، لكان غير حكيمٍ، كما فعل صاحب الثوب الذي قطّعه طيلساناً ، وهو يعلم أنه يصير جبّةً ويصبغها، فينتفع في(ها) الصباغ والخياط أيضاً. وقد انتفع بالثوب مرّة طيلساناً ومرّة جبّةً ، وكل ذلك تدبير المصلحة. كذلك الخالق، أظهر فيهم قدرته وبين آياته، ولو كانت آيةٌ واحدة من رسول واحدٍ لكان غير حكيمٍ لما يصلح العباد. وكل زمانٍ مثال صاحبه الذي هيّأه بكتابٍ ليصلح به أموراً كثيرةً.

---

(١) تتفق الدرزية مع النصيرية في هذا المبدأ، أنظر الخلائقي، ميثاق ولي الزمان، الورقتين ٣١–٣٢ من المخطوط ٤٣٣٨ من المكتبة الوطنية والجامعية في ستراسبورغ، حيث نجد مايلي: وما من ناطقٍ (أي نبي، والنطقاء عندهم سبعة: آدم، نوح ، إبراهيم،موسى، عيسى، محمّد، سعيد بن الحسن بن عبدالله بن إسماعيل بن جعفر الصادق،) إلا ونسخ شريعة من كان قبله من المتقدّمين، ومحمّد بن عبدالله، الناطق السادس، لمّا ظهر بالنطق، نسخ الشرائع كلها وسدّ الطريق...ومولانا الحاكم (بأمرالله، الخليفة الفاطمي الثامن) البار العلاّم، قد نسخ شريعة محمد بالكامل ظاهراً للمؤمنين وباطناً للموحّدين أولي الألباب).

SS

قال السائل: أنبئني عن شاهدٍ مثله.

قال العالم: إنّ الله ،تبارك وتعالى، جعل أجناساً كثيرة من المواليد، وأظهر صوراً كثيرة تبين كل نبيٍ بذلك الجنس، حتى يظهر قدرته وعلمه كيف يشاء، (و) بما يشاء، تبارك وتعالى وتقدّس.

قال السائل: أوليس قد جرى على كل نبيٍ كما شاء ؟

قال العالم: مكشوفاً ومستوراً

قال السائل: فرّجت عنّي همّي وأذهبت عني غمي وتَصوّرَ الحق في عقلي، وأذهبت الشبه عني، فعد إلى معنى الرزق والعزّ والملوكية، هل في ذلك حيلة ؟ لاحتال الملوك أن يكونوا ملوكاً أبداً. وإن كان أمر الله هكذا مخلوقاً مقطوراً، فهي الحكمة المتفوّضة، وإن كان باكتسابٍ، فكيف لم يجعل الله للمؤمن فضلاً على الكافر حتى يكتسب أكثر مما اكتسب الكافر ؟

قال العالم: إنّ أصل ما خرّج الله آدم من الجنة، وقد كان فيا بغير تعب ولا اكتساب ولا منع له عن إرادة ولا عن لذّة ولا عن شهوة ولا عليه محاسبة، يفعل فيها مايشاء. فلما ظلم نفسه وتعدى قول ربه إلى ما نهى عنه أُخرِجَ منها إلى دار التعبّد والبلاء والشقاء والمحاسبة على الصغير (ة) والكبير(ة). فهكذا كان أصل الخروج من النعمة إلى البلية ومن العزّ إلى الذلّ ومن الكرامة إلى الشقاء بالمعصية التي عصى آدم ربه. قال العالم: فاعتبر بذلك، وكل ذي شقاءٍ أو ذلّ أو سقمٍ ، إنما كان من أصله تلك المعصية.

قال السائل: قد قلت (إنّ) لكلّ مؤمن سبعة أبدان وسبعة أدوار ؟

قال العالم: لا لم أقل لك (إنّ) لكل مؤمن سبعة أبدان وسبع ولادات. إنّ الله لا يعطي العبد في الدنيا لإيمانه شيئاً، ولا يعطيه لكفره شيئاً، لأنّ الإيمان والكفر بالقلوب، والأعمال بالجوارح، والدنيا دار عملٍ بالجوارح، والآخرة دار توفية للعمل بالإيمان والصفوة والتقية، وهي الجنة والنار.لأنّ الإيمان الصحيح والكفر إنما هو بالقلب، والأعمال بالجوارح، وليس للمؤمنين في الآخرة أبدانٌ وإنما هم روحانيون،فلو كانت أبدانهم منهم (و) عملت في الدنيا إيماناً ، لكانت معهم روحانيةً في الجنة.

SS

قال السائل: أخبرني عن هذه الأسماء التي سألتك عنها من أقسام الرزق والبلاء وبينها بياناً أعرفه.

قال العالم: من يعمل في الدنيا ما أُمر به من الحسنات فيها، ثوابه في الآخرة. فلذلك يُعطَى الكافر في الدنيا ويُعطَى المؤمن في الآخرة. ولكلّ سيئة عقوبة، ولكلّ حسنة ثواب. فافهم، لأُفسرُ عليك بالعلم إذا جاءك منادي العلم. هي أبدان البيان وأمن (مَن) لا عقل له ولا فطنة له، ما قلت شيئاً إلاّ من الكتب، يشهد به الربّ، ونطقت به الروح وأتت به الكلمة، وحضر به المؤمنون، وعمى به الجاهلون، وعرفوه أهل الحكمة وتأوّله أهل البصيرة الذين تعمّقوا في دقائق الطريق (و) حقائق العلم، ونُطق بالبراهن على ألسنتهم، وظهر بيان حجّتهم بدقائقه. ثم أني أرجع إليك أيها السائل فأُبيّن لك من ذلك بياناً تعرفه. أخبرني عن الذين كانوا قبل موسى، لا كتاب ولا رسول يأتيهم. ينبئون أنفسهم ويقيمون حجج إلههم وتيبعون رضاء ربهم ويدلّون على من كان من قبلهم، أين كانت لهم البصيرة وكيف كانت لهم الحجّة، كيف عرفوا الحقّ من الباطل ؟

قال السائل: بعقولهم وفطن (ة) قلوبهم وآيات ربّهم.

قال العالم: هو كذلك، لأنك نسيت أكبرها رضيّة وأثبتها بنيةً. آما علمت أنّ الأنبياء، عليهم السلام، كانت الملائكة تأتيهم مثل إدريس وذو الكفل وإبراهيم الوفي، خليل الله، وإسحاق الذبيح[1] ويعقوب وإسرائيل الله، وما كان من أمثالهم، قد كان يأتيهم الروح الأمين، فينطق عن ربه بالوحي وهم لا يرونه، فيأمرهم وينهاهم. فيكون الرجل ينبيء عن نفسه وينبيء عن بيته ومَن قبل منه.فيستيقنوا ذلك حتييعرفوه، ويعلّمهم حتى يفهموه، ويخبرهم بما فيه حجّتهم وصدق مقالتهم. وذلك أنّ إدريس حين رفعه الله مكاناً عليا، ثم إبراهيم في النار..وقال العالم: رأيك عن خلقٍ خلقه الله فجعل له العين يبصر بها والعقل يفهم به، والأذن ليسمع بها. ثم نظروا إلى آيات الله وقدرته وسلطانه، وتواتر الخلق وساحة الموت النازل

---

(١) مما لا شك فيه أنّ علماء المسلمين رجحوا أن الذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، لكنّ القرآن الكريم لم يسم الذبيح باسمه، والآية الكريمة التي وردت حول هذا الموضوع هي: يابني إني أرى في المنام أني أذبحك...الصافّات، الآية ١٠٢

ss

بهم والأمر الفادح، ما كان عددهم ؟ ما يستدلون به أن لهم خالق وأنه صنعهم وكونهم بعد أن لم يعقلوا، والله كمثلهم (؟).وإنّ الإنسان يحتاج أن يكون له خالقٌ، وأنه لا بدّ للفعل من فاعلٍ لا يشبهه. فلما نظر الفاعل إلى المخلوق المدبّر، (وفهم أنه) لا يقدر أن يصنع (مخطوط: يفعل) جسماً وحياةً وعالماً(و) إن الذي يصنع الجسم ليس من جوهره(مخطوط: خلقه)،(فـ)ثبت الخالق للمخلوق والربّ للمربوب. ولمّا رأوا أن المخلوق الميت لا يفعل شيئاً ، علمـ(وا) أنّ الخالق يفعل ما يشاء. ثم نظر المخلوق أنه لا يفعل شيئاً إلاّ بيده أو بأمره، علم أنّ الخالق يفعل الشيء بقدرته، إن شاء فعله بيده من بعد القدرة. ولا بدّ للحي أن يكون عالماً أو جاهلاً ، فإن كان جاهلاً فهو في حدّ الأموات، وإن كان عالماً فهماً ، فهو في حدّ الأحياء. ولا بدّ من أن يكون آمراً أو ساكناً، والسكون للأحياء والأموات. فإن كان ساكناً قادراً فهو حيٌّ، فإنما السكون عجزٌ رضا. فقد ثبت في الدنيا ما لايرضي الله، وفيها مايرضي الله، فتوجب الكلام الأول السكوت لموضع القدرة والنهي، ولا بدّ للآمر والناهي أن يُفهِم خلقه أمره ونهيه، ولا بدّ أن يتهيأ ليهيأهم حتى يفهموا عنه ويفهم عنهم.

قال السائل: ولما لا يكلّمهم بربوبيته التي ليس فيها هيئته ولا صورته(مخطوط: هيئة ولا صورة) ؟

قال العالم: قد رأينا صوراً(مخطوط:صورة)لا (يختلف) بعضها عن بعض، ولا يُفْهَم الشيء خلاف جنسه.فيكون إذاً خلاف الأشياء كلّها، وكيف يفهم عنه الأمر والنهي؟

قال السائل: بقدرته.

قال العالم: وإنّ قدرته أزلية، فكيف يفهم عنه المحدّث، والمحدّث لا يعبّر عن المحدّث إلا إذا كان من جنسه.

قال السائل: يريد بذلك أن يكون ؟

قال العالم: إنّ الكون على ثلاثة وجوه: كون لا يمكن وكون يمكن وكون (يمكن) لا يمكن.

قال السائل: ما الذي لا يمكن ؟

قـال العالم: الكون الذي لا يمكن بـأن يجعل الحق بـاطلاً والنبيين كذّابـيـن. هذا لا يـمـكن، ولو أمكن لكان الباطـل حقـاً والصادق كاذبـاً والجنّـة نـاراً.

قـال السـائـل: فما الذي يـمـكن ؟

قـال : يميت الأحياء ثم لا يخلقهم، ولا يبعث انبياء ولا يخلق جنة ولا نـاراً ولا بعثـاً ولا حسابـاً وما أشبه ذلك.

قـال السـائـل: فما الذي (يمكن)ولا يـمـكن ؟

قـال العالم: قـول القائـل: لو لم يكن لـه علمٌ ولا كلام ولا قـدرة، فـأيّ شيء كان يكون، وكمثل ذلك إذا خلق شـيـئـاً على هـيـئةٍ لا يمكن أن يـكـون على خلاف هيئـتـه، بل لا يمكن مـا خلق الله أن يكون خـالقـ(ـه) غير الله، لا يمكن ذلك لأنـه لا يقدر على الخلق (مخطوط: لأنـه ليس خـالق يقدر) غير الله، والذي يمكن أن يـنـقـلـه من حـالٍ إلى حـال، يقدر أن يميت الحيّ ويحي الميت بخلقه الإنسـان وخلقـه البهيمـة (مخطوط: بغير خلقت الإنسان وخلقت البهيمـة) إلى مـا يشـاء. وما لا يمكن، أن يجعل الكذب صـدقـاً والصدق كذبـاً والجنـة نـاراً والنار جنـةً، وذلك تناقض وافتراءٌ على الله وتـعـطـيـل ربـوبـيّـتـه.

قـال السـائـل: فعد أيها العالم إلى إثـبـات الـتـوحـيـد.

قـال العالم: لا بـدّ أن يجعل هيـئـةً مثل جنس خلقـه، حتى يـكـلّـمـهم فيفهموا عن أمره ونهيه.

قـال السـائـل:فـيـظهر كأنـه خلقـه، ويخلق خلقاً يـسـتـتـر بهم ويتكلّم مـن خلالهم؟

قـال العالم: هذا مما لا يـمكن أن يحوّل مـن هيـئـتـه، ولكنّـه يـخـلـق خـلقـاً يحتجب بهم ويتكلّم منهم.

قـال السـائـل:(أيخلق) من ذلك الشـخـص صـورةً واحدةً أم صتوراً كثـيـرةً؟

قـال العالم: إنّ الله يـخـلـق مـن كلامـه صورةً ومن روحـه صـورةً ومن نـوره صـورةً ومـن إرادتـه صورة ومـن قدرتـه صـورةً، وكـلّـهـا على صـورة

SS

الإنسانية. ثم إنّ الله خلق إثنى عشرة صورة بيده فخاطب الله خلقه منهم[1]

قال السائل: فثبت إنّ الله يكلّم خلقه وهو بهيئتهم، فيفهمون عنه ويعلمون أنّ صورتهم مخلوقة وهو خالقٌ، وإنه يفعل ما يشاء ؟

قال العالم: نعم،(و) إذا شاء على ألسن النبيين، وقد خبّرتنا بذلك الأنبياء والمرسلين (فهم) يدلّون على مثل هذه الفطرة التي فطرنا الله عليها. لأنّ الله خلق كل شيء، حتى العدل والمنصفة والحق والأنبياء والرسل، ميزان وزنها واحد ومعدنها واحد، يحسن الفطرة بما في الرسل، والرسل بما في الفطرة وزنٌ واحدٌ وخلقُ ربّ واحد.

قال السائل: رأيك أيها العالم، من لم يبلّغه نبي ولا رسول أيعلم ذلك ؟

قال العالم: إذا أراهم قدرته مرّة واحدة جزاهم أن لا يريهم (مخطوط: يراهم) ثانيةً،وذلك مقنعٌ، ويجعل لهم السبيل إلى رؤيته ومعرفته ممن لا يعرف الأنبياء والرسل. وأما من يعلم أن لله أنبياء ورسل، يقومون بأمره ونهيه، فعليه أن يكلّمهم حتى يُعرّفهم، فإن العاقل إذ أدبر وفكّر ، وجب عليه ذلك، لئلاّ يكون على الله حجّة ذكر الميزان والسؤال عن أسمائه.

قال السائل: أيها العالم، إنّك قلت : لكلّ نبي ميزان، وأنّ الرسل لهم ميزان، اتفق ميازنهم في القدَم.(و) ميزان الربّ عزّ وجل بالوحدانية والصورة، وميزان الحق والباطِل، وميزان من كان قبلنا وما يكون بعدنا، وعمّا هو فيه من الميزان...

قال العالم: كل شيء لا يزن بعضه ببعض فهو باطل، وكل ما خبّر عن صاحبه فهو باطل، حتى الحق إذا غاب. والذي يكون نصب عينيك (هو الحق)، الميزان بالميزان، ويُعرَفُ آخر الأمر من أوّله، ويُعرف وسط الأمر بالميزان. موازين ثلاثة لا يُغني بعضها عن بعض، لأنّ الحق متوازن. الباطل متناقصُ والحقّ يتقدّم ميزانه والباطل ينقص ميزانه.(و)قال العالم: إنّ ميزان الظنّ يفسد وميزان الوهم يتغيّر وميزان الحق يثبت.

---

(١) الكلام والروح والنور والإرادة والقدرة رموز عن الأيتام الخمسة الذين ورد ذكرهم في الجزء الأول، والاثنا عشر صورة ترمز إلى الأئمة الإثني عشر.

ss

قال السائل: أخبرني عن هذه الموازين، ماهي ؟ وكيف هي ؟ وأي شيءٍ هي ؟

قال العالم: نعم.

قال السائل: فهم الأنبياء، عليهم السلام ؟

قال العالم: هم في الميزان، وليسـ(وا) هم الميزان، هم علة.

قال السائل: هم المؤمنون ؟

قال العالم: به يكثرون ويقلّون ويزيدون وينقصون.

قال السائل: فَهُمُ الربّ إذا ظهر في خلقه ؟

قال العالم: هم لسان الميزان.

قال السائل: أخبرني عن هذا الميزان، كيف هو ؟

قال العالم: توثّق من قلبك وفرّغ ذهنك، إنما أول ميزانٍ يوزن به : الحق، وهو حقّ إثبات القديم قبل المُحْدَث، كثبات الميزان قبل أن يزن، وليس من آلة شيْءٍ إلاّ وشيء قبله. وكذلك الله ، خلق العقل قبل أن يُعقَلَ به، واليد قبل أن يُعمَل بها والعين قبل أن يُنْظرَ بها، وكذلك الفاعل قبل الفعل وورِدّ الحدث قبل القدم، لأنّ الفاعل قبل فعله.

قال السائل: ما وزن القدَم والحدث ؟

قال العالم: هذا المُحدث وزن القديم، وليس هو وزن الإثبات، وذلك أنّ المُحدث إذا جاء ينفي القديم، وجاء القدم ونفى الحدث. .إنّ المحدث لا (مخطوط:ليس) يفعل قِدماً، ولو فعل فعلة لم تنفعه، وذلك أن القديم الربّ اعتاز الحدث في المحدثين(مخطوط: وذلك أن القديم فاعتوز الربّ صفة الحدث). فصار بوصفهم يوصف، ويرونه كما يرون أنفسهم، وعندما (ينظرون إليه) يرونه بالحدث، لايرونه بالقدم.

قال السائل: فما وزن ذلك ؟

قال العالم: إنه كان يوصف بلا حركة، ثم وصف الحركة، وهو يوصف بها .لأنه أراد بعد ذلك إذ لم يكن مريداً ، وشاء (من) بعد، إذ لم يكن يشاء شيئاً، وخلق بعد إذ لم يكن خالقاً. ليقول (المخطوط: فيقال) أنه كان خالقاً . كما أنّ الميزان لا يوزن بهن فصفته الجماد والسكون، حتى تحرّك

بـالـوزن. فصـفـة القديم الجماد وصـفـة الحدث الحركـة[1].

قـال السـائـل: وكيف ذلك ؟ وكيف تسْميَتُه في ذلك؟ وكيف تـسـميـتـه في الوزن، إذ تـقـول: إنّ القديم صـار حـدَثـاً ؟

قـال العالم: وكذلك تـقـول في الميزان، إنـه كـان ميزانـاً فصـار وزّانـاً، لأنّـه يـقـال : الـمـيـزان يُـوزنُ بـه والصفـة وزن الجوهـر.

قـال السـائـل: الميزان ذو هـيـئـة ؟

قـال العالم: الميزان ذو صـفـة. (و) قـال العالم: لا، بل القدم صـفـة، وليس وزن الصفـة وزن الجوهـر.

قـال السـائـل: كيف ذلك ؟

قـال العالم: يقال(مخطوط: يقول) هو الميزان، ولا يـزن شـيـئـاً ، فصفتـه تـرك الوزن وهو ميزان، وكذلك يـقـال (مخطوط: يقول) في الصفـات، وذلك أن القدم مـن صفات الله، أي لا فعل لـه،فـ(بـ)ذلك فـرّق بـيـن من لـه فعل وبين مـن ليس لـه فعل.

قـال السـائـل: فـتـنـفي القدم عنـه ؟

قـال العالم: لا، بـل في الصـفـة لا في الكون، وصـفـة القدم جـوهـر في الكون.فـأقـول هذا الربّ القديم مضـافـاً إليه، وكذلك القول في الميزان: ذاتٌ وازنـةٌ، ولا أقـول :ذات تـزن. وأقـول :ذات الله خـالقـة، ولا أقـول خـالقٌ لا يخلق. وأقـول ميزانٌ ولا أقـول ، يـوزن بـه. فذلك وزن ذلك.

قـال السـائـل: فما وزن لا شـريـك لـه ؟

قـال العالم: القدم صـفـة الـواحـد، لا صـفـة الإثـنـين، ولو كان صـفته الإثـنـين لكانـا قـديـمـين. ولم يـكن قـديمـاً واحداً، لصفـة إثـنـين. كما تـقـول: ميزانان (مخطوط: ميزانين) يـوزن بهما وزن واحـد، لصفـة إثـنـين. ولا يـقـال يـوزن بـوزن ميزانين. لأنّ الميزان يـوزن بـه عشـرة دراهـم، ويـزن بـالميزان الآخـر، فيجد نفس الوزن، وهو وزن واحـدٌ بين الميزانين، ولا يـكون الميزانـان

---

(١) تـتـفـق النصيرية العلوية بهذا الرأي مـع الدرزية، حيث يـرى أتـبـاع المذهب الدرزي إنّ الله، السـابق، سـاكن وباردُ والحاكم بأمر الله، اللاحق متحرّك وحارٌ، بينما محمّد النبي نـاطق، وعلي بـن أبي طـالب ، أسـاسـه صـامت، أنظر أطروحتنا السـالـفـة الـذكر، ص ٤٣ وقد اعتمدنـا كمرجع عل ذلك كتاب النقاط والحروف، صفحات ٤٥-٤٦،الذي قـدّم لـه سـايبول كريسـتيان في ألمانيا في أوائل القرن العشـرين.

SS

واحداً. لأنّ الوزن عرض، والميزان جوهر. فذلك (مخطوط: وذلك) أنّ القدم صفة الواحد وليس صفة الإثنين.

قال السائل: فما وزن ذلك ؟

قال العالم: يقال واحد الواحد، واحدٌ له القِدَم. فإذا راجعنا الكلام من أوّله إلى آخره (وجدنا) وزناً واحداً لميزانين. والوزن وزنٌ واحدٌ. فيبطل واحدٌ منهما عن الوزن، لأنّ الثاني تبع الأول و وزْن ذلك العدد. تقول: واحد،اثنين، ولا تقول اثنين واحد. فذلك وزن أنه لا شريك له.

قال السائل: فما وزن إنه ناطق ؟

قال العالم: تقول إنّ الناطق معبّرٌ عن الإرادة، وليست الإرادة معبّرة عن الناطق.

قال السائل: فما وزن ذلك ؟

قال العالم: الميزان يزن، وليس الوزن (هو الذي) يزن الميزان.

قال السائل: فما وزن الكلام من الإرادة ؟

قال العالم: الإرادة لا تُفْهَم والكلام يُفْهمُ. كما أنّ كل شيء كامنٌ في الميزان، والأوزان تبين كلّ (ما) فيه وتجده وتبين عدده، وكذلك الإرادة كامنة، والكلام للتبيين.

قال السائل: فكيف صار(ت) له صتورة ؟

قال العالم: لحاجة المخلوقين إليها، كحاجتهم إلى الكلام، لأنه لا كلام إلاّ من صورة .

قال السائل: فما وزن ذلك ؟

قال العالم: الميزان لا تُعرَف هيئته إلا بعد صورته.

قال السائل: وكيف ظهر بقدرته وعلمه ؟

قال العالم: لأنّ معرفته (تكون) بالعلم والقدرة. فأتاهم من حيث لا يعرفونه، وهم أرواح صورتهم كصورته.

قال السائل: وما وزن ذلك ؟

قال العالم: لا تُعرَف هيئة الميزان إلا بصورته، كالميزان الذي يوزن به عشرة دراهم، فالميزان حسب شكله وجنسه. وكذلك أظهر قدرته بصورة ٍ تشبه صورتهم حتى يفهموا عنه. فقد يتصف الكثير من يعرف القليل،

ويعرف الكبير من الصغير. ولا تجوز الحكمة إلاّ كذلك.

قال السائل: من هؤلاء الذين عرفوا القدرة القديمة وكبرياء العلوم المرضية ؟

قال العالم: المؤمنون.

قال السائل: فمن (الذي) لم يعرف القدرة والعلم ؟

قال العالم: هم الكافرون، وهم كذلك يهود، وذلك أنهم لا يعرفون الجنس.

قال السائل: فما وزن ذلك في القدرة ؟

قال العالم: ذلك الميزان إن صلح على طبعه، يخرج ما(هو)أهله وما هو أصلحه. وكذلك القديم الأزل، يُظهر جنسه بكل جنسٍ ونوع ولون. وكذلك المنافع والمضار.

قال السائل: هل يُكفَرُ به ؟

قال العالم: نعم.

قال السائل: فيفسد عليه من كفرهم شيئاً ؟

قال العالم: ولكن يفسد على الذين كفروا.

قال السائل: ماوزن ذلك ؟

قال العالم: مثل (مخطوط: منه) كيانٌ فيه كفّتين ، كلّ شيءٍ يوزن به، فيقطعه قاطعٌ أو يكسره. فإنما ضرره على الذي يكسره. وجوهره جوهرٌ وازنٌ، والوزن فيه قائمٌ. إلاّ أنّهم لا يدرون كيف يزنون به وهو مكسور، كذلك الذين كفروا، لا يدرون كيف ربوبيته. والربوبية قائمة.

قال السائل: ما الروح والكلمة والربّ ؟

قال العالم: الروح للإضافة وهي الجوهر،والكلمة والنعت للجوهر، والقديم هو الذي له النعت.

قال السائل: فما وزن ذلك ؟

قال العالم: الميزان هو وازن وفيه الوزن وبه يوزن. فمثَل الكلمة ما يوزن به، ومثل الروح مثل أنها وازنٌ، ومثل القديم مثل أنه ميزان. فذلك وزنه.

قال السائل: كيف كان في الحدث، في كيان القدرة والعلم والمشيئة والروح، وكانت كامنة فيه ، وكذا جنسه ؟

قال العالم : مثل ذلك مثل ميزانٍ كيانه كفّتيه وعلاقته فيهما، وعلامته مضافة إليه، وذلك أنّ أصل الميزان اللسان، وأصل اللسان الكفّتان مضافة إليه. وإنما التقويم يوزن به بالكفّتين (مخطوط: كالكفّتين)،لعلّة الخلق وحاجتهم إليه، والعدل بينهما اللسان. وإن كانت الكفّتان زائدة أو ناقصة، فكيان العلم والقدرة لهما قادر.

قال السائل: فما وزن ذلك وميزانه ؟

قال العالم: ميزان ذلك الروح البسيطة في البدن، فتخلق الجوارح ولا تختلف في الهيئة والجوهر.

(قال السائل:) فما وزن ذلك ؟

قال العالم: الميزان يختلف في هيئته ولا يختلف في جوهره.

قال السائل: فيجوز أن يوصف الله في اختلاف الجوهر ؟

قال العالم: لا .

قال السائل: فإذا قلت قدرة ومشيئة وروح (أ)ليس ذلك مختلف على اللسان ومختلفٌ في السمع والبصر ؟

قال العالم: نعم.

قال السائل: فكيف (يكون) مختلفاً ولا تختلف الخلق (مخطوط: يختلف المخلوقين)، إذ رأى نفسه بالروح والقدرة، وهو إلهٌ كاملُ ربٌّ، أظهر نفسه عند المخلوقين كيف شاء (بـ)نعته وجوهره.فما وزن ذلك ؟

قال العالم: الميزان يوزن به القليل والكثير لحاجة من يزن به، فالميزان (له) نعته وجوهره، وكذلك الرب، أظهر قدرته ومشيئته لحاجة المخلوقين إليه وليطيعوه في كل جهةٍ.

قال السائل: وهل يرى القدرة من لا يرى الربّ ؟

قال: هو كذلك، وذلك أنّ القدرة والربّ أقسامٌ مختلفة ولا يُرى الجوهر.

قال السائل:فإنّ القدرة في الربّ ؟

قال العالم: إنما على الناس أن يتكلّموا بما رأوه، وليس عليهم أن

ss

يسمعوا إلاّ بما علموا. إنّ الله سبحانه وتعالى ربّ كل شيء وخالق كل شيء وإله كل شيء،فهذه أسماء أشخاص. فإن قال قائلٌ في نفسه: إنّ كلّ الله لا يتسمّى بهذه الأسماء، فقد كذب ظنه ، فإنّ الله يسمى بهذه الأسماء عند المخلوقين.

قال السائل: فهذه الأسماء يُستَحَقُ معرفتها أم لا ؟(مخطوط: استحقها أو لا استحقها)

قال العالم: تسحقها الخاصة من الناس ولا تستحقها العامة بمعرفته، كيف يُظهر قدرته وكيف يكون وكيف يُسمّى...

قال السائل: فما وزن ذلك ؟

قال العالم: وزن ذلك الميزان. فمن لم يسمي الكفتين كفّتين واللسان لساناً والميزان ميزاناً فقد جحد الحق في الإسم وجحد ما رأى. إنّ لم يسمّه ميزاناً أبطله، فإذا قال(مخطوط: علم) أن الميزان والكفتين كلٌّ منهما بخلاف صاحبه فقد كذب، وإذا قال: هو الميزان والكفّتان واللسان فقد صدق.

قال السائل: وكيف ذلك ؟ والروح والقدرة متَبَعّضتان كتبعّض الكفين بالميزان !

قال العالم: نعم، في الرؤية الكلام، وأما في الجوهر الميزان.

قال السائل: ولما طوّل على العباد ولم ينادهم من موضعٍ واحدٍ حتى يجيبوه كلّهم بتحقيقٍ بلا تفريق ؟

قال العالم: فعل ذلك ودعاهم إلى وحدانيته بالقدرة(مخطوط: في القدرة) والعلم.

قال السائل: وكيف ذلك لا يثبت إذا كانت صفة القادر القدرة ؟

قال العالم: فعلى الناس أن يجيبوها من حيث جاءت، ويصدّقوها كيفما ظهرت، وإن اختلفت وظهرت القدرة والمشيئة.

قال السائل: أترى ، القدرة وآثار الأشخاص واحدة ؟(مخطوط: القدرة واحدة وآثار الأشخاص)؟

قال العالم: إنما يُعبَد صاحب القدرة العلم الذي خلق هذه الأشخاص المختلفة.

SS

قال السائل: فزنْ لي هذا الجواب .

قال العالم: إنما الميزان يوزن به هذه الأشياء، رجح أم لم يرجح، سُرِق فيه أم لم يُسرق، فإن اختلفت أشخاصه بالصغر والكِبَر، فقياس الحق والعدل والجوهر به واحد.

قال السائل: فما قِدَم الربّ ؟

قال العالم: لا يعلمَ أحدٌ نعته وجوهره، وإذا أظهر (مخطوط: أرى) نفسه بالروح فهو عبدٌ كاملٌ ربٌّ، أظهر نفسه عند المخلوقين كيف شاء.

قال السائل: فما وزن ذلك ؟

قال العالم: الميزان الذي لا يوزن به شيء.

قال السائل: ما أُظهرت (مخطوط: أرى) هيئة الربّ كهيئة الميزان.

قال العالم: نعم.

قال السائل: وزِنَ به أم لم يوزَن، والآلة معلّقةٌ عليه ؟

قال العالم: فكذلك كان الحق قديماً قبل ان يعلّق عليه الآلة ويظهر بها. فحين احتاج الناس إلى الميزان، علّقت عليه الآلة، كذلك حين احتاج إلى المخلوقين تصوّر بالقدرة وظهر بالعلم.

قال السائل: فأي شيءٍ الإثنين وأي شيء الثلاثة وأي شيءٍ العشرة وأي شيء المائة وأي شيء الألف ؟

قال العالم: إنّ الواحد هو الفردانية في القدم، والثاني: القدرة والعلم في الحدث، والثالث الروح المقدّسة التي هي أساس كل شيء.

قال السائل: فالرابعة والخامسة ؟

قال العالم: العدد لا يخرج من الزوج والفرد، ثم يحدث له (مخطوط: لها) بكمال كلّ زوجٍ وعدد وفردٍ، والصورة بالأزواج، والعدد بالكمال والفرد بالنسبة. نقول واحد، ثم نقول اثنان ثم نقول ثلاثة، والثلاثة تُردّ إلى الفرد الأول، وهو في المعنى واحدبالآية. فردّ الكلمة إلى موضعها أو لا تردّ وإلى صورتها لا إلى عددها. وكذلك الربوبية تردّ إلى القدرة في ربوبيتها القديمة. لأنه واحدٌ وإن كانت الأشخاص ثلاثة في واحد[1] نقول أربعة تردّه إلى خالقه(مخطوط: خلقته) ثم نقول خمسة فتردّها إلى الوحدانية

(١) المبدأ في هذه الفكرة متأثر بالمسيحية: "باسم الآب والإبن والروح القدس، إله واحد آمين".

الأزلية، فيكمل من العدد ماشئت، ولا يخرج من الزوج الفرد، لأنّ الواحد قبل الإثنين.

قال السائل: فزنْ لي ذلك .

قال العالم: الميزان له كفّتان ولسان، وهو جوهرٌ واحدٌ في الوزن، وكلّ ميزانٍ يكون بكفّتين ولسان فهو دليلٌ على الحقّ. واللسان قبل الكفّتين مقيمٌ على الحقّ، والكفتان عباد، وكذلك المشيئة بالحق، والحق القُدُس والجميع عذرٌ

قال السائل: أيها العالم، أريد أن أسألك عن ثلاثة مسائل في التوحيد، لا أُريد معها رابعة، ولا أظنّ إني أحتاج إلى غير ذلك.

قال العالم: لعمري إن عرفت هذه الثلاثة لن تحتاج معها إلى غيرها، فاسأل بتوفيق الله.

قال السائل: أخبرني عن، الله وما هو اسمه ؟

قال العالم: هو الله.

قال السائل: هو اسمٌ أم معنى ؟

قال العالم: هو معنى.

قال السائل: لا بدّ للمعنى من إسمٍ يعرفه الناس به.

قال العالم: أجل.

قال السائل: ذلك إنّ الله أسمٌ لنفسه ومعنى لنفسه، نطقتَ بذلك .

قال العالم: بتوفيق الله عزّ وجلّ.

وقال: ع. ل. ي .الذي علا فوق كل إسم وقهر كلّ إسم.

قال السائل: له مثلٌ؟

قال العالم: لا إذا كان له مثلٌ فهو هو ، فقد يكون جوهراً واحداً يفعل بقدرته ما يشاء.

قال السائل: فتقول إنه جوهرٌ لا ينقطع ؟

قال العالم: نعم، لا يكون له مثل.

قال السائل:فله ضدٌّ ؟

قال العالم: إن لم يكن له مثلٌ، فكيف يكون له ضدٌّ[1]

قال السائل: فما نسبته في القدم، وما القدرة ؟

قال العالم: في القدم، لا يحتاج ان يُنسب لنفسه، وإنما يحتاج إلى النسبة، ومن يحتاج إليها كان منها.

قال السائل: عمّا علمت من هذه الثلاثة، نفي الضدّ والجوهر والإسم والمثل، فكيف يُطلبُ عند العالم؟

قال العالم: بالعلم والقدرة .

قال السائل: هذان شاهدان عادلان .

قال العالم: فازد الله شكراً ولا طوعاً، وأجب ربّك من حيث تجده ملياً وفياً برحمته وثوابه لمعرفتك إياه.

قال السائل: أيها العالم، أريد أن أسألك عن سبعة عشر مسألةٍ وتسعة عشر مسألة.

قال العالم: بيّنت عليّ الدهور، وعرفت الأزمنة، وتبتينَت لك الأوقات وما هو آت، أردتَ أن تعرف ما فات، فاسأل روح القدس ن فإنه قرابك.

قال السائل: أخبرني عن الجوهر القديم والجوهر الحدث والصورة القديمة والصورة الحدث والنقل في الصورة؟

قال العالم: الجوهر القديم المنتقل حيث يشاء، الذي يظهر بما يشاء منه، والجوهر الحدث الذي لا يظهر كيف يشاء ولا ينتقل كيف يشاء.

قال السائل: فأين ينتقل الجوهر القديم ولم يسمّى باسم واحد ؟

قال العالم: الجوهر القديم ينتقل في الصورة كلها، ليذكّر وينبّه على توحيده ويدل على قدمه وربوبيته وغير ذلك...وأما الجوهر الحدث فيدل على عجزه ونتاج جنسه والعجز في الانتقال عن ذلك، وأما الاتفاق في الإسم فإن الإسم موجود وله من كل ناحية حدّ واحد.

---

(١) في جميع المراجع الدينية الأخرى عند العلوية النصيرية، يعتبرون إن لله في حالات التناسخ السبعة عبر الدهر ضدّ وهم هابيل والنمرود وفرعون وهامان ويهوذا الأسخريوطي وأخيراً عمر بن الخطّاب الذي يعتبرونه إبليس الأبالسة أو الضدّ الأكبر، وحتي في العوالم السابقة للعالم الجسماني الصغير، وسنعود إلى هذا الموضوع بشكل موسّعٍ في كتاب مقبل إن شاء الله.

SS

قال السائل: هذان من كل ناحية أو ناصية واحدة، قد يرى من كل ناحية، او من ناصية أو ناحية واحدة،(هو) عالمٌ من كل ناحية؟ أو من ناصية واحدة ؟ كذلك القدرة والمشيئة دليلان على الحق والعدل.

قال العالم:تبيّن ذلك .

قال السائل: إذا كان قديم الجوهر يبصر من حيث لا يسمع، ويسمع من حيث لا يبصر، ويتكلّم ولا يبصر ولا يسمع ولا يعلم كصورة الجوهر الإنساني...كيف ذلك ؟

قال العالم: لستُ مجيبك عن هذا حتى أسألك عنه، أفهمت ذلك أم لا ؟

قال السائل: عالمٌ يردّ مسألته على سائله !

قال العالم: بما أنّ واجب سؤال السائل بياناً ، أخبرني، إذا عصت جارحة من جوارحك، ألا تُعذّب الجوارح الأُخرى؟ إذا عصيت بفرجك، ألا يُجلد ظهرك ؟ وإذا عصيت بعينك ألا تعذّب نفسك ؟

قال السائل: إنّ الروح مشاركة البدن، وإن الجوارح مشاركة بعضها بعضاً.

قال العالم: أي شيء شابه العين في الجوارح ؟ فالعين لا تسمع وكذلك الأذن لا تبصر، وكذلك جميع الجوارح باختلافها لا تشبه بعضها بعضاً.

قال السائل: هي مشتركة في الجنس.

قال العالم: ما ذنب الجنس إذا فعل بعضه ولم يفعل البعض الآخر ؟

قال السائل: بل هي (عملية) متصلة، ولم يكن عملها يشبه بعضه بعضاً، كذلك التراكيب.

قال العالم: التراكيب فيها ظلم يظلم بعضه بعضاً، أيؤخذ الصبي بذنب أبيه وأمه ؟، يا سائل لقد جئت شيئا، شططا.

قال السائل: إنّ النفس مركّبة في البدن، وإنّ العمل للنفس لا للبدن.

قال العالم: فلما يُضرب البدن، ولما تُقطع الأيادي ؟

قال : هما مشتركان .

قال العالم: وأين كان البدن حين لم يكن ؟ وكانت الأرواح ؟

قال السائل: فقد جاء البدن من بعده .

قال العالم: كلاهما مشتركان وإلاّ فهما جنسان متشابهان.

قال السائل: أنت تسأل ولا تسأل .

قال العالم: أرجع الحقّ إلى أهله، فما تقول في رجلٍ أو عبدٍ أو أمَةٍ...أطاع الله بعينه وعصاه بفرجه أو أطاعه بلسانه أو قسّم جوارحه، نصفها بالطاعة ونصفها بالمعصية، ترى يقسّم بدنه وروحه، فيجعل نصفه في الجنّة ونصفه في النار ؟

قال السائل: إنّ الله فضّل العلماء وجعل نورهم سراجاً للجهلة، وفضّلهم الله لمّا جعل عندهم من كنوز العلم وبيان الحق والصدق، فما بيان ذلك؟

قال العالم: أعطِ العلم إلى أهله يفسّرونه، ولبيان أديانه يمثّلونه، وإنّ النفس جوهرةٌ بسيطةٌ علَى غير كيفيّة، وجعل للبدن أدواتٍ، فركّب فيه الأدوات، فكلّ الروح تبصر كلها، وكلّ الروح تستمع من الأدوات كلّها، وكذلك تنطق من اللسان بكلّه، وتبطش من اليدين كلتيهما، كذلك من النكاح.

قال السائل: فذلك يتعاقب من مثله ويثاب ؟

قال العالم: وكذلك في التوحيد، إنّ الله خلق هذه الصورة وجعل فيها الروح، فأبصرت من حيث تبصر الصورة، وكلّه بصرٌ وكلّه سمعٌ وكلّه عالمٌ وكلّه قادرٌ وكلّه قاهرٌ وكلّه أولٌ وكلّه آخرٌ وكلّه باطنٌ وكلّه ظاهرٌ.وهذه الآلات كآلات الإنسان. وخلَق المسموعات والمتصوّرات لنفسه. فأظهر لخلقه أن يسمع المسموع، وينظر ويكلّم المتكلّم، لأنّ الخلق لا يعرفون الكلام في الأدوات بالنطق والسمع والبصر، لا كالذي يبصر، تسمع من حيث خلقها، فهو بصرٌ كلّه وسمعٌ كلّه ونطقٌ كلّه وعلمٌ كلّه، وقديرٌ كلّه.

قال السائل: فتكلّمَ بنطقٍ ؟

قال العالم: إنّما يُنْطقُ بالهيئتات المتّصلة، ويُنْطَق من حيث النطق، ويُبْصر من حيث البصر، ولا يقال يبصرُ كلّه، ولا يقال يبصر بكلّه...ولكنّ الستمع كلّه من الله، وكذلك الله يتكلّم من الإرادة ، كذلك النور البسيط.

قال السائل: وكذلك الإنسان وصفته وكذلك الربّ وصفته، فما الفرق بينهما بالصفة والجوهر ؟

ss

قال العالم: الفرق بينهما ، أنّ الجوهر المخلوق له مثلٌ، والجوهر القديم لا مثل له.

قال السائل: ما الفرق الثاني ؟

قال: هذا جوهرٌ عاجزٌ وهذا جوهرٌ قادرٌ، وهذا جوهر تدبير ذلك، وليس ذلك من تدبير هذا.

قال السائل: كيف خلقه على هيئته ؟

قال العالم: لأنّ هيئته الحياة والإرادة والنطق. ولو خلقه على خلاف هيئته كان لا حياة (له) ولا نطقاً ولا فهماً، وإنما خلقه بهذا. إلاّ أنه علم أنّ الحي يفهم عن الحي، والناطق يفهم عن الناطق.

قال السائل: قد كنت أظنّ إنّي أعرف الله بصورة الأنبياء والرسل والأوصياء، وصورة القدرة الروحية القدسية، فذلك(مخطوط: فكان) أكبر إيماناً وأكبر حقاً، فما كيفيته في توحيدنا ومعرفة ربّنا وهيئته؟ ولماذا خلق خلقه على هيئته ؟

قال العالم: أريتك وزن كل شيء سألتني عنه. كانت موازين صرف مما دللتك عليه. والآن، فيا من روّعك حيث عرفت ربّك وهيئته في القِدَم والحدث، وهيئته من كل جهة وصورته في الولادة، وفرق مابينه وبين خلقه، فقد تبيّن لك الحق.

قال السائل: يعلم الله مايكون ، فيكون (أ)و لا يكون، ويخبر بما يكون ويكون وتخبر الله شيئاً أنت تعلمه إلى سنة وإلى مئة. ولا يفعل ذلك ولا يخبر. فيفعل الإنسان، (و) قد يخبر بما يكون، فإذا لم يكن ، فيكون كاذباً. وإن اتفقت الصفة والكذب ،(فـ) على الله لا تفوت(مخطوط؛ يبقا)، وأما قصة ليست من فعل الحكمة. فهذه صفة شارك المخلوق فيها ، والإسم المخلوق يكذّبها ويبطلها.

قال العالم: إنّ الله يخبر بما يكون فيصدق، فإذا ظهر أنه عرف فيه صدقاً، لم ينل من قال إلاّ الكون بالصدق (مخطوط: لم ينال أن يكون مثل ماقال إلا الكون)،إنما هو التصديق بالمعرفة، فإن شاء فعلَه وإن شاء لم يفعله. فذلك(هو) الخبر الذي يخبر عن نفسه. وأما خبر العقوبة فذلك تحذيرٌ للناس. فإن تابوا ردّ عنهم العقوبة، ووعدهم أنه سيفرّج عنهم.يقول: إن تتقوني

فرّجت عنكم، وإن لم تتقوا عاقبتكم، وإن فعلتم ما أحب أتيتكم الوعد الوعيد...فهذا ليس حكْم حكيمٍ، إنما هو ثوابٌ وعقاب، فلذلك يختلف في التقديم والتأخير. وأما تغيير الحكمة، وهي أصل الجوهر، لاخلاف فيها، إذا قال شيئاً صدق، وإذا أراد حكمةً بيّنها. فذلك ما لا رجعة فيه ولا خلاف، لعلّة الخلق. كذلك قال لقوم يونس: إنّي أُعذّبكم، فلم يعذّبهم. وكذلك قال لابراهيم الخليل: إذبح، ثم قال : لا تذبح، وأشياء كثيرة في الكتب، قال: افعلوا، ثمّ قال: لا تفعلوا، وأشياء فرضها، وأشياء شدّدها ثمّ هونها ، فكانوا مُتباين على فعلها. فلمّا تركوها عذّبهم على تركها (مخطوط:فعلها). وليس ذلك من ابتداء الجوهر ولا (من) خاصيته اللاهوتية، وإنما ذلك باستحقاق الخلق من أعمالهم، مَن يستحقّ أن يرخّص له، رخص له، ومن استحقّ أن يشدّد عليه، شدّد عليه. وكذلك قال:"ومن الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات ما أحلت لهم ،الآية، أعني إنكارهم حلول اللاهوت في الأنبياء والأوصياء، ويصدّهم عن المسجد الحرام وأكلهم الربى، الآية"[1]. كان مسخاً منكراً ، والبيت الحرام هو حرمة اليهود معرفة الإنسان"[2]. إنما يغير قوله(أي العبد) ويخلف وعده لمنفعة نفسه، لا لمنفعة غيره، فهذا فرق بين الخالق والمخلوق، والعبد والمعبود في اختلاف الكلام والوعد الوعيد.

قال السائل: ما تقول في ظهور الله للخلق وظهور الخلق لله ؟

قال العالم: إنما الموت والحياة سنّة الحدث، والله تعالى يظهر سنّة الحدث في الحياة والموت، وذلك أن الموت فعل من أفعال(مخطوط:فعل) الله يفرّق بين الروح والبدن، وسمي موتاً بذلك، وكذلك اللاهوت، إنما فارق الناسوت، لا موتاً، ،لأنّ الموت قد يكون بألمٍ وبغير ألمٍ، فهو عقوبة

(١) الآية الكريمة نصاً هي: فبظلم الذين هادوا حرّمنا عليهم طيباتٍ أحلّت لهم وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً، النساء/١٦٠.

(٢) مما هو متّفق عليه أن التفسير إمّا أن يكون تفسير تنزيل أو تفسير تأويل، والمفسرون قد يدخلون في هذا المنهج أو ذاك وذلك حسب الروايات والمصادر، لكنّ التفسير الباطني يخرج من نطاق النحو واللغة والمعنى والتأويل والتنزيل...وستخصص في دراسة مقبلة فصولاً كاملة عن تفسير عدد لا بأس به من الآيات الكريمة لدى النصيرية والدرزية والإسماعيلية،ولكن حتى اليوم لم نجد تفسيراً لكامل النص القرآني عند المذاهب الباطنية ، كما هي الحالة عند أهل السنة أو أهل الشيعة الإمامية، لذلك سيكون هذا العمل تجميعاً للآيات التي وردت في كتبهم أو من المخطوطات التي لم تُطبع بعد.

السيئات، والله ليس عليه عقوبة من غير غيره[1]. وقد يهوّن على المؤمن ويشدّد عليه،(و) الذي يتهوّن (هو) الموت، يُبعث (بـ)القدرة التي لا نعلم بها.

قال السائل: أخبرني، مايريد من خلقه، وما يريد الخلق من الله ؟

قال العالم: يريد الله من خلقه أن يعرفوا حكمته وكلامه وظهوره من أول الخلق إلى آخره، وكونه قبل الخلق وكونه بعد الخلق وكونه مع الخلق.

قال السائل: كونه قبل الخلق بالصفة التي تكون بعد الخلق ؟

قال العالم: أما صفة الجوهر فنعم وأما صفة العلم فلا.

قال السائل: وأي شيءٍ يُفرّق بينهما ؟

قال العالم: قبل الخلق، يعلم أنه يخلق، وبعد الخلق يعلم أنه أفنى الخلق بعد إذ كانوا. فعلم التكوين ليس هو علم الكون، وعلم الكون ليس هو علم الفناء في علمه، وعلّمهم بأنّ علمه ليس علمهم(مخطوط: وعلمهم بأنهم ليس هو علمه علمهم) علّمهم بأنه يسترهم علمه ليسرّهم، فكانوا ويكونون، وكذلك هيئته قبل الخلائق بلا حجابٍ ومع الخلائق بحجاب، ثم لا حجاب. وأما المخلوق فعلمه لا يكون مخالفاً ولا يعلم ما لا يكون مما لا يعلمه إلاّ ما كان في الخلق، أن يقال له بعلم ذلك، فهذا ما لا يمكن في الخلق والمخلوق.

قال السائل: أخبرني عن أماكن الله(مخطوط: الأماكن في الله) من المخلوق، وأخبرني عن الممتنع من المخلوق، والموجب والسالب للمخلوق، حتى تكون قد فرّقت بين الخالق والمخلوق.

قال العالم: الموجب صفة القدم، والسالب في المخلوق صفة الحدث، والمخلوق قد يسلب القدم والقديم الحدث؟

قال السائل: فما الموجب الموجب ؟

قال العالم: الواجب لله العلم، والموجب للمخلوق التعلّم، فيكون علمٌ قد وجب للمخلوق والخالق من طريق التعليم، فهذا جوهر الواجب، وأمّا ما لا يجب للمخلوق فغالبه السالب.

قال السائل: فما الممتنع في الله ؟

---

(١) في مفهوم العلوية النصيرية : إن عبد الرحمن بن ملجم ،قاتل الإمام علي ،كرّم الله وجته، رجل صالحٌ، لأنه خلّص اللاهوت من الناسوت، راجع ص ١٥

قال العالم: لا يقدر المخلوق أن يكون مثل الخالق (لا) بصورةٍ ولا بخلقٍ.
ويقدر الله أن يكون مثل المخلوق بالصورة، وذلك ممكنٌ لله، ممتنعٌ عن المخلوق.

قال السائل: فما الذي يمتنع الله عنه(مخطوط: به) من المخلوق ويوجب للمخلوق ؟

قال : ينتقل جوهر المخلوق من صغير إلى كبير.

قال السائل: فما الواجب للمخلوق ؟

قال العالم: لا يكون المخلوق على جوهر الله، ولا يكون الله على جوهر المخلوق.

قال السائل: فما الموجبة للمخلوق والغالبة من الله ؟

قال : يكون المخلوق من نطفة من تراب في الصورة، ويكون الحجاب من الله بالأشياء، لا من نطفةٍ ولا من ترابٍ

قال السائل: فما السالبةُ من المخلوق والموجبة من الله مجيزاً ظهوره بالحجاب ؟

قال العالم: وجبت الصورة طبعاً للمخلوق والبدن سجينه، والموجبة لله مختبرٌ ظهوره بالمشيئة المتشبّهة لا بالسجيّة.

قال السائل: فما الغالبة في كل شيء والله يدخل في كل شيء ؟

قال العالم: قد أخبرتك ، لأنك قلت كلّ شيء والله يدخل في كل شيء.

قال السائل: فما السالبة للمخلوق ؟

فقال: قد أخبرتك عن الغالبة في جنس المخلوق

قال السائل: أخبرني عنها في كل المخلوقات نوعاً نوعاً.

قال العالم: إذ لم تنقل ذلك الكتب ولا تنقطع بها الأيام، ولكن أعطيك فيها علامة.

قال السائل: وما علامتك أيها العالم في ذلك ؟

قال العالم: علامة العالم البصير ، لا يدركه الحمق الدفيع.

قال السائل: فبين لي ذلك .

قال العالم: يقول: كل شيءٍ، فهو موجب صادق، ويقول ليس كل شيء فهو سالبٌ كاذبٌ ، فماثبت الشيء بحقيقته فهو سالب.

قال السائل: كأني فهمت ولم أفهم، وكأني عرفت ولم أعرف.

ss

قال العالم: سأخبرك بقول الحياة في كلّ حي، فالموجبة الحياة في كل شيء سالبة، إلاّ عن الحيوان، وكذلك الدابية (ربما يعني جوهر الدواب أو جنس الدواب بوزن الإنسانية) في كل الدواب، فما نعم فيه الجسد فهو الموجبة وما خصّ فيه الجنس فهي السالبة، لأنك سلبتها من غيرها والموجب (مخطوط: توجبها) لها.

قال السائل: فبيّن لي المقنع بياناً مثل هذا.

قال العالم : امتناع كل شيء أن يدخل في الأحياء، ليس كامتناع الحياة أن تدخل في الأشياء، وكل ما دخّلت فيه من اسم أو جنس أو جوهرٍ فهو غير ممتنعٍ منك ومن غيرك، فاجعله إن شئت للقديم وإن شئت للحديث، والممتنع على وجهين، ممتنع بتركيب المخلوق والممتنع بلا تركيب الخالق.

قال السائل: أيها العالم، بتين لي ذلك بياناً شافياً في الخلق .

قال العالم: امتناعٌ أن تكون أُنثى،(و) امتناع الأنثى أن تكون ذكراً، فأنت الممتنع وهي الممنوعة، وكذلك الناس والدواب والهوام وكل حي الممنوع والممتنع ، فيه ما قدّره عليه من شيء فتركته لعلة (؟) فهو ممنوع، وما تريده ولا تقدر عليه فهو ممتنع (مخطوط: فتركته العلة فهو ممتنع وما تريده فلا تقدر عليه فهو ممنوع)

قال السائل:أخبرني عن صورة الأشياء كلها من الحيوان،(هل) هي على صورة واحدة أم على صور (مخطوط:صورة) أبدانها الكثيرة؟ إذ أخبرتني أن الله قد خلق آدم على صورته، وقد زعمت أن هذه الدواب الهوام على صورة ولد آدم، فكيف نقلها إلى هذه الصورة وهي على صورته في العالم؟

قال العالم:هي على صورته ما دامت على صورة الإنسانية. فإذا نقلها قلب صورة أبدانها، والجنس واحدٌ وهي صور مختلفة (ثم) قال العالم: تجد فيها الموت والحياة والصحة والمرض، والجوع والعطش، والشهوة والنكاح، فهذا في كل جوهر. وإن اختلفت صورته فهذا دليلٌ على أن (ذلك) كله جوهر واحد.

قال السائل: أخبرني عن جوهر الأنبياء والأوصياء ومن حلّ فيه الربّ، مثل جوهر البهائم والخنازير والقردة والدود وما أشبه ذلك. فإن كان ذلك كذلك

فهو سميحٌ في اللفظ والمعنى. قال السائل: إن كان العبد على صورة الرب، إذا كان على صورته وليس من جنسه، فكيف شبه هذا؟

قال العالم: إنما قلت لك إن الصورة إذا وافقت الصورة لم يضر صاحبها، ولو كانا في الجوهر واحداً كانا صوراً للخالق والمخلوق، وإن يكون المخلوق مثل الخالق في جوهره. فبما أنّ جوهر المخلوق غير (جوهر) الخالق، وصورته مثل صورة الخالق، كان الخالق يحلّ فيه، لأنّ (صورته) مثل صورته، وليس جوهره (مخطوط: هو) مثل جوهره، وذلك إذا نقله ذهبت حرمته وذهب حقه وذهب واجبه على أنه صورة. ولو كان واجبه على أنه مخلوق لاحتجب في كل مخلوقٍ وفي الحجارة والحديد. فلما وجب الاحتجاب في الخلق حيث الصورة للخلق. فلما سخط نقل الصورة إلى خلاف صورته،فقلبها ولم يقلب جوهرها، لتذهب حرمتها، لأنها لم تحسن(مخطوط:توجب) خدمته ولم تؤدِ حقه، وصدّقت على أمره بالشبهة والنقص والإذلال والقهر والقتل، فذلك أذهبَ حرمتها بالصورة [1]

قال السائل: فلما يُسمى باسم الإنسانية ؟

قال العالم: إنما وقعت عليه إنسانية بالصورة، وإنما سّميت بما أوجب الله عليها وهي الشجرة التي قال الله لآدم لا تقتربها، فهي الكفر فأُعذّبك. فكان ولد آدم في صلب آدم، وذاك أن آدم قرب الكفر على معرفة وغير تعمّد منه وغير يقين بالنسيان والسهو على غير قصدٍ منه، فلم يوجب عليه المسوخية، بل أوجب عليه الإخراج إلى الدنيا وصار عَبداً بعد (إذ) كان حراً وصار ذليلاً بعد إذ كان عزيزاً، وصار تعباً بعد إذ كان مرفّهاً، وافترض عليه العبودية، فقيل له: إن لم(تفعل ما) تؤمر ضربناك وعذّبناك. فصارت منزلته بمنزلة العبد الذي إن لم يفعل ما يؤمر به وفُرِض عليه عوقب.وقد كان مهملاً في الجنة يفعل ما يشاء، فصار محصوراً لا يفعل ما يشاء إلاّ بأمرٍ ونهي وعقوبة. وكذلك مَن كفر بالله متعمّداً وقصد الله متبذّلاً ونال منه ما ينال

---

(١) ما يعنيه صاحب الكتاب هنا، أن الله حين أظهر نفسه باشكال مختلفة ليختبرهم، كما ورد في الصفحات السابقة، بأنه أظهر نفسه بشكل الشيخ الوقور والطفل والشاب...وقد أصابهم الشك في البداية، لهذا لم يعتبر الإيمان كاملاً، ومن هنا يقول كاتب الكتاب : ولم تؤدِ حقه، فألبسها الثياب اللحمية،راجع الصفحة ١٨.

المخلوقين بعضهم من بعضٍ وجب عليه عبودية، وهم في الأولى في المسوخية من المأكول والمركوب[1].

قال السائل: لقد فتحت علي أمراً كنت بينته لين وفهمتُ إن لم يضر الجوهر ما كان منه الجوهر، إذ تكلمت (مخطوط: ماقلت) عن هيئته بسخط.

قال العالم: كذا هو.

قال السائل: أخبرني عن درجة الحر والعبد وعبد العبد.

قال العالم: أما الحر والعبد (ف) مثل آدم وولده، كانوا في صلبه، وأزواجهم في ظهره وهو في الجنة، لا يؤمن بصلاةٍ ولا بصومٍ ولا بنهي عن شيءٍ يأكله ويشربه، يصلي صلاة الملائكة بمعرفة الذكر، لا بالسجود والركوع، ولم يكن عليه فرضاً لازماً ولاحقاً واجباً ولا فرضاً إن هو ضيعه عُذِبَ و عُوقب، ولا غضب ولا إساءة إليه. وكان روحانياً مطيعاً مباحاً إليه كل شيء يريده ولا يهتم ولا يغتم ولا يفكر في ذلك، حتى كانت منه المعصية. فأخرجه من دار العزّ إلى دار الذلّ ومن الحرية إلى العبودية وإلى الأمر والنهي والسجود والركوع والصيام، وقيل له إذا لم تفعل عوقبت وضُربت وأُوذيت وأُعدت إلى طاعتي ، فآمن بما شككت وأدي ما نسيت ودع ما عنه نهيتك، فارجع إلى ربّك بكمال ذلك، تعود إلى الموضع الذي منه خرجت.أضاف العالم: لن (مخطوط: لأن) يرجع إلى ذلك الموضع حتى يعرف ربه سبع مراتٍ، كما جهله في سبع سماوات، فيكون عبداً مفروضاً عليه العمل. حتى إذا عرف ربه في سبع تكريرات وتاب من الغفلة والسهو وأُعيد إلى الحرية (من) العبودية، فالعبد إن شاء أو أبى عمل، والحر إن شاء عمل وإن شاء لم يعمل، فيكون في الدنيا لا يحرّم ولا يحاسب. وإذا كان عبداً مملوكاً ، وجب عليه ما يوجب على العبيد والمماليك. والناس على وجهين: أحرارٌ وعبيد. فأمّا العلماء فهم أحرار، وأما الجهال فهم عبيد، والكفار فهم عبيد العبيد ممن مُسخ في المركوب و المأكول والمذبوح،وإنما يُتقرّب بهم إلى الله، كفارٌ إن لم يكونوا على صورته، إعظاماً وإجلالاً لصورته، فإذا فارقوا الصورة صاروا إلى المسوخية، يُتَقَرب بهم إلى الله. أما ترى كيف أحلّ المؤمنون دماء الكافرين، يتقرّبون بذبحهم إلى الله كفّارةً . والمؤمن يتقرّب بذبحهم إلى الله. أما ترى، لو

---

(١) الحيوانات الماكولة كالخراف والبقر...والمركوبة كالخيل والحمير...

كانت البهائم خلقاًمخلوقة، بلا ذنبٍ ولا جرمٍ ولا معصيتة ولا كفرٍ. والكفار قد عصوا الله وكفروا بـه. لقد كانت البهائم خيراً من الكفّار، فكان ينبغي (على) الأنبياء والرسـل أن تفهم الكفار، فينهون عنهم ويخلون بينهم وبين المؤمنين (مخطوط: ويخلونهم للمؤمنين)، ويكذبون على الله ويشتـمونـه. فلا تشتم الله ولا تكفر بـه.

قـال السـائـل: وإن كان الكافـر يأخذ غصباً ويأخذ ما لا يحل له، فقد كان ينبغي للمؤمـن أن ينهاه عن ذلك ويمنعـه إذا قـدر.

قـال العالم : (أ)ما ترى المؤمن والكافر كيف يُنتقم منهما، فهذا مركّب على قدر ذنوبهما، في أي صورة ماشـاء ركّبك(مخطوط: ركبها)[1]

قـال السـائل:فلما لا يعلّم الله الناس هذا العلم كله حتى يقصدوه؟ وكيف لا يعرفون ذلك ؟

قـال العالم: لو علمت البهائم ذلك ما أكلت ولا صـار منها سـميناً، ولو تفهّمت ذلك لماتت خوفاً وحزنـاً. ولو علم الناس وعرفوا قربهم من المسـوخيـة ما ذبحوا منها شيئـاً تقرّباً إلى الله، إلاّ(ما) قلّ من ذلك. وإنما غطّى الله هذا الأمـر عن الجهلـة، لتقوم الحكمة وتـتم العقوبة، وليعلم العلماء ما لا يعلمـه الجهّـال.

قـال السـائـل: مـا هـي، فتأكل وتشـرب وتنكح، وهـي رفاهيتة، إلى أن ينزل بها البلاء ؟

قال العالم: هو ذلك، لأنها في البلاء الأدنى دون العذاب الأكبر. وذلك انها حين كفرت بـالله لم تـنـزل بها الآفـة والعقوبـة ولا العذاب ولا القتل إلا في وقت واحد لمعاني كثيرة.

قال السـائـل: إني ارى بعضـها أرفه من بعضٍ، وبعضـها يـذبح أسرع من بعض وبعضـها يقتل دون بعض.

قـال العالم: أما تـرى الكلب، ربما قتل بالحجارة، والثور يبقيه أهله، فإذا كـان في زمن آخـر يذبح ذبحاً، وكذلك الجمل والخنزيـر وما شـابـه ذلك من ذوي الأربـع فإنها تُـذبـح صغاراً وكباراً وتصيبها الآفـات. وكذلك سـائر الدواب، منها ما يـذبح ومنها ما لا يذبح، ومنها ما ينكسـر ومنها ما يموت مـوتـاً. فإما

(١) سورة الانفطار، آية ٨

SS

من مات صغيراً وكبيراً ووسطاً، فهم الذين اجتمعوا على قتل وليٍّ من أولياء الله ولم يكن في قلوبهم رحمةٌ، فتواطئوا على قتله. فإذا أزال الله عنهم علائم المسوخية جُعلوا قرباناً لله (و)ذبحوا ذبحاً. وهم الذين نزلوا على قتل أوليائه بأيديهم. وأما من اجتمع الناس عليهم ولم يتقربوا (إلى) الله بقربانهم ولكن (كان ذبحهم) هدراً، فهم الذين آذوا المؤمنين وقتلوا منهم ظلماً وعدواناً، فأزال الله منهم. وأما ما كان من البهائم التي تذبح، فهم الشاكّون الذين لم يدروا (أ) قتلوا حقاً أم باطلاً، فكل مارجع منهم موضوعاً تمنّى القتل وهو ما يقتل منها. وإذا دام الرجل منهم على شكّه وهو كافرٌ مرتابٌ مات موتاً ولم يقتل.

قال السائل: أخبرني إلى متى يكون كذلك ؟

قال العالم: إلى رجعة أُخرى بالولادة. فإذا ظهر القائم[1] ردّهم في صورة الإنسانية، حتى يقتلهم على قدر ذنوبهم (و) حتى يجري الأودية بدمائهم كما يجري الماء لكثرتهم. لعنهم الله. ولكل واحدٍ منهم ألف ميتة جهاد وألف ذبحة. وقد يبقي عليهم بعد ذلك من العقوبة والانتقام، فليردّوا بما بقي عليهم إلى عذاب النار. وبيان ذلك في جميع الكتب. ففي القرآن قوله ومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين[2]. وقوله: وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون[3] وقوله: في أي صورةٍ ما شاء ركّبك[4].

وقوله : كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم [5].

قال السائل: قد عرفت الحجارة والحديد، فما الخلق الذي يكبر في صدور الناس، ولا يكون شيء أعظم في صدور الناس من الجبال الراسيات ؟

قال العالم: الخلق العظيم في صدور الناس هو الذهب والفضة، وهما من معادن الجبال في القرآن، ومن الجبال جدراً بيضاً وحمراً مختلف ألوانها

(١) يعنون بالقائم الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، وهو محمد بن الحسن العسكري.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٤٣.

(٣) سورة الواقعة، الآية ٦٣.

(٤) سورة الانفطار، الآية ٨.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٥٠

ss

وغرابيب سـودا، ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانها[1]. وقولـه: ذلك الذي يخوف بـه عباده: ياعبادي فاتقون. فقولـه: ومن الجبال جدراً بيضاً وحمراً، وهـم الجبابرة والطواغيت،رسخهم الله عزّ وجلّ لعتوهم وتمرّدهم، فالمسـوخية رواسيه، ثم يركّبون في المأكول والمركوب والمعذّب بالعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر.وهوقوله في الكتاب العربي[2]، محمد عليه السلام، ذلك الذي يخوف بـه عباده: ياعبادي فاتقون، أي فاتقوا المسـوخيـة أن تركّبوا فيها. وقال: وترى الجبال جـامدة وهـي تمرّ مرّ السحاب...الآية[3] .وفي الكتاب العربي: وما من دابـة (في الأرض) ولا طـائرٍ يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم[4] وفي كتاب محمّد: أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مسا كنهـم...الآيـة[5]. وفي الكتاب العربي من البيان ما لم يوضحه كتابٌ من كتب الأنبياء. يقول جاهلٌ: أمم أمثالكم، أعني في الخلق لا في الصورة، يقال: الإنسان مثل الطـائر والأسـد، مثل الثور والطعام، مثل القدرة...لعمري إنّ ذلك ليس بإشـكال.

قـال: قل من مثلهم، أعني أممُ أمثالكم، مثلكم في الخلق وليسـو مثلكم في الجنس، قيل خلقـة الله مثل خلقـة الشـيطـان، وخلقـة آدم مثل خلقـة إبليس ؟

قـال: ذاك كفرٌ، لأنّ الشـيء ليس مثل الشـيء إذا وافقـه في باب واحـد. فإذا كان متوافقا لـه في ذلك الباب، فلا يكون النبي في كل جهـة مخالفـاً الشـيطـان. وكذلك آدم (لايكون) من كل جهـةٍ مخالفاً إبليس فإن قـال: فهو موافق من باب الخلقـة (فهو) إذاً مخلوق والآخر مخلوق، فقل إنما خـالف بينهما وخلقهما مختلفان، وهذا ما لا يمكن أبداً في كتاب العربي محمّد[6] قل: إن كان

---

(١) سـورة فـاطر، الآية ٢٧ .

(٢) إن تسـمية القرآن الكريم بالكتاب العربي، يمكن أن تكون تسمية من قبل سكان بلاد الشام في بدايـة العهد الأموي، وقد انتسيت هذه التسمية مع مرّ السنين، مع العلم بأن هذا الكتاب الذي بـين يدينا قد أخذ شكله في بداية القرن الثاني للهجرة، أنظر ص ٦٩

(٣) سـورة النمل: الآية ٨٨

(٤) سـورة الأنعام، الآيـة ٣٨.

(٥) سـورة طـه، الآيـة ١٢٨ .

(٦) ما يعنون بالعربي محمّد، أي صـاحب الجنسـية العربيـة، أو من الجنس العربي، هو انتقال الألوهيـة من بلاد فارس إلى آل لؤي بن غالب، في نسل عبد المطلب بن هـاشـم. راجع المخطوطـة رقم ١٩ في مكتبة كيـيل في ألمانيا.

للرحمن ولداً فأنا أول العابدين[1] وإن قال قائل: إنما يعني فأنا أول الجاحدين، يقال إذا كان العابد جاحداً، والجاهل عابداً، فاستقام أن يكون الحق باطلاً والباطل حقاً، فليس هكذا، ولكن قال: أنا أول الموقنين (مخطوط: الأيقين). أما سمعت الكتاب العربي يقول: أما تأتوا من كذا وكذا

وعلى دليلٍ، على أنّ الله يظهر بصورة الأنبياء.وقال في الكتاب العربي: وجعل بينه وبين الله نسباً ولقد علمت الجنّة أنهم لمحضرون سبحان الله عمّا يصفون[2]، ومتى جعل بينه وبين الجنّة نسباً، والجنّة لا يردّون لها أصلاً ولا يحسّون ولا يجسّون، فكيف يكون نسباً بين من لايحس ولا يجسّ..وبين مَن آياته ودلائله في السماء وفي خلقه أجمعين.

قال السائل: فما معنى هذا ؟

قال العالم: أعني بني إسرائيل، جعل بينهم وبين المسيح نسباً، وهذا قول اليهود في المسيح، وفي الإنجيل يا عيسى إني ولدتُك، وتفسير الجِنّة في هذا الموضع ما استجنّ الله فيهم، فمريم بموضع استجنّ الله فيهم،ويحي وزكريا جعلوا بينه وبين الله نسباً. زعمت اليهود أنهم قتلوا المسيح، حتى كفّرهم الله في الإنجيل .وفي الكتاب العربي كيف وصل إلى القتل، فما قولك ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون[3] كان دخول اللاهوت في الناسوت في المريمية حين نزل من السماء وأظهر لعباده من عجائب وإحياء الموتى وخلق الخلق، ونبّأ بالغيب ممّا يدخرون في بيوتهم، وأبرأ الأكمه والأبرص، ثم رجع إلى السماء التي نزل منها،. يقول في الإنجيل: فيكفيكم من اللاهوت الذي عاينتموه ومن أفعاله التي ليست إلا اللاهوت، فعلّه واحدٌ[4]، فكيف آياتٍ متواترات والدلائل والمعجزات إن عقلتم. ويقول في الكتاب العربي

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٨١ .

(٢) سورة الصافّات، الآية ١٥٨

(٣) الصافات، الآية ١٥٨

(٤) لم نجد اثراً لهذه العبارة في الأناجيل الأربعة، وربما أُخِذت من الآناجيل التي تُعتبر محرّفة من قبل الكنيسة.

ss

إن في ذلك لايات لقوم يؤمنون[1] وقال سبحانه: سبحان الله عما يصفون[2] و جعل اليهودُ جوهرَ الربِّ كجوهر الجنة، ومريم حجابٌ احتجب بها الله عن تأدية الولادة، وهو في الكتاب العربي: جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أناثاً أشهدوا خلقهم ، سنكتب شهادتهم ويسألون عمّا قالو[3]. ومما جهلوه عذاب الكرّة وأظنها العلم والقدرة، وحكموا بالأنوثة على الذكور، وجهلوا أمرالحجاب ثم أوضح الكتاب العربي بالنداء(مخطوط: بالندى) للمسيح بالتجلّي به باللاهوتية، فقال إذا بُشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً [4] يعني اليهود، حين ضربوا مثل الرحمن أن ولدت مريم بالأنوثة.والأنجيل يدلّ على ما هو أشرح من ذلك وأوضح، لأنه يقول في الإنجيل: نزلّه إليكم متجلّياً في حجاب، فأريتكم نفسي بالبشر وبالولادة، ثم عملت عمل اللاهوت، فلم يكن عندكم ما تميزون به بين من يفعل فعل الألوهية وبين من يفعل فعل الإنسانية، ثم أكدتُ حجّتي بارتفاعي إلى موضعي في السماء، ثم إني أظهر في الأرض بعد فترةٍ وأُبدي العلم والقدرة[5].

قال السائل: كشفت لي عن مستور وشرحت لي مكنون باطنٍ قد عجزت عنه الخلق المذكورة، فأعد علي ما ابتدأت به من أمر المسوخية .

قال العالم:كيف وصف ما يحلّ أكله من التراكيب في المذبوح (مـ)ما يؤكل لحمه، والكتاب الإسرائيلي يقول: إن كل ممسوخ محرّم أكله مثل البيضة إن لم يكن لها طرفين مختلفين، ومثل السمكة إن لم(يكن) لها قوس ومثل الأرنب والخنزير والقرد وغير ذلك. (و)ما دلّ عليه الكتاب العربي في

---

(١) النحل، الآية ٧٩ والعنكبوت، الآية٣٧ والزمر ، الآية ٥٢..

(٢) الصافات، الآية ١٥٩.

(٣) الزخرف، الآية ١٩

(٤) سورة الزخرف، الآية ٤٣

(٥) لم نجد هذه العبارة في كتاب العهد الجديد، كالعبارة التي سبقتها، ولكن هذا لا يمنع أن تكون هذه العبارات المنسوبة إلى الإنجيل متواجدة في أناجيل أخرى لم تعترف الكنيسة بصلاحيتها، إضافة إلى ذلك ، فإن العلوية النصيرية من أكبر ورثة المذاهب الدينية المختلفة التي انتشرت في بلاد الشام بكثرة بعد وفاة المسيح عليه السلام، حتى دخول الإسلام بعد ستة قرون والتي زاوجت بين مختلف الأديان والمذاهب في المنطقة، حيث كانت تموج بالحركات الدينية تخطّى عددها العشرات.

الرجوع إلى الدنيا ، وأنه قد رجع بعض الأنبياء وأحيا قوماً قاتلوا معه، وكذلك جميع الأنبياء والرسل من أولهم إلى آخرهم في كتبهم مبينة إلى قضاءٍ مبرمٍ وحكم محتوم مفصول.

قال السائل: أخبرني كيف يكون المؤمن بلا عمل ولا فرضٍ ولا يطالب بشيءٍ ، ويكون مستمراً في منزلة الأحرار فلا يُحرّم عليه شيء.

قال العالم: إذا كمل المؤمن وبلغ المعرفة وعرف ربّه وحجبه ومقاماته وأبوابه وأيتامه ونقباءه ونجباءه والمختصين والمخلصين والممتحنين والمؤمنين، فقد خرج من العبودية وصار إلى منزلة الأحرار ورفِع(ت) عنه الأسرار، وأُبيح له كل ماكان محظوراً ، لأن قليل العلم خيرٌ من كثير. وإنّ موسى كان بيتاً من بيوت الله التي ينزل بها الربّ ويرتحل، وقد كلمه الله وأخذ التوراة منه، واهتزّ له كل شيء، وأمره بالطهارة من البول وحرّم عليه أكل لحم الجدي والأرنب والخنزير، وأمره بالغسل من الجنابة. فلمّا جاء المسيح الإبن ، وإنما هو الأب في صورة الإبنية، فحلّل في المريمية غير سنة موسى ورحمهم. فقال: كلوا ما شئتم واطعموا كل شيء تطيب فيه أنفسكم، ورفع عنهم الغسل والجنابة والوضوء، فلا ترى أيها السائل أنه قد أعتقهم من كثيرٍ مما فرض عليهم موسى، وهوّن عليهم كثيراً من الأغلال والأسر.وقال: إنّ الله مستغن عن أعمالكم، إن شئتم اعملوا وإن شئتم لا تعملوا إذا فهمتم حلاوة الحرية، وأخبرهم(عمّا فرض) عليهم، إنما كان حين جهلوه،. فلمّا استكملوا المعرفة وعرفوه بالتجلّي بالألوهية، وصارو من أنبيائه، خفف عنهم المعرفة التي بلغوها عند الله حبّاً لا طمعاً، ولا خوف إذ صاروا في درجة الحرية. أما علمت انّ القسيسين والرهبان ،لمّا بلغوا درجة المعرفة تزهّدوا في الدنيا وصاروا سائحين واجتنبوا الدنيا وزخرفتها، أنعم الله عليهم، وبلغ بهم الدرجة، وعرفوا المسيح كنه المعرفة، حتى بلغ من شأن الحواريين الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع والبيع ، وبلغوا من الزهد مبلغاً لم يبلغه أحدٌ من هذه الملل،شكراً وحبّاً، لا خوفاً ولا طمعاً. ثم قال العالم: قد وهبت لك أيها السائل سبعة عشر مسألة في المسوخية وثمانية عشر مسألة في النشوء والولادة وتسعة عشر مسألة في العبودية والحرية، بينتها ثابتة، وأخرجت لك من تفسيرها ومن باطن

سرّها ومكنون علمها التي هي خفية عن هذه الخلق المنكوسة الذين هم ثيران وبقر، وقد شبّههم الله، عزّ وجلّ، بالأنعام، وحجز بينهم وبين المعرفة، ولبّس عليهم ذنبهم، فهم عبيدٌ قنٌّ فلا يزالون في التحيّير ،والتيهُ مفروضٌ عليهم في العبودية والأغلال والأوصال المظلمة التي هي من جنسهم وصف الأحرار النورانيين . وعرفهم وانتخبهم (مخطوط: وانتجبهم).واصطفاهم بالمعرفة وهي سبعة عشر فصلاً وثمانية عشر حجاباً، وتسعة عشر معرفة. وفي كل نوعٍ وجنسٍ من العرب والعجم. وبقيت لك مسألتان فاسأل.

قال السائل: أخبرني ما مثل الله، وما مثل خلقه ؟

قال العالم: مثل الله مثل الشمس، تطلع وتشرق، فينتفع بإشراقها وطلوعها جميع الخلق. ومثل خلقه مثل النبات، ينتفع به كذلك الخلق، ينتفعون بما خرج لهم من الأرض. فالشمس لها ضياءٌ وهيئة وحرارة ومنفعة، تُخرِج بحرارتها النبات وبضيائها هذا الخلق.

فقال: ما مثل ظهور الله الرب في خلقه؟ وما مثل خلقه في تصديقه وتكذيبه؟

قال العالم: مثل الريح الهابّة الطيبة التي تخرج لهم بنسيمها وقوتها النبات من الأرض، ومتاعاً للمتّقين، وبلاغاً للمسافرين كما في الكتاب العربي: أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم[1]

قال السائل: فمن اين منفعتها ؟

قال العالم: لمن يلائمته ضوؤها على من لا يلائمه. ومثل المؤمن في ظهور الله مثل موافقة المائية من الإيمان بالحجارة...(؟)

قال السائل: وما المائية ؟

قال العالم: مما (يكون) هذا الشيء وما هو ؟ فإذا اتفق الإيمان ولم يتفق الجنس فهو من المائية. فاتّفق جنس الربّ وجنس الأنبياء وجنس المؤمن في المائية، فذلك الإيمان، وذلك موافقته. ولم يتفق (مع) جنس الكافر.

قال السائل: فما تصديق الربّ من تكذيبه ؟

قال العالم: مثل ذلك مثل القمر، ضياؤه من ضياء الشمس وكذلك الحُجُب والأنبياء أُحدِث كلامها من الله، فهي تؤديه إلى الخلق. وأما مثل

(١) سورة النازعات، الآيات ٣١-٣٣

ss

التكذيب، فمثل الدودة التي ضياؤها في الليل، تحسبه الناس ناراً او شعلة نارٍ أو قبسٍ من نار. وليس له معنى إلاّ الدودة من غير أصل. فذلك مثل الحقّ والباطل.

قال السائل: فما مثل الحرّ والعبد ؟

قال العالم: مثل الحرّ مثل الدينار، ومثل العبد مثل الفلس، لأنك تشتري بالدينار الواحد الفلوس الكثيرة، ولا تشتري بالفلس الواحد إلا الفلس الواحد. وإنما يشترى بالفلس الواحد حطام الدنيا (من) الأشياء مثل البقل والبصل والخراف وما شابه ذلك من الأشياء الدنيا. ومثل الحرّ مثل الذهب، يجود على تصفية، لا يضره الكسر. ومثل العبد مثل الفلس، نقصانه يتلاشى على تصفيته وعقوبته بالتراب، لأنه رديء وجوهره خبيث. ومثل المؤمن لا يضرّه الباطل ولا يغيّره. والمؤمن، الحقّ يزيده ولا يغيّره أين ما كان وفي أيّة دنيّة كان، إذا عرف الحق لا يسليه شيء. وضرب بهذا مثلاً للمؤمن والكافر، لأنّ المؤمن لا يضرّه المأكل، والكافر لا ينفعه شيء، ويبليه كلّ شيء. والعبد يشترى ولا يشترى،وخير (مخطوط:وشر) الحُرّ إخراجه من العبودية، يريد أن يخرج من الشك إلى (الـ)يقين، ومن الجهل إلى المعرفة وشر العبد الخروج من اليقين إلى الشك، يريد، من الإيمان إلى الكفر، وذلك مثل الحرّ والعبد.

قال السائل: إنما العبد من كلّ جنسٍ .

قال العالم: قد يكون مؤمناً وقد يكون كافراً . وكذلك العبد يولد في الأرض التي يقع فيها الشيء، يجوز أن لا يولد. (أ)ما ترى العبد يصير بالقدرة إلى درجة مرتفعة أكبر من درجة الحر، وربما أُعتق ، وإلى عزّ أكبر من عزّ الحر وإلى بهاءٍ أكبر من بهاء الحر، وربما أُعتِق، فيبقى ذلك عليه. وربما يعتق، وربما مات في العزّ والثروة، وربما كان العبد شقياً ، فيعتق وهو شقي، فيصير مسكيناً، ويظل في حالة التسوّل (مخطوط:التساؤل)، فيموت في شقائه. فيكون العبد ذليلاً شقياً ليس له غير(مخطوط: في) شكّه، إلى يوم يموت يلحقه ذلك. فإذا أُعتق قبل أن يذهب عنه الشك فيما يشك فيه من أبدان، وله عمل أو ليس له عمل، ولد في الأرض مع السبي حتى يُتخذ عبدً، وعلى قدر ذلك...

قال السائل: فما مثلك فيه، أسألك عنه ؟

ss

قال العالم: قول القائل حين قال للآخر: أخبرني عن الخلفاء والملوك وأصحاب الجيوش، كيف يُعظّمون وتارةً يُرجمون ممن سار منهم بسيرة تقطيع البلاد، ولا ترى فيها عادلاً، يكون معبوطاً في حياته، مضبوطاً في مماته. ومن سار بسيرة جائرة يكون مرحوماً بحياته مرجوماً بمماته.

قال السائل: فبأيّ شيءٍ ارتفعوا إلى ما ارتفعوا إليه؟

قال العالم: إنّ الله احتجب بحجب كثيرة، فمن آوى حجاباً أوأكرم له حجاباً أو نصر له حجاباً لم يخرجه من الأرض، لأنه بوفاة القتل أجارهم من الظلم، فأوفى بالجوار، وهو الملك. وكذلك الملوك الصغار،لم يعرفوه، جعلهم في الدور الآخر ملوكاً لأنهم آووا المؤمنين ونجّوهم من القتل وجاروهم من الظلم، فجعلهم ملوكاً صغاراً

قال: ما مثل ذلك ؟

قال العالم: مثله مثل رجلٍ أقرضَ رجلاً مالاً، فإن كان كثيراً، أخذ كثيراً، وإن كان قليلاً أخذ قليلاً.

قال السائل: ايها العالم، ما مثل الحرية كلّها ؟

قال العالم: إذا أطاع الخلق كلّهم.

قال السائل لمن (الطاعة)؟

قال العالم: لربهم.

قال السائل: في أيّة صورةٍ ؟

قال العالم: فيما ظهر لهم بهاً إذا أظهر العلم والقدرة.

قال السائل : فما يكونون ؟

قال العالم: أحراراً.

قال السائل: وهم، فلما يعيشون ؟

قال العالم: لطاعته له بالعقل.

قال السائل: فلما يموتون ؟

قال العالم: الموت موتان: موت الجهل عن العلم، والموت الثاني، بموت أجل الرجل حتى ينقص من عمره، لشكه في حجاب الأنبياء وأنه عبدٌ.

قال السائل: فمن الذي يزداد عمره ؟

قال العالم : الذي يقر(مخطوط: لإقراره) بحجاب الولادة.

ss

قال السائل: فمن يزيد عمره بنقل(مخطوط: بتنقله) النواقل.(و)قال السائل: ومن ينقص عمره ورزقه ؟

قال العالم: بتركه أشخاص الفرائض[1].

قال السائل: فيما يكون موته ؟

قال العالم: بفرغه من حقه وباطله.

قال السائل: فما مثل أبدان المؤمنين من الربّ ونوره ؟

قال العالم: مثل النجوم.

قال السائل: فما مثل ابدانهم الآدمية ؟

قال العالم: مثل الغيوم التي يكون منها القطر .

قال السائل. فما مثل أعمالهم ؟

قال العالم: مثل المطر الذي ينبت به كل شيء.

قال السائل: فما مثل أبدان الكافرين ؟

قال العالم: مثل الظلمة.

قال السائل: فما مثل عمل الكافرين ؟

قال العالم: مثل البرد الذي يحطّم كل شيءٍ أصابه.

قال السائل: فما مثل عمله ؟

قال العالم: مثل النار التي تحرق كل شيء.

قال السائل: فما مثل أبدان الكافرين ؟

قال العالم: مثل الأبدان المذبوحة.

قال السائل: فما مثل المرزوق والمحروم ؟

قال العالم: المرزوق مثل الملائكة، سبّحوا وهلّلوا، فخلق لهم من ذلك رزقاً، واقتنعوا بذلك، فكذلك كل من فعل أخذ رزقه على قدر عمله.

قال السائل: أخبرني عن الملائكة، ما مثلهم ؟

قال العالم: مثل رجلٍ عليه دَينٌ وفي دينه، وطلب التوفير على نفسه، فهم لا يأكلون ولا يشربون إلاّ الذكْر.

قال السائل: أخبرني، فما مثل أن الملائكة خلقٌ ، ولم يُكرَّروا ولم يُرَدّوا على جنس واحد ؟

---

(١) هم أشخاص الصلاة الذين ورد ذكرهم في ذيل الصفحة ٦٤.

قال العالم:إنهم قد أُمروا ونهيوا وأطاعوا وسلّموا. وأما من عصى وحسد، ليس من الملائكتة الطائعين، وإنما الملائكة من صفي من المعاصي وفرغوا مما عليهم ورُدّوا إلى منازلهم، وأُكرموا بمواضعهم، ثم أُخرجوا وعادوا للروحانية، مطيعون للبيوت اللحمية الدموية، يطهرون البيوت اللحمية التي يُذكر فيها اسم الله بكلّ لسان وبكلّ شريعة.[1]

قال السائل: أخبرني مامثل التكرار والترداد وعمارة السماء وعمارة الأرض ؟

قال العالم: عمارة الأرض (بـ)المحنة وعمارة السماء بالمنّة والرجوع إليها. كذلك أُخرِجَ آدم من الجنة، ورجع إليها بالمنة، ولكلّ سماءٍ فرقة من الملائكة، وكذلك الأرضِ لكلٍّ فرقة من المؤمنين المتحنين.

قال السائل: أخبرني عن الإيمان، كم درجة له، وعن الكفر كم درجة هو، وأين كان المؤمنون وإلى أين يرجعون وما المثل في ذلك ؟

قال العالم: مثل السبعة أيام، تدور طوال الدهر، ليلها للكافرين ونهارها للمؤمنين، ومثل إيمانهم، فهو كالشمس، ومثل كفرهم كالليل، وهي سبع درجٍ للمؤمن: ممتحنٌ ومختصٌ ومخلصٌ ونجيبٌ ونقيب ويتمٌ وبابٌ يخرج منه العلم،(و) حجابٌ ظاهرٌ منه العلم وحجابٌ ظاهرٌ، منه معرفة السبع درجٍ في الإيمان، حتى لا يكون معه شيء من الكفر. فهذه سبع درجات حتى يعود إلى الجنة، وكذلك في هذه التسمية للكافر، حتى لا يكون مع الكافرين شيئاً من الإيمان، ولا يكون مع الكافرين شيئاً من الكفر.

قال السائل: فما مثل ذلك ؟

قال العالم: مثل الثوب الأبيض، بياضه هو حسنه، فيتّسخ ويغسل حتى يرجع إلى بياضه كجنسه. فذلك مثل المؤمن اتسخ بالشك والريب، فلمّا كُرّر في الإنسانية زاد إيماناً، فرجع إلى كيانه. ومثل الكافر مثل الثوب الأسود، قتد اتسخ بالشك في الدعوة والإيمان، فلا زال يغسل حتى يرجع أسوداً، وكذلك يكون حتى يرجع إلى الكفر المحض الذي لا امتزاج فيه، فينقل إلى المسوخية، فيعذّب فيها وليس معه شيئا من الإيمان. وكذلك المؤمن، ينتقل إلى منزلة الملائكة، وليس معه شيئاً من الكفر والشكّ، فينعم

(١) هذا الجواب منسوخ في المخطوطة مرّة ثانية.

ss

بجوار ربـه.

قـال السـائل: أين أقسـام المؤمـن وأين أقسـام الكافـر ؟

قـال العالم: لكلّ مؤمن من الأرض سـبـعـة أبدانٍ ضـبابيـة متولّدة، وفي السـماء سـبع نهارات.

قـال السـائل: فما مثل ذلك ؟

قـال العالم: النجوم سـبعـة، الدوائر في أبدان المؤمن في السـموات سبعـة، الأيام الدائرات دلائـلٌ على أبدان المؤمـن في الدنيا، نهارهـا للمؤمـن وليلها للكافـر، سـبـعة دنيوية بكل نـوعٍ من المسـوخيـة.

قـال السـائل: كم للربّ في السـماوات من حُجُبٍ ؟

قـال العالم: سـبعـة حجبٍ للمعرفـة، في وسط كل سـماء حجاب .

قـال السـائـل: فكم لـه في الأرض من حجاب ؟

قـال العالم: سـبعة حجبٍ في وسـط كل عالمٍ حجاب.

قـال السـائـل: فما السـاعـات وما الأوقـات؟ (أ) هـي في السـمـاء كما هـي في الأرض ؟

قـال العالم: السـاعـة، هي في السماء كما هي في الأرض. وليسـت حجب السـموات مثل حجب الأرض، فـإنها تأتي بـالولادة، وحجب السـماوات بالإنشـاد والطهارات.(مخطوط: على الإنشاد وعلى الطهارات).

قال السـائـل: أخبرني كم حجاب في السماء وكم حجاب في الأرض وكم هـي (تلك الحُجُب) ؟

قـال العالم: عـدد أيام السـنـة ثلاثمئة وسـتـة وسـتين حجابـاً، إلاّ السـتـة والحجاب الذي تفرّد بـه الأعلى[1] الذي ظهر بالعلم والقدرة وأشّـهر بـه أمره، وهو علم الأيام الخوالي التي خلق فيها كلّ شـيء، وهي سـتـة حجبٍ، سوى الثلاثمئـة وسـتـة وسـتين حجاباً. منها النوراني ومنها الأرضـي. فمن كان نـوراني فهو في السـمـاء من حجب الإبن والروح، ومن كان في الأرض مثل ذلك، فهي (أي الحجب) في السـمـاء معلومـة وفي الأرض مـوجـودة. وكذلك حجب السـمـاء في الأرض موجودة وفي السـمـاء معلومـة.

---

(١) ربما يعني بهولاء السـتة والذي تفرّد به الأعلى، الأنبياء، عليهم السلام، الذين أوردنا أسماءهم في السباعية أنظر ص ١٥.

ss

قـال السـائل. أخبرني عن سـاعـات الليل والنهار واربعٍ وعشـرين سـاعـة، لمن هـي ؟

قـال العالم: الأربـعـة والعشـرين بيتاً يُكرّرون في كل آوان وزمان، يردون الحجّـة ويقيمون بالتذكرة،(و)لكلّ سـاعـة بيت، يقيمون حجج الآئـمّـة وينقلون الناس من الكفر إلى الإيمان.

قال السـائل:مـا سـاعـات النهار ؟

قـال العالم: المشهورون بالدعـوة القائمون بالحجّـة.

قـال السـائل: ما مثل ذلك ؟

قـال العالم: إنّ أبا المسيح العين الأعلى، جمعهم حـولـه في صـور مـختلفـة: إثنا عشـر تلميذاً، فـأتـمّـوا بها بيوتـاً لحميـة دمـوية. والليل إثنا عشـر حجابـاً لحمياً دمويـاً، بالعذاب مسـودّة، دائرة في العالم، كلّهم في أطراف الأرض والسـمـاء، وليسـتيقن الذين أوتـوا الكتاب، ويزداد الذيـن آمنوا إيمانـاً[٢] إلى قـوله مثل ذلك، فيضلّ من يشـاء.

قال السائل: أذهبتَ همي أيها العالم وأجليت حزني وقـوّيت أزري ووجب شكرك علي .

قال العالم: إنما علّمنا لنعلّم وأُتينـا الفهم وظهر الربّ فينـا لنعظـم ولا تـوفيق إلاّ بالله.

قـال السـائل: أخبرني عن أقسـام الأرض وأقسـام السماء ، وأقسام الجوهـر وأقسام الإنفراد وأقسـام الاجتماع، وأقسام النجوم وأقسام الغيوم، وأقسام العرش وأقسـام الكرسـي، وأقسـام البحار العريـضـة وأقسام النتائج وأقسـام ما يُكـذّب وأقسام ما لا يـكـذّب، وأقسـام مـا يصدّق وأقسـام مـا يُعرف وأقسـام ما لا يُـعـرف، وأقسـام الأسماء الجامعة والأسـمـاء المتفرّقـة، وأسـمـاء الكل وتفريق الكل من حيث الحيث وأين أذهب ، وأقسـام الحياة وأقسـام البلاد وأسـمـاءهم، ولما وضِعت الأسـماء ولما نُفيت ، وما الضدّ في العرض وما المشـاكـلة وما المجانسـةَ وما المائيـة ومـا الضدّ الكل ومـا الضدّ البعض، وأين مكان (الدنيا) وأين مكان الآخـرة، واين مكان الجنّـة وأين مكان النار، ومَـن دخل مكان الشـبهـة ومن أين جـاء اليقين ومن أين عُـرف الحقّ

(٢) سـورة المدّثر، الآية ٣١

SS

ومن اين عُرف الباطل، ومن أين السلامة؟

قال العالم : إذا أخبرتك عن ذلك الجوهر (فهو) على أربعة أقسام: جوهرٌ بصورة بلا هيئة وجوهر بصورة وبهيئة، فهذان جوهران بسيطان وجوهران متركّبان. فالجوهر البسيط الذي بصورة وهيئة، فهو الله، وهيئة القدم والجلال والعز، وصورته الصورة التي تفعل، الذي نبّه أرواح الملائكة. وصوِّرة عليها الملائكة والآدميين، وهم أرواح بلا أبدان،بصورة لا بهيئة، لأنّ القدمَ عليهم باق. والجوهر جوهران: صورة بهيئة ، وهو البدن، بدن كل شيء، وهو الصورة بهيئة. والذي بهيئة لا بصورة، مثل السماء والأرض والجبال والبحار والنجوم والأفلاك والغيب وما أشبه ذلك، فذلك الجوهر الذي بهيئة لا بصورة.وأما أقسام الأرض (فهي) أرواح (لها) خلف وقدّام ويمين وشمال. وكذلك يثبت الجوهران المتراكبان بأربعة أجزاء من أربعة طبائعٍ، فذلك حدّ الجوهر. وأمّا حدّ الأعراض الأربعة(فهي في) الحدّ الخاص و(في)الحياة (و) في كلّ شيءٍ حي . فهذان عرَضان منفردان كالألوان. والزيادة والنقصان في الجوهرين المتراكبين لا في الجوهرين البسيطين. فهذه(هي) الأقسام الأربعة، ذلك لأنها غير نامية ولا زائلة ولا صاعدة ولا (على) اليمين ولا(على)الشمال. والمثل في ذلك أن الذي ترى إذا رميت به يمنة أو يسرة اختفى (؟) والسماء مركّبة على الأرض. والقائم بما تحتها من التراكيب. تراها ولا ترى صورتها، وتقسم حرّها وبردها وارتفاعها وسهلها واتساعها، فتلك أقسامها وهيئة الأرض في رؤيتها، وهيئتة السماء في رؤيتها. وذلك أننا نرى السماء تشبه بعضها بعضاً في أقسامها(مخطوط: قسمتهتا) وما لا يشبه بعضه بعضاً فهو على صورة اليدين والرجلين والعينين وما أشبه ذلك. والصورة صورتان، والهيئة هيئتان، فصورة الجوهر البسيط يشبه بعضه بعضاً في الجنسن وكذلك جوهر الماء وجوهر الضوء وجوهر الجواهر البسيطة ذوات الهيئات، وصور لا نستطيع تقديرها(مخطوط: وصورة بلا أقدار) لا يقع عليها الناظر دون الهيئات.وذوات الصور من الجواهر المتراكبة لها أضدادٌ (و) لها أمثالٌ(و) لها أوزان(و)لها أشكال وتفترق (مخطوط: وتفرق) في الصورة. والصورة المتراكبة تفترق في الجوهر وتفترق في الجنس، وكذلك الأعراض تشبه الأعراض نفسها (و) تشبه غيرها وليس العرض كالجوهر

البسـيط، يقوم كالغيم والمطر والبحار والنجوم والرياح والشـمس والقمر(فـ) هيئتهـا التحرّك، و وجلات الحر والبرد والتربيع والتدويـر...فهذه الهيئـة الفاعلـة نُسبَت إلى العقل، مثل مـا نُسبت إلى الفعل (و) مثل ما نُـسبِت إلى الجوهر المتراكب.(و)الجوهر البسيط، يقال مثلاً(مخطوط: يقال له) طلعت الشمس وغرُبت وسـارت، وهذا ضوء الشـمس، ويقال للقمر مثل ذلك: طلع وغرب وسار. وكذلك يقال للنجوم، وكذلك يقال: جاء الغيم وجاء المطر وجاء الحرّ وذهب الحرّ وجاء الليل والنهار وذهبا... ويقال: جاء الإنسان وذهب الإنسان، ويقال: جاء الحيّ، ولا يقال جاءت الأرض وذهبت الأرض ولم(مخطوط: ولا) تذهب الأرض ولا السـماء، ويقال: جرى الماء وسـال ووقف الماء، ويقال هبّت الريح وسكنت وجاءت وذهبت. وهذه جواهرٌ ذات هيئات فاعلاتٍ. وكذلك الميت، لـه صورة، والأموات في كلٍّ صورة(مخطوط: في كلٍّ ذي صورةٍ)ن ولا يقال جاءت ولا ذهبت.فهذا هو الجوهر المتراكب(و) أمّا الجوهران البسيطـان ذوي الصور، فهما فاعلان، وفعل الأعراض يشـبـه (فعل)الجوهر البسيط(الأعراض) التي بـهيئـات، والجواهر التي لها هيئات (و) ليس لها صـورة تشـبه الجوهر البسيط. إنّ الجواهر البسيطـة الفعّالـة لها اختيار، والجواهر الفعّالة التي لها هيئـات وليس لها صورة مضطرّة بفعل الإختيار، (بـ)ذلك قسـمت الجوهـر والعرض. وقسـمة الجواهر ونقل مابين الجواهر خاص بكلّ شـيء. ولا يقال شيءٌ مع الله،(أو مع) جوهر الدنيا(أو) الآخرة. فحدّ الجوهـر القديم والحدث، أن يُقـال الله مع كلّ شـيء، ولا يقال كل شـيءٍ مع الله و(مع) جوهر الدنيا والآخـرة. فجوهر الدنيا العبوديـة والمسـوخيـة (و)جوهـر الآخرة الجزاء والعذاب الدائم في النار. وجوهر النار البسـيط، ليس لـه هيـئـة وليس له(مخطوط:ذو) صورة، وكذلك جوهر حر(ارة) الضوء نورٌ. وذوات الصور من الجوهـر المتراكب لها أمثالٌ ولها أضـداد ولها أشـكالٌ ولها أوزان ولها جوانب ولها مكافاة، والأعراض لا تلزم الجوهـر المحدث البسيط الصورة إلا(في) الهيئة. فالهيئـة طبعٌ والصورة حدث. والصورة تكون أو لا تكون، والطبع كائنٌ. والجوهر البسـيط المحدث على جهتين: جهـة صورة وجهـة ليست صورة، جهـة حياةٍ وجهـة بلا حياة. والجوهـر البسـيط ذو الهيئة والصورة (تـكون) من الحيوان والأرواح والملائكـة، والجوهر البسـيط الذي لـه ضدّ ولا صـــورة فـــيه وهيئته

هيئة الضياء (فهو) ضدّ الظلام، والليل ضدّ النهار، والشمس والقمر شكلان بهيئتين مضيئتين، جوهرهما بضيائهما لا بكيانهما. وفي جوهر النار جوهرٌ متراكبٌ بسيطٌ له ضدٌّ وهيئة وليس له صورة، وهذه النار ضد الأعراض. والمرّ والحلو والقعود والقيام والمرض والصحة والموت والحياة والطول والقصر والسواد والبياض، وجملة ذلك مما خالف غيره، فهذا ضدّ الأضداد فيما له هيئة الأضداد.(و) في كل شيءٍ من الجوهر المتراكب الأضداد، وفيها الإشكال وفيها (الـ)مخالف. والإنسان له شكل كلّ إنسان، والدابة لها شكل كلّ دابة، وهي خلاف كلّ إنسان. والبغل شكله شكل البغل، خلاف كل دابة. وكذلك الدواب تتفق في أجناسها وأشكالها، وتخاف في خواصها وأنواعها وصورها. فوجب لكل شيءٍ خاصة(فخاصة) الحياة البقاء، وخاصة الموت الفناء، وخاصة الخالق القِدم، وخاصة المخلوق الحدث، وخاصة النار الحريق، وخاصة الثلج البرد، وخاصة الهواء النقل المؤدّي، وخاصة الماء الجريان وخاصة النبات الزراعة وخاصة كل شيءٍ ما لا يشاركه فيه شيءٌ آخر إلاّ ما كان من جنسه، و(هذا) عامٌ على كلّ شيء. والجوهر خاصية كل شيء(و) من (كل) شيءٍ وجِد فيه دون غيره،وخاصيّة العقل الصواب، وخاصية الجهل التفاهة، وخاصية النظر الفطنة لإدراك الحدود والأدوات والهيئات والصور، وخاصية السمع التمييز للأصوات، وخاصية النطق العبادة والفهم، وخاصية الرئاسة للقديم وقدرته وروحه وكلامه، لأنّ اختصاصه بالرئاسة (هي) فوق كل أنواع الأجناس، وحبّ رئاسة العامة مخالفة لكلّ شيء. يقال: رئاسة القهر ورئاسة المخلوقين على أجناسها ورئاسة الجوهرين البسيطين الذين لهما صورة الجوهر البسيط ذو هيئة لا رئاسة له، والأضداد لا رئاسة لها، والحيوان لا رئاسة له، والإنسان له رئاسة على الحيوانات، لا(على) كلها. (و)الأسماء الموهوبة للرئاسة الإنسان، وذلك أن رئاسته كانت ذاتية، لأنّ صورته نفسه (هي) صورة القديم، فوجبت له رئاسة. بهذا المعنى يقال: الإنسان رئيس على جنسه وليس على الدواب. ولا يقال الدابة رئيسة الدواب، ولا يقال للنار رئيسة النيران، ولا يقال الماء رئيس المياه، ولا يقال الشمس رئيسة الشموس...وإنما ذلك في ثلاثة أنواعٍ، فالرئاسة موهوبة للإنسان، أن يقال مثلاً: الإنسان قويٌّ، الإنسان شديدٌ، الإنسان غني،

SS

الإنسان عالمٌ، الإنسان متحرّكٌ، الإنسان مميزٌ، الإنسان سامي...فهذه موهوبات من أسماء الله موهوبة للآدميين والملائكة، وليست موهوبة إلا لهذين الخلقين، والملوكية هي موهوبة، يقال ملكٌ ويقال مالك...أسماءٌ موهوبة.

قال السائل: يا أيها العالم، بقي علي شيءٌ أسأل عنه حين سمعت هذا.

قال العالم: كذا نتائج تُنتج ما لا تعلم.

قال السائل: فما اسم هذه النتيجة ؟

قال العالم: هذه نتيجة في الملائكة وأولاد آدم.

قال السائل: ولما وهبهم الله هذه الأسماء الكريمة والرئاسة العظيمة حتى يُسمّوا بها، فيُعطوا بعض ملكه ؟

قال العالم: إنّ الله ظهر في الملائكة حتى ظنّت أنه منها، فقالت الملائكة : تعالوا حتى نطلب من ربنا. فقال لهم: إني أنا هو. فوقفت فلم تقل نعم ولا لا، حتى أظهر قدرته وعلمه وسلطانه وكبرياءه. فمن بادر من الملائكة ولم يقف على القول الأول جعلهم الرؤساء على الملائكة، وهم هؤلاء الأربعة: جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، ثمّ أن الله أظهر آياته وعلمه للملائكة ، فعرفت أنه ربها، وأظهرت القدرة والعلم، فصار لها رئاسة بأمره ونهيه. فتلك الصورة معروفة عند الملائكة، يقال لها صورة الرئاسة، ويقال لها صورة القهر. ثم أن الله ظهر في الآدميين بصورة تشبههم، فظنوا أنه منهم ومعهم، فقالوا: تعالوا نطلب ربّنا، فطلبوه، فقال : أنا هو، فأجاب من الآدميين سبعة، فلذلك جعلهم رؤساء، وجعل الأولاد منهم. ثم أظهر آياته وعلمّها ولد آدم، فعرفوه. ثم أخذ عليهم الميثاق، فوافقهم فقال في الكتاب العربي المحمّدي: وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم وذرّيّاتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى[1]. شهدوا حين رأوا الآيات والعلوم التي وعدهم أنه يظهر لهم بها، ويحتجّ عليهم، وبها يشهد، وأن يقولوا يوم القيامة: إنا كنّا عن هذا غافلين، عن ظهور الرب القديم فيه بصورهم وحالهم وإظهار آياتٍ فيهم . وعلمه واحدٌ، (و) عليه الميثاق.يريد بذلك

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٣

أنـه يجيء إليهم بصورة الإنسـان ويطلب منهم الإيمان. قالوا: ما علامتك ؟ قال: إظهاري قدرتي وعلمي اللذين ظهرت بهما في يـومي هذا. فلمّا أسكنهم في الأبدان وجعل لهم القوالب وبعث إليهم الأنبياء، ذكّرهـم وأظهر لهم الآيات والعلم. فالعلماء قبلوا والجهّال تغيّروا وتحيّروا، والشـاكّون وقفوا والكفّـار كذّبـوا. فقالت العلماء: قد أتانـا آية من آيات ربّنـا. فجاءت الأنبياء وظهرت قدرتـه وعلمـه لنا. فكان العلماء ينتظرون ذلك بالولادة والمواليد والذكر والعلامـة. فكانوا ينبّؤن بذلك أنـه سيكون و(سـ)يظهر الربّ فيتجلّى فيهـ(م). فجلّى روحـه في هيئـة المولود من البكر البتول التي أحصنت فرجها، فنفخنا فيه من روحنا فصدّقت بكلمات ربها[1] وكتبه وكانت من القانـتـين بمعرفـة الله، فاحتجبت روحـه بالمريمية، ولم يعلم العلماء أنـه الروح حتى أظهر القدرة والعلوم الإلهيـة، وأنّ الروح كلّمـهم في المهد، فعرّف القدرة وجلا الظلمة وذهبت الشبهـة، ظهر للمنتظرين لـه، وأظهر القيامـة(فـ) تعرّف مَـن عرفـ ، لذلك جعل الرئاسة لآدم في الأبدان.(فـ)لمّا أظهر لهم روحـه بالولادة، وهـم أرواحٌ، لظهور الله فيهم، فشبههم على الصورة، وجعل الناشـئة في الأبدان لمّا أظهر لهم روحـه بالولادة، فصارت فيهم الرئاسـة، فوهب الله الأسماء لهم، وللملائكـة المعنى الذي وُصِـفَت فيه.

قال السـائـل: عد إلى تفسـير ما سـألتك عنـه .

قـال العالم: قـد فرغنا من الأعراض والجواهـر والأنـواع وأعراض الجوهـر وفصول الجوهر وخاصية الجواهر وخاصيـة العرض وعاميتـه وعلمـه من حيث يـتـفق ويختلف، وما يـتـفق منها وما لا يـتـفق وما يتضـاد(مخطوط: يضـادهـا) والضدّ والخلاف والتشكيل والمقـام والمتنـافي وباقي الأسماء وجوهرها وجمعها وتقريبها.

قـال السـائـل: يرحمكم الله، أنت أحفظ لمسـألتي مني، وأعرّف بموضـع بغيتي وإني ارجو من ربّي أن يرزقني من ذلك ما أسـتفيد منه بمعرفتـه فيما تذكر.

قـال العالم: إنما جوهر الكلام الإرادة، والتقطيـع في الإرادة يكون في النفـس، والانقطـاع (مخطوط:التقطيع) عن اللهوات ، واللسـان معبّـر(عن)

(١) المعني هنا مريم العذراء، ستورة التحريم، الآية ١٢

التقيـة، ينفي حرّيـة النفس، وهو جوهر ذلك، وخاصتها كلها[1] ،قطعتـه اللهوات وجرى على اللسان وألقته النفس.

قـال السـائـل: فما جوهره ؟

قـال العالم: عبارة الإرادة، وهو جـوهر لا كلام.

قـال السـائـل: فما جوهره ؟

قال العالم: الإرادة وانفرادهـا، والرويـة فيها، وإهمال ما روي (؟).

قـال السـائل: فما جوهر الأسـماء ؟

قـال العالم: ما لا يسـتغني الشيء عنه، كقولك: أبيض وأحمر وأسود، فذلك جوهرهـا. وجوهر السـماء الإضافـة فيه، وهي الأصليـة ، والأسـماء المعلّقـة مثّل قولك: للأبيض بياض وللأصفر صفرة وللأحمر حمرة وللأسـود سـواد.

قـال السـائـل: فما الأسماء المعلّقـة وكل ما دخل فيها؟ مثل أبيض وهو أسود الجوهر، هو ذاتـه لا مضـاف إليه ولا مُعلّق عليه ؟(و) قال السـائـل: هذا ما أفادني ربّي مما لم يكن مقداره عندي، فاستخرجـه ايها العالم وبينّـه ايها الصادق.

قـال العالم: قولك : الثوب الأبيض ابيضٌ والإنسـان إنسـانٌ والسـماء سـماءٌ، وكذلك الأحمر والأسـود، وكذلك كل شـيء يـوصف. يقول لك القائـل: ماسم الإنسـان في الإنسـانيـة ؟ يقول: هذا الإنسـان، ويقول ما اسم الثوب في البياض ؟ تقول ثوبٌ أبيض. فـإذا قـال لك : ماسم البياض ؟ وكذلك في الأسـماء وكذلك في كل نوع من هذه (الأشـياء) خاصيّتهـا .فكل شـيء هو هو. وقد يقال،له أسمٌ وهو معنى. وقد يقال معنى، وهو المعنى، فهو خـاصيـة الشـيء. والسـماء المعلّقـة كقولك : محمّد وعبدالله وما أشـبـه ذلك من الأسماء المعلّقـة مما يصلح أن تبدّلهـا وتجعل مكانها غيرهـا.(وأمّا) أسـماء الإضافـة، كأن تقول : عاقبةٌ ورحمـةٌ وهبةٌ وتـوبـةٌ ، وكأسئلـة، كقول القائـل: ثوابٌ وعقابٌ؟ ورحمـة وعفو ؟ وقولٌ وسكوتٌ...هذه الأسماء الأفاعيل يسـمى بها الفاعل أسماء، لأنها ليْست بفاعلة وهي المفعولـة. والاسـتفعالات (هـي) الأسـماء المجتمـعة في أسـماء البدء (و)هـي إضافية لأسماء الدلالـة (و) أسماء الفعل

(١) لست أدري مايريد الكاتب، هل يعني هنا النفس أو الإرادة ؟

والقول والسكوت. فأمّا اسماء الاجتماع، أن يُقال: الإنسان من أربع طبائع، وبدنه من طبيعةٍ واحدة. فلذلك كل بدن يسمّى بهذه الطبائع الأربعة، فهي الأربع الجامعة الموجبة. ثم قال العالم للسائل: لا يكون عارفاً بهذا حتى يعرف الجوهر البسيط المختار للعرَض، والجوهر البسيط المتراكب بالعرض سميَ العرض اللازم الخاص والعرض المفارق ، فهيئته هيئة العرض المكتسب الإضافة، (و) الجوهر البسيط الذي لايقبل العرض هو الله. والجوهر البسيطَ الذي يقبل العرض هو الإنسان والملائكة. والعرَض الخاص هو النوع، وخاصة الشيء العرض للهيئة واللون والطول والقصر. ثمّ قال العالم: إذا عرفت خمسة أشياء، فقد عرفت أصول الجوهر والعرض والمعترض.

قال السائل: فما الجوهر المتراكب ؟

قال العالم: القائل العرض هو الجوهر المتراكب.

قال السائل: فما صفة الجوهر المتراكب ؟

قال العالم: القابل للأعراض، والجوهر البسيط هو الذي لا يقبل العرض.

قال السائل للعالم: فما الجسم ؟

قال العالم. ذو الصورة والهيئة.

قال السائل: كل جسم بصورة وهيئة؟ بماذا يعرف ؟

قال العالم: باجتماع الأشياء المفترضة المختلفة في خاص كل خاص، وعرَض المعترض وهيئته (هو) كل هيئة معترضة. ولن تعرف ذلك حتى تعرف ما فيك وما لك وما عليك وما ليس فيك ولا عليك، وتفرّق مما هو لك ومما يضاف إليك بالنسبة لغير ذلك. قال العالم: أمّا ما لكَ وما عليك وفيك فأنسانيتُك هي منك في بدنك، وهي لكَ إنسانية، وهي عليك قديرة رئاسة. وأما ما عليك ولك وليس فيك كالأبوّة، يقال: لك وليس عليك(أبوة).فخاصيّتك ومنطقك وصحتك وصمتك منك وهو لك وليس لغيرك. وأما ما هو مضاف (فـ)يغيّرك وليس فيك ولا عليك، ولا فرق بينك وبين غيرك، ولا يفرّق بينك وبين غيرك مثل قولك: فعلت وتحرّكت وصليت وصمت. وأما مثل نفسك فهو الجوهر البسيط وما(غير) ذلك (فإنه) يذهب الجوهر المتراكب. وأما خاصيتك، فمثل العرض اللازم، وأما فعلك فهو كالعرض المفارق كما يثبت لك. و(ما) له عقيبٌ مثل قولك: هذا إنسانٌ

ss

وهو حيٌّ،و(هذا) إنسان وهو ميتٌ. وكذلك في كل شيءٍ حالة جوهرٍ لا يذهب الاختلاف بخاصيته.والعرض يذهب بلا اختلافٍ فيه. فحدّ الجوهر كله لا يذهب باختلاف ولا يذهب الاختلاف به.فهو جوهرٌ عرَض. وبالاختلاف يذهب الاختلاف.

قال السائل: زدني جملة أعرف الربّ وقدرته وكلامه وإرادته.

قال العالم: إنّ كل قضاءالله حقٌّ، وليس الباطل من قضاياه، وإن كان الحق قضاءه بإرادته (فإرادة) الباطل غير إرادته، وقضاؤه لكراهية بكراهيته. وهو لا يقدر إلاّ أن يكره، أو يريد أن يكره. فإن قدر أن يكره، فقد اختار الكراهية، والاختيار للمعصية، وإن كان لا يكره، فموضع يكره (هو) إرادة المعصية، وإن كان أرادها من غيره.

قال السائل: كيف ذلك ؟

قال العالم: بينتُ لك ذلك بياناً شافياً إن شاء الله، خالق كلّ شيء، وهو الأعلم بالشيء، ولا يأبى ما يكون ولا يأبى في ملكه ما يعلمه.

قال السائل للعالم: إني قد ذكرت مسائل ثلاث' ظاهرة بيّنةٌ، أرأيت المسيح وكل شخصٍ خفي ظهر بعلمٍ وقدرة كصورة، ودعا إلى الوحدانية، وكان مختاراً ومضطراً حين قُتلَ، فإن قلت ايها العالم كان مضطراً، فقد قلت أنه مقتولٌ ومخلوق. وإن قلت أنه كان مختاراً، فقاتله معذور.

قال العالم: كان الحق الحقيق مضطراً، لا لموضع أنه مخلوق، ولكنه أوجب على نفسه الاضطرار.

قال السائل: فله إذاً ثواب الاضطرار، وإن لم يكن مضطراً ،لم يثبت عليه(مخطوط:به) .

قال العالم: أوضحت لك (مخطوط: أريتك) إذا قلت: أنه كان لا مضطراً ولا مختاراً له، أضرّ به؟

قال السائل: هذا ما لا يُعقَل !

قال العالم: لا يعقلها من يجهلها، ويعقلها من لا يجهلها، وأحسن ما للجاهل حجة على العالم.

قال السائل: فما هذه الحجة التي (تؤدي) إلى الاختيار والاضطرار ؟

SS

قال العالم: امتحانٌ وتشبيه ومكرٌ يؤدّي أنه يمكّن من نفسه (و) ينظر فيطيعون أم يعصون.

قال السائل: والمسيح الحقّ الحقيق، ذو العلم والقدرة، لم يكن يعلم، أيطيعون أم يعصون حتى يمتحنهم؟

قال العالم: إنّ المسيح الحقّ الحقيق القدير العليم، لو فعل ذلك لنفسه(لـ) كان غنياً عن ذلك. وهو الغني عن الثواب والعقاب لنفسه، لأنه لا يحتاج إليهما. ولو عذّبهم على ذلك من قبل أن يختاروه ويفعلوا ما فعلوه، كان ظالماً، لأنهم لم يفعلوا شيئاً. وإنما أخذهم الله حين فعلوا. وإنما كان اختيارهم بامتحان، ليعلموا أنهم فعلوا ما يوجب الحجّة عليهم. وإنما المختار في الخلق للمخلوق، وليس المختار في الخالق.

قال السائل: فمن ؟

قال العالم :إن اليهود فعلوا ما اراد المسيح عند تشبّهه لمن قتله وصلبه.

قال السائل: فإن كان اليهود قد فعلوا ما أراد المسيح من قتله، فقد أطاعوه في الظاهر، وإن كانو فعلوا خلاف ما أراد. فيكون ما شُبّه من قتله في الظاهر حجّة على اليهود، ولم يكن يريد تشبيه قتله قرباناً إلى الله، فقد خالفت إرادتهم إرادة المسيح، ولم تتفق الإرادتان. وكذلك يسأل صاحب هذه المسألة، فيقال له: لم يُرد الشياطين والأبالسة والكفّار موت الأنبياء، فقد وافقت إرادتهم إرادة الله، فهم مطيعون. فإن كانوا غير مطيعين ؟

قال السائل: فما الجواب على ذلك ؟

قال العالم: لايجدون بداً من أن يقولوا في المسيح مثلما قلت.

قال السائل: ما قلتُ في المسيح؟

قال العالم: أقول أنّ الله أراد موت الأنبياء ليكمل لهم الثواب، وليشكّك فيهم غيرهم الذين يصدّقون بهم. وأراد الأبالسة والشياطين أن يدرس الحق ويستريحوا منهم. فاختلفت الآونة.

قال السائل: فهذا يخص العلماء في مجالس الجبابرة، فما الحجّة لمجالس العامة ؟

قال العالم: من أين يكون من أراد ومن أراد، والمسيح قد اطاع وعصى، قيل له :إن الطاعة والمعصية والأمر والنهي، له قد أبى ما أراد الله وما

SS

كره، ومن لم يكن مطيعاً ولا عاصياً كالأطفال والمجانين مطيعين وعاصين. والطاعة لا توجب الإرادة، وإنما توجب الأمر والنهي. والمسيح لم يأمرهم بقتله، إنما نهاهم عن ذلك. فلمّا تحقّق من ذلك وعزموا عليه وطلبوه بأنفسهم واجتمعوا على ذلك حجب أبصارهم عنه وشبّه لهم ذلك الفعل، وتلبّس عليهم بالعلم والقدرة والبيان والمشيئة، ونزّه المسيح روحه وكلمته من كل دنية، وعاد إلى الألوهية (مخطوط:الإلهية) النورانية والجلال والجبروت، ذلك أنهم أطاعوا وعصوا، وقد نهاهم الله عن قتله وصلبه، الذي ظنّوا أنهم قد وصلوا إليه لمّا أراد الافتراق.

قال السائل:أوصني أيها العالم وصية العالم للسائل:

قال العالم: أول ما أوصيك به وأُفهمك وأُعرّفك إياه معرفة الله التي لا عوض عنها ولا يُراد غيرها، ولا يُطلَب إلاّ هي، قديمة أزليّة واحدة صمدية نورانية حيّة نا طقة كاملة، ليست بجاهلة مريدة غير أبية لله، ذات جهة واحدةٍ من حيث ما انتهت. فهي إذا ظهرت بالعلم والقدرة لا يذهب بك الشك شاكٌ ولا ذات، ملاق متضرّع، ولا هفوة، متعبّدٌ ولا ترغّب في دين يدعو لغير السبيل وغير الطريق الذي يزيلك عن سبيل الفهم. و اكثرهما أن أقل منه كان خيراً له مما يُهمّ ويكبر ويقتحم العلم ولم يعرف سبيل الرشد وما أكثر مما لو قلّ منه كان خيراً مما كثر، يروى من الحق، يتخبّط في العلوم ولا يعرف الصحيح من الفاسد. لم يستأصل له فيها موضع الفطنة وقد أغرقٌ في الصوم والصلاة، فلا يغرنّك صومه وصلاته وصيامه حتى تعرف ما عزيمته وعقله، ولا يعرف الله حقّ المعرفة، ولا يأتي الله من أبوابه، فبدنه مشغولٌ وقلبه فارغٌ، مشوّل يظن في ذلك نجاته، وبه يكون هلاكه، جهل ما ترك في قلبه، لايدفع شك في يقين، ولا يتفكّر في حقٍّ بعد حين، همّه في يده حقٌّ كان أم باطل، يتخبّط في النزوات،رافع الخطوات.فإنّ بيان الحق يزهّد في الحكمة ويرغّب في الجهل، إن سمع الحكمة وهَن، وإن سمع حقاً لا ولا يعلم له بيتا، قد شغلته الرئاسة وغرق في رئاسته، أن يسأل عن ما لا يعلم. يقال أنه يعلم ، أكثر كلامه بالظنّ. إن دُفِع إليه كتابٌ يقرؤه، لايحسبنّ ما فيه باطلاً، أو جمع حقًا فرّق البيان عند الشبهة، قد ملأ يديه من البيوت والمساجد التي تذكر اسم الله، ليست له همّة إلاّ ا دّخار عمى القلب ويترك فهم العقول، قد صارت له

ss

رئاسة سبعة من جهلة، يقتل به الأولياء، ويكذّب بهم الأنبياء، فإن قال اتبعوه وإن سكت اجابوه... فاحذر بكتمان علمك إلاّ عن اهل البصائر والخوف والحياء، واترك شدّة المرّ، المثل (في) ذلك: يقرأ عليك كتب الأنبياء، ، لا يعلم تأويلها، فيأخذبها بشهوته ويفسّرها لك على محبّته. .أحذّرك ذلك تحذير من اشفق عليك إشفاق الوالد. فإنّ العلم على الولد لا يقبله إلا قلوبٌ رضتية وعقول كاملة وصدور واسعة. إنّ موسى قد كلّمه الله فظنّ في نفسه أنه قد احتوى العلم، ولم يعي شيئاً من الفهم، فأعجبته نفسه فأراد الله ان يخبره أنّ ما عَلِمَ لا يطيقه وما فَهم لا يُدركه. فأرسل إليه عالماً بعدأن أكدّ عليه أمره وأخبره[1]. فطلب موسى أن يتعلّم منه، فنظر إليه موسى وإلى ثلاثٍ من آياته، فأنكر عليه ذلك، حكمٌ يحكم الله (به). قال موسى: أريد ان أصحبك على أن تعلّمني مما عُلّمتَ رُشدا قال: إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا. فركبا في السفينة، فخرقها العالم، فوثب عليه موسى وقال أردت أن تغرقنا؟ قال: أردت ان أنجيكم، إن هاهنا ملك يغصب كلّ السفن، فأردت أن يراها مكسورة فيتركها. قال ألم (أقل) لك أنك لن تستطيع معي صبرا. قال: لا تؤاخذني مما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا. فلقي العالم غلاماً فقتله، قال: (أ)قتلت نفساً زكيةً بغير نفسٍ، لقد جئت شيئاً نكرا. قال العالم: ألم أقل أنك لن تستطيع معي صبرا. قال موسى: إن سألتك عن شيءٍ بعدها لا تصاحبني فقد بلغت من لدنّي عُذرا. فأتيا أهل قرية فاستطعما أهلها، فقال هذا عالِمٌ يتصدّق، وهو يقدر أن يجعل(مخطوط: يكون) الجبال ذهباً، ولا يقبلونه ولا يطيعونه (بـ)شيءٍ. فوجد فيها جداراً (يريد) أن ينقضّ، فأقامه العالم. قال موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرا بدل الصدقة. قال العالم ألم أقل لك (إنك) لن تستطتيع معي صبرا على مالم تحط به خبرا، ففارقه وأخبره بعلم الثلاثة، فلما ناجاه الله، قال يا موسى من العالم الذي كان معك ؟ قال هو الخضر. قال: وما حاجته إلى الصدقة ن وقد يقدر أن لا يأكل ولا يشرب، وهو روحاني يعيش للتهليل وللتسبيح ؟ قال إلهي، لا علم لي. قال: يا موسى أنا هو، لا يعظم عليك ما رأيت ولا يشتدّ عليك، فهو ملكي أصنع ما

(١) المعروف من النص القرآني أنّ سيدناموسى هو الذي ذهب للبحث عن العالم وليس العكس، راجع سورة الكهف.

أشاء.

قال بعض الحكماء: وكذلك قال المسيح إذا جئتكم جائعاً فأشبعوني، وإذا جئتكم عرياناً فاكسوني[1]

أي إذا تصوّرت لكم بهذه الصورة فلا تنكروا إني ربّكم. فإني تصوّرت كيف شئت، في صورة جائعٍ وفي صورة الأغنياء وفي صورة الأولاد وصورة الأغرّ وصورة الرجل وصورة النساء وفي صورة الصبيان. وكذلك أتيت إبراهيم فظنّ اني جائعٌ، وأنا خلقت الجوع، واتيت لوطاً فظنّ إني عاجزٌ وأنا خلقت العجز، وأوهمت (مخطوط: وظننت) موسى أني أتصدّق . أنا خلقت الصدقة. فلا يذهبك أيها السائل إذا رأيت لا تعتبنّ في نفسك على ربّك، ولا تقل: لا ينبغي أن يكون كذا، فهذا من لطائف الصنع وعجائب الربّ. وأنهيك أيها السائل من غلبة الهوى وتكذيب الأنبياء من حيث ما أتوك، فلا تنظرنّ إلى اختلاف كل شرائعهم وإلى قول قائلٍ (مخطوط: قائلهم).أنظر إلى الآيات والآلات والقدرة التي لا تكون إلا للربّ أين ما وجدتها، فصدّق صاحبها، ولا يكون بنظرك(مخطوط: عندك) أكبر من القدرة، فإن الكلام له تصريف، والقدرة لا تصريف لها. والكلام يقدّم ويؤخر ويمثّل، والقدرة لا تؤخر ولا تقدّم ولا تكثّل. يقول الربّ لنفسه: أنا عبدٌ، ويتجاهل ويظهر الموت، وذلك حق في الروية عندكم، ويستقيم ان يقول أنا عبدكم، ويستقيم ان يقول: أنا أظهرت نفسي عبداً، كذلك تصريف الكلام، والقدرة لا تصريف لها. وقد يقول الربّ لشيء: كيف أخبرتني عن ذا(ك) وهو كذا، ولعلّه كذا، يصرّف ذلك، يريد أن يقول للرسل: علمّته كما ينبغي (و) ليس ذلك جهلٌ بالسائل، فلذلك يقول الربّ للملائكة: أين ذهبتم؟ ومن اين جئتم ؟ وعند من كنتم؟ وكيف قيل لكم؟ وكيف لعنوني؟ وكيف كفروا بي ؟. فلذلك يقول لرسله: هو أعلم بذلك منهم. فلو ظهر كذلك عند الجهلة لقالوا أنه جاهلٌ. وكذلك قول داود لمّا رأى الحجاب في هيئة النائم، وقد رأى القضاة يقضون ويتجبّرون ويغيرون الحق. فقال يارب انتبه، وهو يعلم انه ليس بنائم. وكذلك بدا الحجاب على ما يرى الإنسان عليه.

---

(١) هذا الكلام ليس لبعض الحكماء ولكنه ورد في الأناجيل، وفي إنجيل متى،٢٥/٢٦ نقرا ما يلي: :لأني جعت فلم تطعموني.عطشت فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تأووني. عرياناً فلم تكسوني...

SS

واحذر أن تكفر بالله من حيث لا تعلم، وتكذّب قدرتـه من حيث ما أتاك. فأجبها واقعد إليها(كي) لا تكون عليك حجة في بعضها وتكذيبها والشكّ فيها والوقوف دونها.واعلم ايها السـائل أن الزمان كله للرب كما ظهر في أول الخلق. كذلك يظهر في آخره وكذلك في أوسطـه. ولا تكذّبـن بظهوره، ولا تكذّبنّ الأوقات ولا تحيّزهـا، فكما عدل بين أول خلقـه يعدل بين آخرهـم وفي وسـطهم. وكما عدل بين الملائـكة، يعدل بين الآدميين. واتقي المسـوخيـة فإن اصلها التكذيب، ولا تـظلمنّ أحـداً، فإن الآنبياء يدل بعضها على بعض، إلاّ صورة المسوخيـة فإنها لا تـدلّ على المؤمن، وتدلّ على الكافر. وأدّ الأمانـة إلى من ائتمنك، ولا تعبد الله خوفاً، فتشـرك من حيث لا تـعلم، لأنك تخاف غيره.ولا تظنّ (أن) له طمع ، فإنّ الطمع غيره.ولكن اعمل عملاً له حبّ وشـوق.ووصيتي إياك أن تميل إلى أهل الجدال، ، فإنّ لسانهم حلوٌ في طبعـه، يزهدك في معرفة الله، ويدلّك على الشرك، ويدلك على معقولـه ويخرج لك من(مخطوط:يخرجك عن) سـنن الأنبياء وشرائع الوصياء. فإن رأيت رجلاً يدلّك على فهم العقول وبيان القلوب وسنن الأنبياء وآثار الأوصياء ومحل الأتقياء ومما يوافقهم(مخطوط: يوافق شيئاً) فذلك أبٌ شـفوقٌ وأخٌ رفيق وعالمٌ مصيب، ووصيتي أن يكون أكثر إيمانـك دائمٌ في قلبك، إن قمت أو قعدت أو نمت أو سهرت أو غبت أو حضرت. والشرائع والأعمال بالجوارح تتبع الإيمان، وليست هي الإيمان الخالص. وذلك أن الشرائع تختلف وتكون إيماناً وكفراً. والتصديق لا خلاف فيه، فالشرائـع إيمان الأبدان، والتصديق للقلوب. ووصيتي إياك ،أن لا تمشي باليهوديـة، فليس لك فيها خالصٌ، ولا لله فيها نجيب. ووصيتي إياك أن تردّ على أهل الدهر[1]، وعلى أهل السويـة، فإن ذلك افضل من الصدقـة وأفضل من العمل وأفضل من الجهاد (مخطوط:الاجتهاد)، فإن الجهاد عن الناس والصدقـة للناس وهذا جهاد للربّ وتكذيب لأهل الباطـل وجب في ذات الله. ومن زعم أن الله لا يظهر في حجبه ولا يتصوّر فيهم. وسأرشدك إلى ثلاث مسـائل: أما اهل الدهر فيسـألون، فيقال لهم هل كان شيئاً لم يكن أو لم يزل قديماً؟ فإن قالوا: كان شيئاً لم يكن فقد غُلبوا، وإن قالوا: لم يزل قديماًن فقد غُلبوا (بـ)السبق. والدلائل تدل على

(١) أهل الدهر هم اتباع مذهب الدهرية الذي انقرض، وهم يؤمنون ببقاء الدهر إلى الأبد، ولا يؤمنون بيوم القيامة.

أنـه كان بعد إذ لم يكن، وكذلك الأول قبل الآخِر. ومسـألـة عن أهل السويـة[1] يقال لهم أيهما ضدّان وشكلان ، فإن كانا ضدين، فهما متباينان، فكيف يتفقان ؟

وإن قالوا ثالثٌ ، وهو العدل بينهما، كانَ الثالث أكبر وأعلى منهما.مسألةٌ أُخرى على الدين، يزعمون أن الله لا يظهر في خلقـه. يقال لهم: ظهر الله في بعض خلقـه، فإن قالوا لا، ولا في(جميع)خلقـه، وإن كان ظهر في بعض خلقه فما يؤمّن أن يظهر في كل خلقه ليعرفوه في أيّة هيئةٍ شـاء. ثم قال العالم: أوُصيك أيها السائل وأبين لك سبعاً تثبت وسبعاً شقاءً وسبعاً تُسلك وسبعاً توقف. (فـ)تعلّم ذلك. كلّ كلام يرد عليك تميزه بـه. ومثل ذلك مثل الهيولي الذي زعمت الفلاسفة أنـه به (ال)نتيجة الكبرى يخرج منها حقّ أو باطـل أو شـكّ أو حرف.

قال السائـل: كل شـيءٍ لـه نبأ وهذا نبأ كل شـيء.

قال العالم: أما الحروف التي تثبت فهي :في الباديء وفوق وتحت والذات والحي والميت فهذا عدد حروف الإثبات، وأما حروف النفي (فهي) الشـيء ليس في الشيء ولا خارج من الشيء ولا داخل في شيء ولا مباين ولا ممازج ولا بحيث ولا بكيف. فهذه الحروف ضدّ الأولى، والأولى ضد الثانيـة. والسبع السالكة(هـي) لعلّ وظنّ وتوهّم وتشبّـه وينبغي وكأنّ وما أرى، فهذه حروف الشكّ.

قال السائل: فحروف الوقف ؟

قال العالم: (هي)مثل أظنه كذا سبق إلى قلبي، وكذا اكثر ظني، وكذا وهو في سمعي، وأين له مثيل قال العالم: فلا يغرنّـك خطبـة قائمة وكلام مؤلـف خطبته خلقت فيك الشك واليقين والإثبات حتى جعلـ(ـه) كلاماً منسّقاً معرباً متّفقاً، يُجـهلُ الشاكون ويميل إلى الجاهل ويحيّر فيه الضعيف ويميّزه العالم ويحذر منه الفقير الفرق؟

---

(١) ربما يعني بأهل السوية مذهب الثنويتة أصحاب مبدأ الإثنين الذي يعتبر المذهب العلوي النصيري من أكبر ورثته وهم ينكرون هذا الأمر. ولكن قضية التحول والتأثير من الديانة المجوسية ومذاهب الفلاسـفة وصلت إلى حد معقّد بحيث اتبع كل رجل مؤسس مذهب طريقة لأتباعه، تختلف بالشكل وتتفق بالجوهر. ويصعب إيراد هذا الموضوع في هذا الكتاب لوسعه وتعقيده...

قال العالم للسائل: قد ثبت عليك الحفظ ووجب عليك الشكر والمن، وثبت لك الهدى. خذهـا من صـادقٍ فهمٍ عاقل عرف الدهور والأزمنة.

قال السائل: مثل العالم، يُحتجّ به على أرواحهم، وتتجلى فيها أبدانهم ،وأكملَ الصورة النبيهة فأقبلها، أسأله عن جميع ما يكون (كنت) أجهله.

قـال صاحب الكتاب: ترجمته باليونانيـة، باليوناني صحّ. أن الله أمر إدريس أن يسمع من شيث بن آدم، فكان إدريس السائل وشيث المجيب، والسلام.

تمّ الكتاب بحمد الله وحده، كتاب الأسوس، وصلواته على خير خلقه محمد، ومن آل الله وصحبه الطاهرين وسلّم سلاماً إلى يوم القيامة والدين. وهو بخط عبدٍ أحوجهم إلى عفو مولاه العلي الكبير عند المؤمنين، وخادم الموحدين، المقرّ بالرجعة البيضاء والكرّة والدهر يوم كشف الغطاء، وظهور المعنى من عين الشمس القابض على كل نفس، عبده الفقير، يوسف بن الشيخ غريب بن الشيخ جابر بن الشيخ عبدالله الدالة، بن الشيخ محمد بن الشيخ غريب بن الشيخ يوسف بن الشيخ علي حرمون ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ يوسف المنسوب إلى الشيخ حريصون بن جمعة...إلى الشيخ حسان بن عبدالله الناسخ البغدادي، رحمهم الله أجمعين آمين.بتاريخ ألـف ومئتين وست سنوات بعد الهجرة المحمدية، على شارعها (مخطوط: سارعها) أفضل الصلاة والسلام. وكان قاطن يومئذٍ في قرية رأس بعله، جامع الفلسفـة، من نواحي صافيتا، من لواء طرابلس، وهـي بـرسم الأخ العزيز والندب الحريز والذهب الإبريز، ومن هو عندنا غالياً وعزيزاً، الشيخ علي بن الشيخ حسن بن الشيخ عمران بن الشيخ ناصر الدين بن الشيخ يونس بن الشيخ محمد الحر لله، قدّس الله أرواحهم... آمين يا إله العالمين، ويجعله الباري بـركة بحق محمد وآله... ولا حول ولا قوة إلاّ بالله الـعلي العظيم.

إنتهى كتاب الأسوس

SS

المراجع

١ النصوص والمخطوطات التي تشكّل جزءاً من الفكر الديني العلوي النصيري

والتي اعتمدنا عليها بعرض الجانب الديني في المذهب

منذ الرسالة التي أرسلها جوزيف غاتافاكو لمحرّر المجلة الأسيوية ،سنة ١٨٤٨، والتي كتب فيها عناوين أربعين كتاباً ، فإن الباحثين لم يتوقّفوا عن البحث عنها. ولا ندري ماذا حلّ بتلك المجموعة بكاملها. إلاّ اننا وجدنا لها آثاراً أو وجدنا بعضها بكامله بعد جهدٍ جهيد. وقد تناول هذه المجموعة من الكتاب كلٌّ من رينيه دوسو في كتابه السالف الذكر، كما تناولها من بعده لويس ماسنيون ،في فرنسا، الذي خالط بعض الأحيان بعناوين بعض الكتب واسماء الكتاب، واعتمد عليه رودولف شتروتمان في المانيا فوقع في ذات الأخطاء التي وقع بها لويس ماسينيون.ثم تناولها الأستاذ عبد الرجمن بدوي في كتابه، مذاهب الإسلاميين، فوقع أيضاً في ذات الأخطاء.ولا يمكن أن ننسى ان بعض هذه المخطوطات قد تمّ نشرها خلال القرن العشرين. وسنشير إليها من خلال هذا العرض ، مستندين على الائحة التي أرسلها غاتفاغو، ثم نضيف إليها قائمة الكتب التي اطلعنا عليها.

١- كتاب الهفت والأظلة، ويسمى ايضاً كتاب الهفت الكبير للمفضّل بن عمر الجعفي، وقد وجد له ماسنيون عنوان ثالث هو كتاب الأشباح والأظلة، وقد قدّم له عارف تامر والأب اليسوعي عبدو خليفة، وطُبع في بيروت سنة ١٩٦٠ ، المطبعة الكاثوليكية .

٢- كتاب المراتب والدُرَج، ويُنسب إلى المفضّل بن عمر الجعفي، ولم نجد منه سوى الفقرة التالية من الورقة ٥٤ في المخطوط ١٤٥٠ ، المكتبة الوطنية بباريس: "إذا سألك أخوك (وردت أخيك) في حاجة، بادر بقضائها قبل استغنائه عنها. فإن ذلك نجاتك من الشياطين. فحرّكت الحواس ونبّهت الجوارح إلى حسب معانيك وبادرت إلى ما يرضيك. فكانت جملة سؤالك وصميم مقالك عن دور الإسم والباب والأيتام والعالم العلوي والعالم السفلي وكيف ترتيبهم في ملكوت الله عزّ وجل. وإني أبيّن لك مراتبهم ومنازلهم ومن أين تُستمدّ أنوارهم، وكيف ابتداؤهم وانتهاؤهم." وقد

وجدنا فقرات أخرى من هذا الكتاب في مرجع آخر بعنوان: أخبارعن موالينا آل البيت ، في الصفحتين ١٢ و ١٣(أنظر ٥٩ رقم)

٣- كتاب الطاعة من كلام سيّد الساعة ؟

٤- كتاب حجّة العارف، لحمزة بن علي بن شعبة الحرّاني . ورد ذكره في المخطوط ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس في الورقتين ٥٢-٥٣.

٥- كتاب الدلائل في معرفة الرسائل، لأبي القاسم الطبراني، وقد أورد سليمان أفندي الأذني عنوانه تحت كتاب الرسائل ؟

٦- كتاب التجريد، لحاتم الثوباني، وقد وجدنا من آثاره في المخطوطة السابقة، الفقرتين التاليتين في الورقتين ١١٣ و ١١٧، الفقرة الأولى هي: " إنّ ظهور الإمامة بأنزع بطين (لقب من ألقاب علي كرّم الله وجهه) هذا ما لا يُدرك معناه " والفقرة الثانية هي: : إنّ الروح الإنسانية هي التي (وردت الذي) لا تنام ولا تدخل المحدودات، ودليل ذلك أنّ الإنسان إذا اراد أن يفعل شيئاً من القبح بدا له من نفسه أمراً ناهياً. فآمر الفساد هي النفس المسؤولة، والناهي عنه هي الروح الروحانية، وهي من جوهر السبل المنسوب إلى العقل والإيمان. فإذا اصرّ على فعل المكروه خرجت روح العقل والإيمان منه. وتتمكّن الروح المسؤولة الأمّارة بالسوء. فإذا فعل القبائح عادت إليه الروح الروحانية، فتريه(وردت فتوريه) سوء ما عمل، فتقع (وردت فيقع) به الندامة".

٧- كتاب التوحيد، لمحمّد بن سنان الظاهرين في المخطوط السابق الذكر، الورقات ٤-٧.

٨- كتاب الأسوس. المخطوطة المطبوعة مع هذا الكتاب.

٩- كتاب الحقائق، لابن شعبة الحرّاني ؟

١٠- كتاب الأكوار والدوار النورانية، لمحمّد بن نصير. وجدنا منه بعض المقاطع في كتاب مجموع الأعياد للطبران، الذي سيرد ذكره.نورد منه هذين المقطعين: " قال محمد بن نصير: دخلت على المولى حسن العسكري في يوم نوروز (أحد أعياد الفرس) فقال لي: في مثل هذا اليوم تدخل علي هكذا ! إمضي فجئني بعبدٍ لي من بلد السند" وفي مقطع آخر يقول: " إنّ لي ولياً (أي الحسن العسكري) في بيضاء الضين هلك منذ ألف عام،

SS

وهذا يوم نوروز، فاذهب فاحييه "

١١- كتاب الطالقان، ذكره لويس ماسينيون، كما ورد منه مقاطع متعدّدة في كتاب : الإسلام في وجه الباطنيه، المطبوع في دار الصحوة للنشر في القاهرة، تحت اسم مستعار: المجاهد الكبير أبوالهيثم.

١٢- كتاب البحث والدلائل في مسائل العلم والرسائل ؟

١٣- كتاب الجدول النوراني، لمحمد بن يونس الكلاّزي، ورد ذكره في كتاب الباكورة السليمانية، الذي سيرد ذكره.

١٤- كتاب الحجب والأنوار، لمحمد بن سنان الظاهرين وجدنا منه بعض المقاطع في المخطوط ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس في الورقتين ١٢٢-١٢٣، وهو يطرح موضوع الأئمة الإثنا عشر الذين يعادلون أشهر السنة...

١٥- كتاب التكليف لمحمد بن سنان الظاهري ؟

١٦- كتاب الصراط، للمفضّل بن عمر الجعفي، وهو يشكل الجزء الثاني من المخطوطة ١٤٤٩ في المكتبة الوطنية بباريس، ويتألف من ٧٩ ورقة أي ١٥٨ صفحة، سنصدره قريباً، إن شاء الله، مع دراسة موسّعة حول مبدأ الثنوية في المذهب العلوي النصيري.

١٧- كتاب الرسالة المصرية، أورد منه ابو الهيثم، في كتابه الإسلام في مواجهة الباطنية بعض المقاطع، ويتألف من تسع صفحات، وقد قارنّا الفقرات التي طبعها بفقرات مأخوذة من كتاب التعليم،(أنظر رقم ٥٧) فوجدنا تلك الفقرات مأخوذة من الجزء الأول منه.

١٨- كتاب الإيضاح، وينسبه لويس ماسينيون إلى محمذد بن جندب الجنبلاني ولكنه يخطيء في تاريخ وفاته، فيضع سنة وفاته ٢٨٧ للهجرة، بينما تطالعنا الكتب الأخرى بأنه عاش فترة في بلاط سيف الدولة الحمداني، أي في القرن الرابع للهجرة.

١٩- كتاب مجموع الأعياد لأبي سعيد ميمون بن القاسم الطبراني، مطبوع من قبل رودولف شترتمان مع مقدمة باللغة الألمانية في دورية الإسلام ، العدد ٢٧، في ٢٧٣ صفحة. وهو مطبوع عن المخطوطة ٤٢٩٢ من مكتبة برلين الملكية.

ss

٢٠ – كتاب المجموع، وينسبه ماسينيون إلى الخصيبي، ولكننا لم نجد أثراً بنسبته للخصيبي، وقد طبعه رينيه دوسو في كتابه السابق الذكر وترجمه إلى الفرنسية، وهو من جملة الكتب التي تشكّل جزءً من كتاب الباكورة السليمانية لسليمان أفندي الأذني(أنظر رقم ٦٠)

٢١– كتاب اليونان ؟

٢٢– كتاب الحاوي في واجب التلميذ، لأبي سعيد الطبراني، وقد نقل منه أبو الهيثم، في كتابه الآنف الذكر عدّة مقاطع منه نقلاً عن الشيخ الكلاّزي الأنطاكي، وهو يتالف من ٢٨ صفحة أو ورقة.

٢٣– كتاب الباطن ، لمحمد بن يونس الكلاّزي الأنطـاكي ؟.

٢٤– كتاب التـأييد، للكاتب السابق ؟ .

اعتباراً من الرقم ٢٥ ينقل لنا جوزيف غاتفاغو أسماء شعراء مع سرد بعض قصائدهم ليست ذات قيمة ادبية إذا ما قيست باشعار المكزون السنجاري الذي عاش في أواخر العصر العباسي ، أو بشعراء القرن العشرين كسليمان العيسى وبدوي الجبل... .إليكم ما وصلنا وما استطعنا الاطلاع عليه:

٢٥– ديوان سيدنا ومولانا الخصيبي: وهو المخطوطة رقم ٤٥٢ في مانشيستر ببريطانيا، وقد طبع هاشم عثمان في كتابه العلويون بين الأسطورة والحقيقة إحدى قصائده، والتي تدلّ على أن الشعر ليس بصناعته. وكذلك أورد الطبراني في كتاب مجموع الأعياد بعض تلك القصائد في الصفحات ١١٠–١١٥ و ١٧٦–١٧٧ و ١٩٠–١٩١

٢٦– ديوان الشيخ الصويري.

٢٧– ديوان خليل النميلي، وجدنا قسماً منه في المخطوطة ١٤٤٩ من المكتبة الوطنية في باريس اعتباراً من الورقة ١٧٧، وقد تُرجمت هذه القصيدة إلى اللغة الفرنسية من قبل كليمان هورت، في دورية المجتمع الأسيوي المجلّد ١٤، عام ١٨٧٩، الصفحات ٢٢٠–٢٢٦

٢٨– إبراهيم الطوسي، تُرجمت في المصدر السابق، الصفحات ٢٠١–٢٠٤، في مديح السيدة زينب.

٢٩– قصائد عينية، لم يسجّل إسم الكاتب.

SS

٣٠- الشيخ يوسف أبو طرحان: قصيدتان مترجمتان ومشروحتان بالفرنسية من قبل كليمان هارت، المرجع المذكور.

٣١- الشيخ محمد الكلازي، أنظر الرقمين ٢٣-٢٤. مترجمتان إلى الفرنسية في المرجع السابق.

٣٢- الشيخ حسن المكزون السنجاري، المرجع السابق، ٢٠٤. ونضيف بأن هناك مرجعاً عن المكزون السنجاري في مجلّدين قد أخرجه الدكتور أسعد أحمد علي، تحت عنوان معرفة الله والمكزون السنجاري، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨١.ويتوضح لنا من خلال أشعار السنجاري أصول الديانة العلوية النصيرية التي قدّمنا لها في القسم الأول من هذا الكتاب.

٣٣- الشيخ صارم، قصائد للمعنى على مدى الدهور، المرجع السابق.

٣٤- الشيخ يوسف الخطيب، ثلاث قصائد مترجمة ومشروحة باللغة الفرنسية، في المرجع السابق،
صفحات ٢٢٦-٣٥.

٣٥- الشيخ إبراهيم شيخ العيدية، باللهجة العامية.

٣٦- رسالة باطن الصلاة، منسوبة برأي لويس ماسينيون إلى محمد بن علي الجلّي ؟

٣٧- الرستالة الرستباشية، لحمدان الخصيبي. وكلمة الرست فارسية تعني العدالة. وقد أورد الطبراني في كتاب مجموع الأعياد فقرات منها (انظر رقم ١٩) في الصفحات ١٢-١٨ و ١٠٨-١٥ و ١٥٤-٥٥ و ١٨٨-٩٢

٣٨- الرسالة الجوهرية ؟

٣٩- رسالة المرشد ؟

٤٠- الرسالة الجنانية لمحمد بن جندب الجناني.

انتهت القائمة التي رفعها جوزيف غتفاغو للمجلّة الأسيوية

٤١- كتاب الأصيفر، وهو الكتاب الأول من المخطوط ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية بباريس في ٢٤ ورقة.

وقد علق على هذه الرسالة كلّ من رينيه دوسو و لويس ماسينيون. أما الأول فيقول أن الكاتب بما معناه، قد خلط الحابل والنابل، وأظن أن دوسو لم يفهم النص بالعربية، لأنه واضح. أما الثاني فيعتبر أن مجموع

SS

اوراق هذا الكتاب ٣٧ ورقة، رغماً عن انني قرأت في الورقة ٢٥ الكلمة التالية: تـمّ ذلك.

٤٢- فصل فيه تنبيه وهداية لأفلاطون، في خمس ورقات، وسوف ننشره قريباً.المخطوطة السابقة.

٤٣- رسالة التوحيد: لمحمد بن علي بن عيسى الجسري. المخطوطة السابقة.

٤٤- مسائل أبي عبدالله بن هارون الصائغ، في ثلاث ورقات.

٤٥- رسالة البيان في أهل العقول، المخطوط السابقن في ١١ ورقة.

٤٦- مناظرة الشيخ يوسف بن العجوز الحلبي النشّابي، المخطوط السابق الذكر، من الورقة ٦٨ إلى ١٥٥.وقد ورد في هذا الكتاب أسماء الكتب التالية: كتاب الأسوس، الورقة ٨٨ و ١٠٤، كتاب المعارف كتاب الهداية، كتاب التجريد، كتاب الهفت والأظلّة، كتاب الفحص والبحث (أنظر رقم ٥٢)، كتاب الأنوار والحجب، رسائل الجزري (أنظر رقم ٥٣)، كتاب منهج العلم والبيان (أنظر رقم ٥٤). والكتاب ذو قيمة علمية في مجال تاريخ الأديان، يستعرض كاتبه الأمور من النظرة الباطنية معتمداً على القرآن الكريم والإنجيل والفلاسفة...

٤٧- شرح الإمام، المخطوط السابق، الورقات ١٥٥-٦٧. مع غياب اسم الكاتب. والورقات العشر الأخيرة من هذه المخطوطة عبارة عن جزء من القصائد التي ذكرها جوزيف غاتفاغو.

٤٨- رسالة للحسين بن ابراهيم الصائغ، من عام ٣٤٠ للهجرة ٩٧٢ للميلاد في ثلاث ورقات.ويعتمد في فكرته على شيخه عيسى الجسري.

نـهاية المخطوظ ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس.

٤٩- الرسالة المقنعة، لحمذد بن محمذد النعماني، ورد ذكرها في الرقم ١٩، الصفحتين ٨٠-٨١.

٥٠- كتاب المثال والصور، لمحمد بن نصير، ورد ذكرها في الرقم ٤١ ، تتقارب الأفكار فيها مع أفكار دَمسيوس الدمشقي، في كتاب الجوهر.

٥١- كتاب المعارف، لأبي سعيد الطبراني، ورد ذكره في رقم ٤٥، الورقة ١٣٦.

٥٢- كتاب الفحص والبحث، لم يدوّن اسم الكاتب، ورد ذكره في الرقم ٤٦، الورقة ١١٨ والأوراق ١٢٣-٢٦.

SS

٥٣- رسائل الجذري الحلبي، ورد ذكره في الرقم ٤٦، الورقة ١٤١.

٥٤- منهج العلم والبيان، ورد ذكره في الرقم ٤٦، الورقة ١٤٢.

٥٥- كتاب الردّ على المرتدّ، لأبي سعيد الطبراني ، ذكره الدكتور وولف ، يرد فيه الكاتب على إبن الخلاّد ؟، كما ذكره لويس ماسنيون تحت رقم ٤٤، معتمداً على غاتفاكو، ولكننا لم نجد اثراً له عنده.

٥٦- كتاب الهداية الكبرى، لحمدان الخصيبي طبعه هاشم عثمان في : العلويون بين الحقيقة والأسطورة، بيروت ١٩٨٥، الصفحات ٢٢٩-٩٧، وقد ورد ذكره في الرقم ١٩، الصفحات ٩٧-١٠١

٥٧- كتاب تعليم الديانة النصيرية، المخطوط رقم ٦١٨٢ من المكتبة الوطنية في باريس ويتألّف من ٣٩ ورقة، وقد طبع جزءً منه عبد الحسين مهدي العسكرين كما قام باختصاره الدكتور وولف في ألمانيا عام ١٨٤٩، وسنقوم بطباعته كاملاً في المستقبل القريب، إن شاء الله.

٥٨- المخطوط ١٩ من مكتبة كييل، حملها من الشرق المستشرق الدانماركي كريستيان نيهبور منذ القرن الثامن عشر. وقد علق عليها سيلفيستر دو ساسين المشهور بكتابه عن الدروز.

٥٩- عن موالينا آل البيت، المخطوط رقم ٣٠٣ من مكتبة هامبورغ، قدّم لها وطبعها رودولف شتروتمان سنة ١٩٥٨. ويعود نسخ المخطوطة إلى عام ١٨٥٨ وهي تعود إلى القرن الخامس للهجرة.

٦٠- كتاب الباكورة السليمانية في كشف الديانة النصيرية، لسليمان أفندي الأضني او الأذني، وقد نُشر في المجلة الأسيوية للمجتمع الشرقي، المجلّد ٨، الصفحات ٢٢٧-٣٠٨. واعتمد رينيه دوسو عليه كثيراً في كتابه الآنف الذكر. طُبع هذا الكتاب في بيروت لأول مرة سنة ١٨٦٣.

وقد ورد في كتاب الإسلام في مواجهة الباطنية أسماءعددٍ من المراجع المهمة، ذكرنا قسماً منها مثل كتاب الحاوي والرسالة المصرية، ووردت اسماء كتب لم يسبق ان اطلعنا عليها، ولكنّ الكاتب افادنا من الناحية العلمية بسرد أجزاء قيمة منها تؤكد على أنّ المذهب العلوي النصيري هو احد ورثة المذاهب التي انتشرت في سوريا وفارس ومصر قبل الإسلام، ثم صبغت نفسها بألوان الدين الجديد. من هذه الكتب وجدنا عدداً من الأدعية التي أوردها الطبراني في

ss

كتاب مجموع الأعياد...ورسالة أبي الحي سلامة ابن أحمد الحدان في ٤٦ صفحة (أو ربما ورقة). ورسالة تنزيه الذات للكلاّزي، وكتاب الطالقان وكتاب تنزيه الذات عن الأسماء والصفات، من الصفحات أو الورقات ٣٢٢-٤٧٣، أيضاً للكلازي . ومخطوط بعنوان خبر نده النذر في ١٨٦ صفحة أو ورقة، فيه بعض المقاطع وردت في كتاب تعليم الديانة النصيرية، وبعض سور كتاب المجموع... وقد يصعب علينا التوقّف مطولاً حول هذه المخطوطات، لعدم وجودها بين أيدينا كاملة، ولكن هذا لا يمنع من أن نستعين ببعض هذه الفقرات مستقبلاً لغاية علمية بحت.

انتهى الجزء الأول من المصادر

SS

مراجع عامة باللغة العربية

١- عبدالله الحسيني، الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، دار الإعتصام، القاهرة،١٩٨٠ في ١٧٤ صفحة.

٢- عبد الحسين مهدي العسكري، العلويون أو النصيرية،١٩٨٠، في ١٢٦ صفحة، غياب إسم دار النشر.

٣- أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مقدمة لسعيد دنيان القاهرة ١٩٦٠

٤- سامي الجندي، البعث، بيروت، دار النهار، ١٩٦٩

٥- سامي الجندي، عرب ويهود، بيروت، دار النهار، ١٩٦٨

٦- سامي الجندي، كسرة خبز، بيروت، دار النهار.

٧- إبن هشام، السيرة النبوية، في ٤ مجلّدات، تراث الإسلام.

٨- محمد كرد علي، خطط الشام، المجلذد الرابع، دمشق، مطبعة الترقي.

٩- خليل مصطفى بريّز، سقوط الجولان، عمّان ، دار اليقين، ١٩٧٠، في ٢٧٢ صفحة.

١٠- أحمد الشقيري، على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب، بيروت، دار العودة، ١٩٧٢في ٢٩٣ صفحة.

١١- أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة، بيروت، دار العودة، ١٩٧١، في ٣٠٠ صفحة.

١٢- الطبري، ابو جعفر، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار خياط، ١٩٧٢.

١٣- تقي الدين ابن تيمية، فتوى في النصيرية، المجلة الاسيوية، ١٨٧١، الصفحات ١٦٧-٩٨.

١٤- محمد عمران، تجربتي في الثورة، بيروت ١٩٧٠.

١٥- عبد الكريم زهر الدين، مذكّراتـي عن فترة الانفصال في سوريا، بيروت، دار النهار، ١٩٦٨.

١٦- أسعد علي أحمد، معرفة الله والمكزون السنجاري، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١ في مجلّدين.

١٧- أبو موسى الحريري، العلويون النصيريون، سلسلة الحقيقة الصعبة، بيروت ١٩٨٠
١٨- أبو الهيثم، الإسلام في مواجهة الباطنية، القاهرة، دارالصحوة، ١٩٨٥، في ٢٥٣ صفحة.
١٩- هاشم عثمان، العلويون بين السطورة والحقيقة، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٥، في ٣٢٠ صفحة.
٢٠- عبد الكريم الشهرستاني، الفرق بين الملل والنحل، المطبعة الأدبية، ١٣١٧ للهجرة.
٢١- أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٣ في ٥٣٦ صفحة.
٢٢- النديم الورّاق، كتاب الفهرست، بيروت، دار المسيرة، ١٩٨٨.
٢٣- باتريك سيل، الأسد، الصراع على الشرق الأوسط، لندن، ١٩٨٨، ٨٣٢ صفحة.
٢٤- الطوسي، محمد بن الحسن، أخبار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، في جزأين، مشهد،١٣٤٨للهجرة.
٢٥- الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، النجف الأشرف، ١٩٦١م. في جزأين.
٢٦- النجاشي، احمد بن علي، رجال النجاشي، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٨ في جزأين.
٢٨- الجرجاني، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، بيروت، دار المعرفة، ٣٦٦ صفحة.
٢٩- محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية، باللغتين العربية والفرنسية (سوريا ولبنان ١٩٣٦)
٣٠- الصحافة: البعث، النذير ، الغرباء، الحوادث، الصياد، النصر، الرائد، الأهرام...

SS

BIBLIOGRAPHIE -Suite

1- BARRES, Maurice, *Une enquête au pays du Levant*,Paris, Librairie Plon, 1933, 533 p.

2- CORNELIE, H. et LEONARD A.*La Gnose éternelle* ,Paris, Fayard,1965, 119 p .

3- DAM, Nikolas Van, *The Struggle for powr in Syria*,London, éd/ Croom Halm, 1979, 147 p.

4- DAVID, Jules, *Syrie ancienne et moderne*,Paris, 1948, 387 p.

5- DUSSAUD, René, *Histoire et religion des Nosairis*,Paris, 1900;212 p.

6- GALYUM, Burhan, *L'enigme syrien*,in,*Politique étrangere*,Paris, 1979, pp.97-104 .

7- HASSAN, Ibrahim;*La Syrie de la guerre civile*,in,*Peuple méditerranées*, n°12, Juillet- septembre, 1980, pp .91-105

8- Haut- commissariat de la République française en Syrie et au Liban,

Statut organique des Etats du Levant sous mandat français, promulgué le 14 mai 1930.

9 - *Histoire des troupes du Levant*,Imp. Nationale, Paris 1931, 57 p.

10- Encyclopédie de l'Islam, IIe éd. Art.Gulat- Batiniyya-Nusayriyya- .Isma'iliyya- Druzes- Khattabiyya- Batiniyya.

11- JALABERT, Louis, *Syrie et Liban, Réussite française ?* Paris, éd. Plon, 1934, 232 p.

12- JAQUOT, Paul, *L'Etat des alaouites*,Beyrouth, Imp. Catholique, 1929.

13- JONAS, Hans, *La religion gnostique*,Paris, éd.,Flamarion, 1978, 506 p.

14- JOUNBOULAT, Kamal, *Pour le Liban*, France, 1978, 212 p.

ss

15- AL- KANGE, Jaafar, *Isma'iliens,Nusayrite et Druzes en Syrie,*Thèse, Strasbourg, 1983

16- id. Art. *Nusairis ou Alawites,*in,*Encyclopedia Universalis*

.

17- KUTSCHERA, Chris, *L'opposition démocratique et la difficile intégration du mouvement islamique en Syrie,*in,*Le Monde Diplomatique,* Mars 1983, pp. 12-13.

18 - LAMENS, Henry, *Les Nusairis,*in,*Etudes,*Paris pp; 46-92.- 1922.

19- BAUX, Gabriel, *Deux ans au Levant,* 1939-40, Paris Hachette, 1952,215 p.

RAYMOND, André et alii,*La Syrie d'aujourd'hui,*Paris, éd.C.N.R.S.1980, 443 p.

20- SAAB, Edouard, *La Syrie ou la Révolution dans la rancoeur,*Paris, éd/ Juillard, 1968, 309 p.

21- SACY, Silvestre de, Exposé de la religion des Druzes, Paris 1836, *en deux tomes.*

22- MOUSA, Mounir Mushabik, *Etudes sociologiques des Alawites Nusairis,*Thése, Paris, 1958, en deux tomes.

23- PALAZOLI, Claude, *La Syrie, le rêve et la rupture,* Paris, éd. Sycomore, 1977, 293 p.

24- PICARD, Elisabete, *Clans militaires et pouvoir Ba'thiste en Syrie,*in, *Orient,*Hambourg, n° 3 Juillet- Septembre. 1979.

25 -Id. *Y-a-t-il un problème communautaire en Syrie?* in,*Maghreb- Machrec,*n° 90, octobre 1980.

26- STROTMANN, Rudolph, *Drusen antword auf Nusairis angrif.*in, *Der Islam,*XXV 1939.

27- WELERSSE, Jaques, *Le pays des Alaouites th.,*Paris, 1940.

ss

الفهــرس

القسم الأول

SS



... تنفع به الى عملها ومثلهم كما ان للموت

... ارواحهم وادهانها ولا يعرفون من هي وكيف هي والى

... لذلك العالم والجاهل ثم قال الاصل الاكبر القديم

... شي وهو خبر بعض تلاميذ اغاثاذيمون

... عالم رباني معلم على سبيل النجاة ومعتصم من النار وقال

... على صورته كما قال في الانجيل تعالى نخلق انسانا

... مثالنا فاراد ان يظهر قدرته في الصورة التي هي

... اظهرها في الجماد والاموات قال السايل اراد ان

... يوقع التشبيه في الاجناس وليس هو من

... انسان صورته على صورته ثم تراه الامن

... على صورته لا يدري ايه الرب من العبد

... الجوهر نور مضي وغيره لحم ودم فكيف يشبه الخلق

... قال السايل والصورة لها مصور قال العالم

... الصورة لها مصور قال السايل والشي

... قال العالم شي لا منتهى له وشي له منتهى قال

السايل

٢١٧

السايل الشي لا مثال له والصورة لا مصور لها قال [العالم]

الصورة لها اجزا تشبه بعضها بعضا قال العالم وكذلك الشي

له اجزا لا تشبه بعضها بعضا ان الصورة لها حدود ولها

قدام ولها خلف وليس قدامه كخلفه قال السايل ان كان

جسم فله مجسم قال العالم وان كان شي ظاهر فله شي

يظهره قال السايل شي لا صورة فيه قال العالم جسم لا صورة فيه

قال السايل شي لا صفة له قال العالم جسم لا صفة له قال

السايل يخرج من حد الاجسام اذا لم يكن له صفة قال

السايل جسم ذو عدد قال العالم صورة ذات شخص قال كيف

... شي قال العالم جسم تشبهه

جسما وجسم لا يشبهه جسم شي جسم و... الجسم قال

العالم جسم لا شي ولا شي جسم قال السايل نفيت وجود الشي

قال العالم نفيت وجود الجسم قال السايل لا بد ان يكون في مكان

دون مكان قال العالم كذلك الشي يحيط بالاشيا وجسم

ss



SS



[illegible] أصول هذه الاسما حتى تعرف
[illegible] يعرف ما عليه [illegible] يعرف اله
ويعرف ما يتشي من الكلام ما دا عرف تلك النظائر في
[illegible] الرضا منه السلام ما
[illegible] الاصل الذي يحتاج [illegible]
[illegible] في الثبات [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم هذا
كتاب معرفة حكمة سليمان ابن داود عليهما السلم
وهو الذي سماه كتاب الاسوس انه اتاه من كل شي وعرفت
هذا الكتاب وهب الله له ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
ومعرفة سائر اللغات من الانس والجن والطير وغير ذلك و
تسخير الريح والبهائم والسباع وهوام الارض [illegible]
[illegible] ودعوات [illegible] للجن والانس فهم يوزعون
[illegible] اضع كتاب حكمه وتسميه كتاب

الاسوس

الاسوس [illegible] الحكمه فيه [illegible]
[illegible] على [illegible]
والعلم [illegible] الاسما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من معرفة النتائج والعلل [illegible]
والطلسمات والرصاصات والمسبوكات [illegible]
والحساب [illegible] والادوات [illegible]
[illegible] وخواص [illegible] ويعرف [illegible]
[illegible]



الدكتور
جعفر الكنج الدندشي

- دكتوراة في الدراسات العربية الإسلامية من جامعة ستراستبورغ / فرنسا
- عضو كتاب الموسوعة البريطانية (اللغة الفرنسية)
- عضو مركز الابحاث في تاريخ الأديان (جامعة ستراسبورغ).
- صدر له ديوان شعر بعنوان «مهاجر آخر».
- مجموعة قصصية مصورة باللغتين العربية والفرنسية بعنوان سيناريو وحوار «مكة المكرمة قبل الاسلام - عام الفيل».
- مدرس في ثانويات فرنسا ومحاضر في الدراسات العربية بجامعة ستراسبورغ.